

Amly

<http://arabiccivilization2.blogspot.com>

جاء بساط طير

د. شوقي ضيف



دار الهلال

عجائب وأساطير

تأليف

الدكتور شوقي ضيف

Amby

<http://arabicivilization2.blogspot.com>

حقوق الطبع محفوظة لدار الهدى

مقدمة

هذه طائفة طريفة من العجائب والاساطير ، دونها العرب في العصور الوسطى لغرض اللهو والتسلية وملء أوقات القارئين نهارا والسامرين ليلا عنيت باستخراجها من بطون الكتب العربية وتصنيفها ، لما وجدت فيها من مادة قصصية خيالية جديرة بأن تكون جواما للقارئ ومتاعا ، فان من كتبوها تحولوا بكثير منها الى حكايات احسنوا رصفها وزودوها . وهي تدل دلالة بينة على أن من القوها كانوا بارعين في النسيج القصصى ، براعة من زادوا من خواطرهم وأجملتهم في قصص كتاب الف ليلة وليلة على مر العصور العربية الوسيطة

ومعروف أن هذا الكتاب الاخير تكون حول أصل فارسي استمد من أصول هندية ، وأن قصاص العرب من بغداديين ودمشقيين ومصريين أدخلوا عليه اضافات كثيرة . ولا نرتاب في أن من نهضوا بهذا الصنيع كانوا يستمدون من هذه العجائب والاساطير التي جمعنا أمشاجا وأطرافا منها ، فوشائج القربى وثيقة بينها وبين كثير من قصص ألف ليلة وليلة

واقرا فى الصحف التالية من هذه المجموعة ، ثم اقرا فى
 آلف ليلة وليلة موازنا مقارنا ، فستجد نفسك امام عجائب
 وخرافات واساطير مشتركة ، فهنا وهناك الرخ الذى يطير
 ببعض الناس من موضع الى موضع ، والافاعي الخيرة والشريرة ،
 والتنين الذى يسقط من السحاب فيحرق كل ما يمر به من
 سفن أو حيوانات أو يلتهمها التهاما ، والادميون الذين يطرون
 من شجرة الى شجرة وآخرون من نسل قوم عاد ، وجزر
 القروذ ، وكائنات بحرية آدمية أو نصف آدمية ، وأخرى
 تعظم جثتها حتى تصبح جزيرة قائمة فى عرض البحر ، تنبت
 عليها الحشائش وترسو المراكب ، وفى البحار البعيدة جزر
 النساء اللأئى يعشن فى عزلة عن الرجال ، ونبات الماء ذوات
 الاجنحة ، وجزر واق الواق وهى أشجار لا تثمر ثمارا ، وانما
 تثمر آدميات معلقات من شعورهن يصحن على الفروع والاغصان
 «واق واق ، تبارك الله الخلاق»

وهنا وهناك كثير من الكهانة والعرافة والسحر ، ولا يوجد
 تمثال فى مدينة ، ولا حفر فى صخور ، ولا نقش فى حجارة ،
 الا وهو طلسم كبير يصد الأعداء والآفات . وهنا وهناك كثير من
 الملوك الاسطوريين ، أو من ملوك الفرس الاولين ، أو ممن يفهمون
 منطق الطير والحيوان

وحدث ولا حرج عن الجن والعفاريت والمردة ، والحضر، والاسم
 الاعظم، وقماقم سليمان ، والحوت الذى يحمل الارض ومن عليها ،
 والمدن المفقودة ، والآخرى التى بنيت بلبينات الذهب والفضة ،
 ومدينة النحاس المطلسة التى تسحر كل من علا سورها ،
 فيرى من بعيد ضاحكا ، ويهوى فيها ولا يعود أبدا .
 ولم أقصد بهذه المجموعة من العجائب والاساطير وما ارتبط

بها من أقاصيص غريبة أن أبحث بحثا مقارنا
بين مادة ألف ليلة وليلة ، إنما قصت
الى نفس الغاية التي قصد اليها من دونها ، وهي أن تكون
قسيلة ومتاعا لقارئها . ومن المحقق أن كثيرا من عناصرها
موسب في حكاياتنا الشعبية المتوارثة ، ومرجع ذلك أنها كانت
جزءا لا يتجزأ من تراثنا الأدبي ، فظلت الاجيال تتناقلها
وتتناولها جيلا بعد جيل

وإذا كان قصاصنا في العصور الوسطى استطاعوا أن
يستغلوها في حكاياتهم ، وفيما أضافوه الى كتاب ألف ليلة
وليلة من قصص تقوم على الحوادث والمغامرات الخيالية ، لا على
وصف شخصيات نابضة بالحياة محددة المعالم والأبعاد واضحة
اللامح والقسيمات ، فأولى بقصاصنا البارعين في هذا
النصر الذي انبعثنا فيه لاحداث نهضة قومية حقة أن يكون
استغلالهم لهذه العناصر وما اجتمع فيها من مواد قصصية
أتم تصرفا وأكمل مجتني وأطيب ثمرة . ولنا مثل في
النهضة الادبية الغربية ، فان الغربيين استعانوا منذ نشأتها
بأساطير الاغريق والرومان ، واستوحوها في أديابهم القومية على
اختلافها ، ولا يزالون يستوحونها الى اليوم

وما أشك في أن هذا العناد الأسطوري الذي جمعبه
ما كتبه أسلافنا سيدفع غير قاص بيننا الى الافادة من عناصره
الخيالية في بناء بعض قصصه ، فيتصل شاهدنا بفنائنا وحاضرنا
بماضيها ، ومن يدري لعل من قصاصنا من يبنى منه بناء لا
يقل جمالا وروعة عن بناء ألف ليلة وليلة التي طارت شهرتها
في الشرق والغرب . والله ولي الهدى والتوفيق

شوقي ضيف

في عالم البحر

البحر المحيط

كان العرب يتصورون - كما تصور اليونان - أن الأرض المحصورة يحيط بها بحر واسع لاحت له وهو يستدير حولها على نحو ما تستدير المياه حول بيضة مضورة بها في كاسن ، ويحيط بالماء محيط الهواء ، وفوقه محيط من النار ، وكل ذلك تحت التجويف الممدود في قلك القمر

وهذا المحيط أو البحر الواسع تخرج منه سائر البحار ، وله في كل جهة من الأرض اسم ، سماه به اليونانيون والفينيقيون ومن قبلهما ، فهو في الجهة الغربية يسمى البحر الأخضر وبحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) ويتصل هذا البحر بالاقيانوس أو بحر الظلمات (المحيط الاطلسي) عن طريق أعمدة هرقل (بوغاز جبل طارق) • ويسمى المحيط في الجهة الجنوبية بحر القلزم (البحر الاحمر) وبحر الهند (المحيطين الهندي والهادي) • وتخرج من المحيط خليجان متصلة به ، مثل البحر الاسود ، وكان العرب يظنون أن بحر الخزر (بحر قزوين) متصل به ، وكذلك بحيرة خوارزم (بحر أورال) • وكانهم لم يتصوروا بحرا ينقطع عن هذا المحيط ، فكل البحار متصلة به وتستمد منه ، فهي جميعها بحر واحد مالح محيط بكرة الأرض

وكان العرب - كغيرهم من الأمم القديمة - يعتقدون أن من

توغل فى هذا البحر المحيط غربا فى المحيط الاطلسى ، وجنوبا فى بحر الهند ، دخل فى ظلام شامل ، والقى نفسه فى دوامات ومهاو لا يستطيع الرجوع منها ، وكانوا يعتقدون أن به قارات وجزائر مجهولة كقارة اطلنطس ، كما كانوا يعتقدون أن به كثيرا من الحيوانات المائية والطيور البحرية العجيبة ، والامم الغريبة التى تشبه الانسان ، وهى وسط بينه وبين أنواع من النحويان والطيور ، فمنها ذوات الاجنحة التى تطير ، ومنها ما لا يتجاوز طوله أربعة أشبار ، ومنها ذوات الخراطيم ، ومنها ما يزحف ، ومنها ما يمشى على رجلين ، ومنها ما يشبه رأسه رأس الكلاب ، ومنها العور ، ومنها ماله آذان كأذان الفيلة وسرى كثيرا من أساطيرهم عن البحار ، وليس معنى ذلك أن العرب ومن سبقهم من الامم القديمة وقفوا منها موقف دهشة ولم يتوغلوا فيها ، فقد اقتحموا كثيرا منها اقتحاما ، وكان الفينيقيون من أسبقهم الى ذلك ، فقد تجولت سفنهم فى سواحل أوروبا وأفريقيا وآسيا ، باحثة عن الذهب والفضة والتوابل والكهرمان وغيره من الجبارة النفيسة ، وتبهم اليونان يلججون فى البحار ومن جاء بعدهم من الرومان ، وجميعهم كانوا يتحدثون عنها أحاديث تختلط فيها الحقيقة بالأسطورة . وخلفهم العرب ، فخرجوا بسفنهم الى المحيط الاطلسى ، ولكنهم لم يبعدوا فيه ، انما أبعدوا فى المحيطين الهندى والهادى على سواحل آسيا وأفريقيا ، ولم يتركوا جزيرة فى المحيط الاول الا زاروها وعرفوها ، ومن هنا وهناك كانوا يجمعون الحقائق ، وينسجون الاساطير ، وقد سجلوا ما شاهدوه وتخلوه فى كتبهم الجغرافية وفى رحلاتهم ، ولم يلبثوا أنه أفردوا للعجائب والفرائب فى الكون كتباً مستقلة

ومن اطرف الاشياء حقا أن تقرأ هذه الكتب ، لا لتنفيذ منها معرفة بعالم البحر ، فقد كشف عصرنا الحديث هذا العالم وما فيه من جوانب وقرارات وتيارات وأسماك وحيوانات وثورات ، وانما لتنفيذ منها اللذة الفنية الخالصة التي نفيدها من الاساطير والاقاصيص الخيالية ، تلك التي تصور لنا نوحا من أنهاء الحياة الانسانية



وطبيعي أن تكثر الاقاصيص والاساطير عن البحر عند العرب وغيرهم ممن سبقوهم ، وهم يضربون على لججته ، وهو يمتد أمامهم امتدادا تحيطه الظلمات من كل جانب ، ونجوم تظهر لهم في بعض الليالي وتختفي في أخرى ، وسحب تملأ السماء وأخرى تقترب أو تبتعد ، وأحياء مائية لا تحصى تترأى لهم والتيارات والعواصف تتجاوزهم ، وهم في يد القسدر اما أن يصلوا الى غايتهم أو يبتلعهم البحر ابتلاعا . وكم من سفن ابتلعها ، وكم من ملاحين لم يعودوا منه . ان الخيال لا يد أن يلعب بمقولهم ، ولا يد أن يدفعهم دفعا الى تصورات غريبة ينسجون منها خرافات واساطير ، كانت يوما معتقدات لشعوب وأمم

ومن غير شك عرف العرب كثيرا من جوانب البحار والمحيطات معرفة حقيقية ، بل من المحقق أنهم عرفوا اتصال المحيطين الاطلسي والهندي ، ولذلك لانعجب اذا عرفنا أن فاسكو دي جاما البرتغالي المشهور لم يصل الى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح الا بواسطة دليله العربي « ابن ماجد » الذي قاده اوقاد بعثته من البرتغاليين الى الهند ، غير مدرك خطورة عمله وأنه يجنى به على الملاحة العربية في المحيط الهندي جنابة آثمة

بما أوجد لها من مناقصين برتقاليين وغير برتقاليين ممسحين
تبعهم من الاوربيين والانجليز المستعمرين الفاشمين

وقد وصفت الكتب الجغرافية العربية كثيرا من البحار المحيطة
بالمرب في العصر الوسيط وصفا دقيقا ، غير أنا لسنا
بصدد البحث العلمي في تصورات العرب عن عالم البحر ، وإنما
نحن بصدد الوصف الاسطوري ، ولقدع ابن الوردي المتوفى في
القرن الثامن الهجرى يعرفنا بالبحر المحيط في كتابه « خريدة
المجائب » يقول :

« المحيط هو البحر الاعظم الذى منه مادة سائر البحار
المتصلة والمنقطعة ، وهو بحر لا يعرف له ساحل ولا يعلم
عمقه وفى هذا البحر عرش ابليس ، لعنه الله ، وفيه مدائن
تطفو على وجه الماء وفيها أهلها من الجن فى مقابلة الربع
الخراب من الارض ، وفيه حصون ، وفيه قصور على وجه الماء
طافية ، ثم قتيب ، وتظهر فيه الصور العجيبة والاشكال الغريبة
ثم قتيب فى الماء . وفيه الاصنام التى وضعها أبرهة تبع
الحميرى قائمة على وجه البحر ، وهى ثلاثة أصنام ، أحدها
أخضر ، وهو يومئذ بيده كأنه يخاطب من ركب البحر يأمره
بالرجوع . والصنم الثانى أحمر يشير إلى نفسه ، كأنه يخاطب
من ركب هذا البحر أن يقف عنده ولا يجاوزه . والصنم الثالث
أبيض يومئذ بأصبعه إلى البحر كأنه يقول : من جاء وجاوز هذا
المكان هلك ، وعلى صدر كل صنم مكتوب بالأسود : هذا مسا
وضعه أبرهة تبع الحميرى لسيدته الشمس تقربا إليها . وفى
هذا البحر ينبت شجر المرجان كسائر الاشجار فى الارض »

ويزعم ابن وصيف شاه المتوفى فى القرن التاسع الهجرى
أن البحر المحيط يشتمل على سبع وعشرين ألف جزيرة ، وأن
الله خلق ألفا وعشرين أمة بعدد الكواكب الثابتة ، يسكن منها

فى جزائر البحر ستمائة وفوق الارض اربعمائة وعشرون ، وفى شرقى العالم جنس يجمع بين الوحش والانسان فى صورته فراسه رأس أسد وآذانه طويلة ، وجسمه جسم انسان ، غير أن له ذيلا ومخالب فى موضع الايدى والارجل ، وأقرب المخلوقات الى الانسان من كل هذه الاجناس جنس الوقواق ، ومن نساء ، علقن بشعورهن فى اشجار ، ومن يصحن : وائى وائى ، واذا سقطن من اشجارهن فارقتن ارواحهن



ويروى القزوينى المتوفى فى القرن السابع الهجرى حكاية عجيبه ، اذ يقول : « أن ذا القرنين أراد أن يعرف ساحل المحيط الاقصى فبعث مركبا ، وحمله الماء والزاد ، وأمره أن يسير سنة كاملة فى اتجاه واحد ، لعله يأتى بشئ من خبره ، فسار المركب سنة ، ولم ير شيئا الا سطح الماء ، وما يخرج منه من دواب كبسار ، فلراد الرجوع ، ففصل بعض من فيه : نسير شهرا آخر ، لعلنا نطلع على شئ ، نبين به وجوهنا عند الملك ونحتمل ضيق الماء والزاد فى الرجوع ، فساروا شهرا آخر ، فاذا هم بمركب فيه ناس فالتقى المركبان ولم يعرف أحدهما كلام الآخر ، فدفع قوم ذى القرنين اليهم رجلا ، وأخذوا منهم امرأة ، ورجعوا بها ، فزوجوها من رجل فى المركب معهم ، فأتى منها بولد ، ففهم كلام الابوين ، فقبل له سل أمك من أين جاءت ؟ فقالت : جئت من ذلك الجانب وأشارت الى جهة مجيئها ، فقال لها ابنها : لائى شئ جئت ؟ فقالت : بعثنا ملكنا لنعرف حال هذا الجانب ، فقالوا له : سلها : هل هناك محالك وملوك ؟ فسألها ، فقالت : نعم لنا ملك أعظم من ملككم ، ومملكته أعرض من مملكتم وأوسع ،

وما كنا نعلم أن هاهنا إلا الماء»

وليس البحر المحيط وحده الذى تروى عنه الاساطير ، فلكل بحر أساطيره ، وهى تتداخل فى كل ما تحت أيدينا من أخبار عن البحار ، منذ كتب التاجر سليمان سنة ٢٣٧ للهجرة وصف رحلته من البصرة على خليج العرب الى الصين ، واجتيازه للبحار السبعة التى كانت تجتازها السفن الى هذه الجهة النائية . وتبعه ابن وهب الذى قام برحلة مماثلة لرحلته سنة ٢٥٦ للهجرة ، فأضاف الى أخباره أخبارا ، وقصص أقاصيص عجيبة . وكثرت الرحلات ، وكثرت الاقاصيص والاعاجيب ، لا عن بحر الهند وما يجرى فيه من سبعة أبحر ، بل عن جميع البحار ، ولكن بحر الهند أو بحاره هى التى ظفرت بأكثر الاقاصيص والاساطير ، لكثرة ما لججوا فيها طلبا للتوابل والاحجار النفيسة وقد ظلت طوال العصور الوسطى زاخرة بالظلمات والطلاسم والاسرار مليئة بالفرائب والعجائب والخرافات . ولذلك لم يكن غريبا أن تكون مسرح قصة السندباد البحرى المشهورة فى ألف ليلة وليلة ، وهى نفسها المسرح الكبير لاساطير الرحالة والبحارة من العرب وما شاهدوه فى البحار من خوارق وعجائب ، وما قصوا عنها من حكايات وأقاصيص ، تعتمد على الاسطورة أكثر مما تعتمد على الحقيقة

بحر الهند

أكثر العرب من تجوالهم فى بحر الهند ، أو كما تسميه الآن المحيط الهندى ، وما يتصل به من المحيط الهادى الى الصين فقد كانت سفنهم تمخر عبابه ذاهبة آيبة من عمان والبصرة وعدن الى بربرا (الصومال) وسقطرى ومدغشقر ، وسفالة (موزمبيق) غربا ، والى سيلان والهند ومالقة والزابج (جزر الهند الشرقية) وسيام ، والهند الصينية ، والصين واليابان شرقا . وكادوا لا يتركون جزيرة فى مياه هذا البحر الا زاروها وحملوا كنوزها من الذهب والفضة والياقوت والماس واللؤلؤ والزمرّد وغير ذلك من الحجارّة الكريمة ، كما حملوا ما فيها من ثروات معدنية ، ومن مسك وعود وجلود وصندل وكافور وفلفل وقرنفل وجوز هند (نارجيل) وساج وعاج وورصاص وعنبر ومنسوجات حريرية أو قطنية . وكم رأى ملاحوهم الموت بأعينهم سواء على لجج المحيطين الهندى والهادى أو فوق جزرهما وبين سكانهما ، ولكن ذلك لم يفت فى عضدهم فقد كانت تبذلهم هذه البقاع النائية كأنها الفردوس المفقود ، وكانوا لا يزالون كلما خرجوا منها عادوا اليها أشد شوقا ولهفة

وكانوا يسمون أجزاء هذا البحر الكبير بأسماء مختلفة ، فهو فى الغرب يسمى بحر الزنج حيث يصافح أفريقيا الشرقية وهو فى جنوبى بلاد العرب يسمى باسمهم ، أما جنوبى إيران فاسمه

بحر فارس ، ومنه خليج العرب وخليج عمان ، ونخرج من بحر فارس الى بحر لاروى ، وهو يواجه شاطئ السند ويمتد الى الشرق محاذيا لشبه جزيرة الهند ، وتقع عليه مدينة قاليقوت وكولم ملي ، وهي آخر ثغور شاطئ الملبار ، ويتصل بهذا البحر شمالى جزيرة سرنديب بحر هر كند او خليج بنغالة ، ويمتد شرقا الى جزائر اندمان ولنجبالوس ، ويتصل ببحر كلاه وبحر سلاهط ، حيث جزيرة الرامنى (سومطرة) والزابع او جزائر الهند الشرقية ، وشبه جزيرة مالقيا ، وقد سمى بوغازها باسم بحر كلاه ، ويختلط اسمه هنا باسم بحر سلاهط ، ونخرج منها الى بحر كندرنيج (خليج سيام) الذى يمتد على شواطئ قمار ، ويتصل به مباشرة بحر الصين (الهند الصينية) ومنه الى بحر صنخى او بحر الصين حيث توجد خانفو (كانتون) ، وهي سوق عظيمة للتجارة مع العرب ، وفي شمالها سيل (كوريا) وفي الشرق جزائر واق (اليابان) وتضطرب هذه الاسماء التى أطلقوها على أجزاء هذا البحر ، كما تضطرب معها أسماء الإقاليم والجزر ، وهي فى كثير من الاحيان تخالف أسماءنا الحديثة ، فكانوا يطلقون مثلا على جزر الهند الشرقية اسم بلاد الزابع او بلاد المهاراج ، وكانوا يسمون جاوة صندابورة ومدغشقر قنبلة ، وهكذا



وكان ملاحو العرب وتجارهم يجوسون خلال هذه الإقاليم والجزر ويلججون فى مياهها باحثين عما فيها من كنوز لا تحصى ، على رأسها التوابل والعطور والحجارة النفيسة . وقد شغلت هذه الكنوز العالم القديم منذ عصور الفراعنة والفينيقيين والاعريق والرومان ، كما

شملت المسلمين في العصور الوسطى ، وأوروبا في العصر الحديث ، وهي التي دفعت البرتغاليين وغيرهم من الأوروبيين لكشف البحار والمحيطات ، فقد اندفعوا يبحثون عن طرق جديدة ، غير طريق مصر والشام تصلهم بالهند ومحيطها الزاخر بالثروات ، فكشفوا طريق رأس الرجاء الصالح ، ولم يلبث كولومبوس أن قام بعفاراته نحو الغرب بحثا عن طريق آخر ، فاكشف أمريكا وتبعه المكتشفون يزبحون مجف الظلمة عن البحار والمحيطات والقرات الجديدة

وقبل هذه الاكتشافات كان العرب هم الذين يحملون هذه الكنوز الى العالم ، ومن قبلهم اسهمت امم مختلفة في حملها . وبمجرد أن أصبح لهم ملك غربى آسيا وأفريقا ، أصبحوا هم سادة هذا البحر الكبير ، بحر الهند وجزره وأقاليمه . فكانت تسيل هذه الكنوز الى حجورهم ، وينبى أن نعرف أن قيمتها لم تكن مادية فحسب ، فقد كان لها قيمة روحية وعقلية ، اذ طالما نسجت الاساطير حول كثير منها ، مشيرة الى فائدتها فى العلاج وفى حفظ الانسان من الآفات والشرور حتى التوابل فانها لا تفيد من حيث طهى الطعام فحسب ، بل تفيد أيضا فى العلاج من الامراض ، ومثلها المعطور وأنسواع الافاويه والحجارة الكريمة ، بل ان منها ما اذا تحلى به الشخص زاد عقله وقضيت حوائجه عند الحكام والسلاطين وتبعه الناس ولم يقلبه أحد فى الحسومة . ولا نستطيع أن نفهم ذلك حق الفهم الا اذا رجعنا الى كتاب « عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات » للقرزوينى ، وهو دائرة معارف ، تصور فى دقة قيمة التوابل والمعطور والحجارة الكريمة ، ومدى ما كان الناس يمتقدون فيها لعصره ، ولنستعرض بعض ما كتبه عنها

يقول عن الفلفل : « شجرة تنبت بالهند بناحية منها تسمى
 ملبار ، وهي شجرة عالية لا يزول الماء من تحتها ، فإذا هبت
 الريح تساقط حملها على الماء ، ويجمع من فوقه • وحملها عليها
 أبدا شتاء وصيفا ، وهو عناقيد ، فإذا حميت الشمس عليها
 انطبقت على كل عنقود منها عدة أوراق لتلا يحترق بالشمس
 فإذا زالت الشمس زالت الأوراق عنها ، لتنال من النسيم •
 وشجرته تشبه الرمان ، وبين الورقتين منها شـمراخان
 منظومان بالفلفل ، وشمراخها في طول الاصبع ، وأول ما تطلع
 ثمرتها تسمى دار فلفل ، ثم تنفصل عن حب ، يكون هو الفلفل
 ثمرتها • أما الدار فلفل فينفع في نهش الهوام أكلا ، وطلاء
 بالدهن ، ويقوى ويفيد في الفشاء (خبث المدة) مع كبـدالماعز
 شيئا • وأما الفلفل فهو بالنظرون جلاء للبهق ، وهو يدر
 البول ، وينفع في ظلمة البصر ،

ويقول عن النارجيل (جوز الهند) : « هو الجوز
 الهندي ، لبـه حلو لذـيذ إن كان رطبا ، وإن كان
 يابساً عتيقا ينقى البدن من حب القراع ، وأكله يقوى ، ودهنه
 نافع للبواسير خصوصا إذا كان عتيقا »

ويقول عن الياقوت : « حجر صلب ، شديد اليبس صاف شفاف
 مختلف الألوان : أحمر وأصفر وأخضر وأزرق ، والاحمر
 أشرفها وأنفسها ، ومن علق شيئا من الثلاثة الأولى وكان في بلده
 طاعون سـلّم منه ومن تختم به نبل في أعين الناس ، وسهلت
 عليه أمور المعاش »

ويقول عن الماس مازجا الحقيقة بالأسطورة : « حجر يقرب
 لونه من لون النشادر الصافي لا يلصق به

شيء من الاحجار الا هشيمه وكسره ، ولو جعلته
لقطعة كانت جميع قطعه مثلثة ، وكلما كان حجمه
اكبر كان أقوى فعلا ، والصناع يجعلون قطعه في طرف المثقب
ويثقبون بها الاحجار الصلبة ، والموضع الذى فيه حجر الماس لم
يصل اليه احد من الناس الا الاسكندر ، وهو واد متصل
بطرس الهند ، لا يدرك البصر أسفله ، وفيه من صنوف الافاعي
حلم يو احد مثلها . وهذه الافاعي ماراها احد الامات ، فامر
الاسكندر باتخاذ مرايا مثبتة على حديد تراها فى طريقها ، فلما
لقت ووقع نظرها على صورتها فيها ماتت لساعتها . وأراد أن
يخرج الماس من ذلك الوادى ، فخاف الناس ولم يقدم احد على
الترؤل فيه ، فراجع حكماء الهند ، فأشاروا عليه أن يلقى قطع
اللحم بالوادى ففعل ، فالتصق بها الماس ، فجاءت الطير من الجو
فألتفت من ذلك اللحم وأخرجته من الوادى ، فامر الاسكندر
لصحابه باتباعها والتقاط ما تنثر من اللحم . وهكذا يفعلون
فى سرنديب فى اخراج الماس من وادى الحيات المشهور بها
فيؤمنون به اللحم وتسقط عليه النسور ، فيلتصق بما تأخذ
منه مقدار العدسة والحمصة . والاشراف والسلاطين يتخذون
منه النفصوص ، وهو نافع من المنى وفساد المعدة ، وهو سم
قاتل جدا .

وانما نقلنا ذلك عن القزوينى ، لنسل على قيمة التوابل
والاحجار النفيسة عند الناس فى تلك العصور ، وهى قيمة
كانت ترفع من أثمانها وتدفع التجار ومن ورائهم الملاحون
الى القاهرة فى سبيلها ، حتى يحصلوا على هذه الكنوز والتحف
الشمينة

بين الحقيقة والخيال

لا يكاد يخلو كتاب يصف بحر الهند وغيره من البحار ، من سرد المجائب والاساطير في ثنايا وصفه ، نجد ذلك في رحلتى سليمان وابن وهب اللتين احتفظ بهما أبو زيد السيرافي ، في كتاب طبع له ببافيس في القرن الماضي ، بعنوان « سلسلة التواريخ » . وبمجرد أن نقرأ في رحلة سليمان التي قام بها من البصرة الى الصين في سنة ٢٣٧ للهجرة نجده يفسح للخيال فيما يكتب ويصف ، ففي بحر لاروي سمك ألبال (الحوت) الذي ينفع الماء من فيه فيكون كالمنارة العظيمة ، وفيه سمكة يحكى وجهها وجه الانسان تطير فوق الماء . اما بحر هرند ففيه سرنديب ، وبأرضها جبل يدعى الرهون ، هبط عليه آدم عليه السلام ، وقدمه ظاهرة برأس هذا الجبل منقسمة في الحجر ، وهي قدم واحدة ، ويقال انه خطا بقدمه الثانية خطوة أخرى في البحر . وهذه القدم التي على رأس الجبل تبلغ نحو سبعين ذراعاً ! . وفي هذا البحر جزائر كثيرة بها اقوام يأكلون الناس ! وتعظم أمواجه ، وتتقد كأنها النار

ولا يتحدث سليمان عن البحر وعجائبه وغرائب جزره فحسب ، بل يتحدث أيضاً عن الهند والصين . ويصنع صنيعه ابن وهب الذي رحل بعده بقليل الى الصين . وكانما وضع هذان الرجلان أساس الكتابة عن بحر الهند وسواحله فقد خلفهما الجغرافيون والمؤرخون والرحالة والملاحون يضيفون

الى اخبارهما واساطيرهما اخبارا واساطير جديدة . واقرأ في المسالك والممالك لابن خرداذبة ، ومختصر البلدان لابن الفقيه ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي ، وغير ذلك من كتب الجغرافيا مثل نزهة المشتاق للادريسي ، وفي كتابات التاريخ عند المسعودي وفي كتب الرحلات المختلفة وخاصة عند ابن بطوطة ، فستجد سيولا من الخرافة والاسطورة ، وهي سيول يتخللها كثير من الحقائق ، وكأنما كان القوم يجدون فيها ما يشوق الناس الى قراءة كتبهم ، فتوسعوا فيها ، وجمعوا كثيرا من غرائبها

ولا نلبث أن نراهم يفردون لتلك الغرائب والعجائب كتباً خاصة ككتاب القزويني « عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات » وله موسوعة أخرى سماها « آثار البلاد وأخبار العباد » وهي تشتمل مثل موسوعته الأولى على كثير من أعاجيب الكائنات والموجودات . وليس القزويني وحده الذي انفرد بالكتابة في ذلك ، فقد كتب كثيرون ، منهم الدمشقي في كتابه « نخبة الدهر في عجائب البر والبحر » وابن الوردي في كتابه « خريدة العجائب وفريدة الرغائب » . وتجمع هذه الكتب كل ما جاء في كتابات الرحالة والجغرافيين وما سمع على ألسنة البحريين ، وتضيف اليه كثيرا من الحكايات الشعبية وتسوق ذلك كله ليتسلى به الناس ، فهي كتب للتسلية والترفيه ، وهي ليست أساطير خالصة ، بل تمزج الأساطير بالحقائق . وبذلك كانت قراءتها من أكبر المتع في أوساطنا الشعبية السابقة ، وسنسوق منها أطرافاً . فمن ذلك ما جاء في القزويني عن جزيرة سرنديب في تضاعيف كلام طويل ، يقول :

« جزيرة في بحر الهند . . بها أنواع العطر والافاوية والعود والنارجيل (جوز الهند) ودابة المسك وأنواع اليواقيت والذهب

وانفضة والقوق ، وبها جبل اهبط عليه ابونا آدم ، وبها كباش
لها عشرة قرون ! وبها جبال عليها الياقوت وهو يتحدر مع
السيل !

ويتسع ابن الوردى في ذكر اعاجيب الجزر ، باكثر مما يتسع
القزوينى ، فمن ذلك وصفه لجزر الزابج وهو يطرد على هذا
النحر :

« جزر الزابج (جزر الهند الشرقية) تشتمل على جزائر
كثيرة ، وهى عامرة خصبة ، وليس فيها خراب ، والناس
يسافرون فيها بلا ماء ولا زاد لكثرة الخصب والعمارة . وملك
هذه الجزر يسمى المهراج . وجبايته كل يوم ثلثمائة «من» ذهباً
خالصاً (والمن ستمائة درهم) ، ويطرحها فى البحر وهو خزائنه !
وبهذه الجزر سكان تشبه الادميين ! ، ولهم
كلام لا يفهم ، وعندهم اشجار كبسيرة وهم يطيرون
من شجرة الى شجرة ! وبها نوع من السنائير الوحشية
حمراء منقطة ببياض ، اذنانها كأذنان الظباء . وبها ايضا نوع
من السنائير المذكورة ، لها أجنحة كأجنحة الخفاش ، وبها
ابقار وحشية حمراء منقطة ببياض ايضا ولحومها حامضة .
وبها دابة الزناد وهى كالهرة ، وفأرة المسك ، وبها جبل يقال
له النسان مشهور ، به حيات عظام تبتلع الفيلة ! . وبه قردة
كأمثال الجواميس والكباش الكبار . وبها من البقاء شئ كثير .
وبها خلق على صورة الانسان (لعله يقصد الغوريلا) يأكلون
ويشربون ويتكلمون بكلام لا يفهم ، ولهم أجنحة يطيرون بها
وحكى ابن السيراق ، قال : كنت ببعض بلاد الزابج فرأيت
وردا كثيرا احمر وأبيض وأزرق وأصفر والوانا شتى ، فاخذت
بملاء وجعلت فيها شيئا من ذلك الورد فلما اردت حملها رأيت

ظروا في الملاة ، فأحرقت جميع ماكان فيها من الورد ، ولم
 تحترق الملاة ! فسالت الناس عن ذلك ، فقالوا ان في ههنا
 الورد منافع كثيرة ، ولا يمكن اخراجه من هذه الفياض بوجه
 ابدا . وفي الجزر شجر الكافور ، وهو شجر عظيم هائل . وفي
 هذه الجزر قوم يعرفون بالمخرمين ، مخرمة أنوفهم وفيها
 حلق ، يأكلون كل من وقعت أعينهم عليه ! وجزيرة رامن
 (سومطره) عظيمة طويلة وبها عجائب كثيرة ، منها أناس
 حفاة عراة ، رجال ونساء ، على أبدانهم شعور تغطي
 صوآتهم ، وماكلهم من الثمار ، ويستوحشون من
 الناس ، وينفرون منهم الى الفياض ، وطول أحدهم أربعة
 أشتار ، وشعرهم زغب بحمرة ، وهم لا يلحقون لسرعة جريهم ،
 وبساحل هذه الجزيرة قوم يلحقون المراكب في البحر سباحة
 وهي تجري في تيارها ، فيبيعونهم العنبر بالحديد ، ويحملون
 الحديد في أفواههم ، ويرجعون الى الجزيرة ولا تدرى
 ما يصنعون به . وحكى الجيهاني ان بهذه الجزيرة الكركدن ،
 وهو حيوان على شكل البقر ، الا ان على رأسه قرنا واحدا
 معقونا ، وفيه منافع كثيرة ، منها انه يصنع منه أنصبة
 لسكاكين الملوك ، وتوضع على المائدة ، فان كان الطعام مسموما
 عرق النصاب واختلج ! ويصنع منه حلية للمناطق ، وتبلغ
 قيمة المنطقة المحلاة بقرن الكركدن أربعة آلاف مثقال من
 الذهب ، واكثر هذه المناطق تصنع ببلاد الصين . وبهذه
 الجزيرة جواميس بغير اذنان . وبها شجر الكافور والبقم ،
 والخيزران ، وعرقه دواء من سم الحيات والافاعي . وبها
 طيب عطر ومعادن كثيرة .

هذه صورة جزر الهند الشرقية في كتاب خريدة العجائب

لابن الوردى ، وهى صورة تعتمد على وصف بعض الحقائق ، وخاصة فيما يتصل بكتوز تلك الجزر من التوابل والحجارة النفيسة ، ولكنها لا تلبث أن تمتزج بها خطوط مختلفة من الخرافة ، فهناك أناس يطعمون من شجرة الى شجرة ، وسنانير لها اجنحة كأجنحة الخفاش ، وحيات عظام تبتلع الفيلة ، وفردة كأمثال الجواميس ، وورد يحترق بمجرد حمله ، وأناس طول أحدهم أربعة أشبار ، الى غير ذلك من عجائب تغلب عليها الخرافة ، وهى عجائب اقحمت على هذه الكتب ، بعضها مما رواه المخرفون من البحارة ، وبعضها مما زاده المؤلفون الذين أرادوا اجتذاب العامة لقراءة مؤلفاتهم

وليست كتب العجائب كلها بهذه الصورة الخرافية التى رايناها عند ابن الوردى ، فكتب القزوينى وكتابات الدمشقى فى « نخبة الدهر » تتوخى الواقع ، ومع ذلك ففيها كثير من الخرافة ، وربما كان الدمشقى أكثر مؤلفى كتب العجائب تحرياً للصدق والدقة ، إذ كان له عقل عالم ، ويقف القزوينى بينه وبين ابن الوردى ، فهو يتوخى الحقائق ، وإن كان ذلك لا يمنع أن يمزجها فى أكثر الأحيان بالمبالغة بل بالخرافة

وإذا كنا وجدنا أصحاب كتب العجائب يبالغون إذ يهرفون فيما يروونه عن الجزر الحقيقية التى نعرفها اليوم ، فإنهم ساقوا بجانبها جزراً وهمية ، ولعل بعضها جزر حقيقية لم يلاحظوا أو لم يلاحظ الملاحون الحياة فيها ملاحظة دقيقة ، وتكثر الاخيلار عن هذه الجزر وتخرج الى ضروب من الخيالات المسرفة ، حتى تصبغ نوعاً من نسج الاساطير ، كأن يزعموا أن ببحر الهند جزيرة تسمى الجزيرة المحترقة لان كل ما عليها من الكائنات والموجودات يحترق مرة كل ثلاثين سنة ، وبه ايضا

جزيرة تسمى جزيرة العوز ، كل اهلها بهم هذه الافة ، وجزيرة
سكسلر ، وهى قوم لا عظام لارجلهم ولا سيقان ، وجزيرة
الدهلان وهو شيطان فى صورة انسان ، راكب على طير يشبه
النعامة ، يأكل لحوم البشر ، وجزيرة الصريف وهى جزيرة تلوح
لاصحاب المراكب ، فيطلبونها وكلما قربوا منها تباعدت ، وجزيرة
القندج ، وهى جزيرة بها صنم من رخام اخضر ودموعه تسيل
على مر الليالى والايام ، ويقال انه يبكى على قوم كانوا يصدونه
من دون الله ! وجزيرة سرندوسة ، وهى جزيرة كبيرة جسدا
وعند اهلها من الذهب قناطر مقنطرة ، وكل مواعينهم وأوانيهم
وقدورهم من الذهب . ومن هذه الجزر الخيالية جزيرة النساء ،
وفيهما يقول القزوينى : « هى جزيرة فى بحر الصين ، فيها
نساء لا رجال معهن أصلا ، وهن يلقحن من الريح ولا يلدن الا
انثى مثلهن ، وقيل انهن يلقحن من ثمرة شجرة عندهن ،
يأكلن منها ، فيحملن ويلدن »



ويظهر أن بعض ملاحى العرب نزلوا اليابان ، وهم يسمونها
جزر واق الواق ، وما قصوه عنها يدل على أنهم لم يعرفوها
معرفة صحيحة ، اذ يفلب على ما حكوه الاسطورة والخرافة ،
بل انه ليتحول الى خرافة خالصة ، واقرأ ما يقوله القزوينى
عنها :

« جزر واق الواق فى بحر الصين وتتصل بجزائر الزابج
(جزر الهند الشرقية) والمسير اليها بالتجوم ، قالوا انها الف
وستمائة جزيرة . وانما سميت بهذا الاسم لان بها شجرة لها
ثمار على صور النساء ، معلقات بشعورهن ، فاذا نضجت يسمع
منهن صوت واق واق . وهى بلاد كثيرة الذهب ، يتخذون

سلاميل كلايهم واطواق قرودهم من الذهب ويلبسون انقصان
المنسوجة بالذهب . وتملكهم امرأة ، حثت من رآها على سرير
عريانة وعلى رأسها تاج ، وعندها أربعة آلاف وصيفة عسرة
أبكلوا »

ويزيد ابن الوردي في الاسطورة خيوطا فيقول :

« جزائر واق الواق ألف وسبعمائة جزيرة ، وملكتهن تسمى
دمهرة ، حثت من رآها عريانة على سرير من الذهب وفوق رأسها
تاج من الذهب ، وبين يديها أربعة آلاف وصيفة أبكلوا حسانا
على مذهب الجوس ، وهن عاريات ، وفي رأس كل واحدة
متن مشط من عاج مكلل بالصدف ، وهن يختلفن في اتخاذ
الامشاط ، منهن من تتخذ اثنين وثلاثة وأربعة الى عشرين
.. وبهذه الجزيرة شجر يحمل ثمرها كالنساء ، بصور واجسام
وعيون وأيد وأرجل وشعور وأتداء ، وهن حسان الوجوه
معلقات بشعورهن ، يخرجن من غلف كالجوارب السكار ،
فاذا أحسن بالهواء والشمس يصحن : واق واق ، حتى
تنقطع شعورهن ، فاذا انقطعت متن . ومن تجاوز هؤلاء وقع
على نساء يخرجن من الأشجار أعظم منهن قدودا واطول منهن
شعورا وأكمل محاسن ، ولهن رائحة عطرة طيبة ، فاذا انقطعت
شعورهن ووقعن من الشجرة عشن يوما أو بعض يوم ، وهن
حينئذ يعاشرن الرجال . وأرضهن أطيب الأراضي ، وأكثرها
عطرا وطيبا ، وبها أنهار أحلى ماء من العسل والسكر المذاب ،
وليس بها حيوان الا الفيلة ، وربما بلغ ارتفاع الفيل في هذه
الجزائر أحد عشر قواعا »

واذا قابلنا بين ما كتبه القزويني عن شجر واق الواق وما كتبه
ابن الوردي ، رأينا كيف تطورت الخرافة من شجر له ثمر

يشبه صورة النساء الى نساء حقيقيات يعشن يوما أو بعض يوم ، بل ان ابن الوردى يجعلهن يأنسن للرجال فيقبلن عليهم .
والعشقى هو الوحيد بين هؤلاء القصاصين الذى حاول ان يتبين الحقيقة من خلال هذه الخرافة ، اذ قال :

« واما جزائر واقى الواق الداخلة فى المحيط فيوصل اليهامن بحر الصين . والواق شجر صينى شبيه بشجر الجوز ، ويحمل حملا كصورة الانسان ، فاذا نضجت الثمرة سمع السامع منها واق واق مرات ، ثم تسقط »

فهى ليست نساء معلقات بشعورهن كما يقول القزوينى ولا نساء حقيقيات كما يقول ابن الوردى ، وانما هى ثمار حقيقية كثمار جوز الهند ، وربما كانت هى نفس ثمار هذا الجوز ، تحركها الريح ، فيخرج منها ما يشبه هذا الصوت : واق واق . وهذا التفسير الصحيح لم يلتفت اليه القصاصون ، فقد كانت بغبتهم القصص من حيث هو ، وبذلك ثبتوا الخرافة فى اذهان العامة وفى ادبنا الشعبى العربى ، فدارت فى الحكايات وليست حكايات واقى الواق وجزر النساء هى الحكايات الخيالية أو الخرافية فقط عند مؤلفى العرب ومن روى عنهم من البحارة ، فاکثر منها خيالا وخرافة مارووه عن احياء شاهدها ببحر الهند فى جزيرة الحوت ، كما شاهدها فى العيون والغدران وعلى شواطئ بعض البحيرات وهى احياء صورتها بين الانس والحيوانات المائية . وتبلغ بهم الخرافة ان يزعموا انها قد تعاشر الانسان ، وان منها نساء تزوجن فعلا بعض البشر ، وأنجن منهم البنين والبنات . وعند الامم القديمة أساطير كثيرة تدخل فى هذا الباب ، ويظهر ان العرب أخذوها ونموها ، وخاصة انهم راوا على سطح المياه أسماكا تشبه الأدميين ، من

أنواع مسبح البحر، اذ رأوا لها شوارب وروسا وعيوناً، ورأوها
تقف على قوائمها ، فظنوها أناسى واتسع بهم الخيال ، فجملوا
منها الجوارى الحسان



والتمشقى فى « نخبة النهر » هو العالم النقيق
الذى عرف هذه الحيوانات معرفة حقيقية ، فهو كلما ذكرها
أو عرض لها قال انها حيوانات مائية على صورة الانسان ، ومن
وصفه لها قوله فى نوع منها :

« سمك كصورة الرجل ، فمه كتكوين فم القرد ، وليس
له رجلان ، وله يدين صغيرتان ، وبدنه من نصفه
الاسفل بدن سمكة بذنوب مفروشة ، يظهر بوجهه
الماء نصفه الأعلى ويتلفت برأسه يمينا وشمالا ، وعيناه كبيرتان
كعين البقر مستديرتان فى وجهه ، ثم يغطس على رأسه فى الماء
كالمنقلب سفلا من علو »

ولكن من آمنوا بما آمن به التمشقى قليلون ، أو قل ان
الكثرة حاولت أن تخرج هذه الحقيقة الى باب الاسطورة حتى
يتسلل بها الناس . ولم تصنع ذلك كتب العجائب وحدها ،
فنحن نجد جغرافىي العرب ورحالتهم يحكون حولها الاساطير
فابن خردادبة يروى فى كتابه المسالك والممالك أن راعيا كان
يورد غنمه الى عين فى ناحية سمرقند ، فبرى بها سكان الماء فى
صورة آدميين واضحين ، يقول :

« وكان هذا الراعى بضرب الوتر واليراع والمزمار ، وكان اهل
العين يطفون على وجه الماء ويستمعون اليه ، فيتلفذون بصوت
غنائه ، فيينما هو ذات يوم قد ضرب بالوترين ، ونام على رأس
العين ، اذ عمد له اهل العين جهارا على وجه الماء ، وقبضوه كرها

الى عندهم ، فلما تم عليه يوم وليلة ولم ينصرف الى اهله
اقتموا له ، فاتوا تلك المين لاقتفاء الاثر ، فوجدوه وهو طاف
على وجه الماء يسير ذاهل الميتين ، يكرهونه على الزمر وضرب
الوتر ، واهله يتضرعون اليهم ويسألونهم تخليته ، فلم يجيبوهم
الى سؤالهم . فبقوا على ذلك ثمانية ايام ، لا يتجرأ احد منهم
ان يدخل المين ، فيخلصه ، فلما أصبحوا بعد اليوم الثامن لم
يروا الراعى ، ولا احدا منعه منهم ، وخفى عنهم امره »

ويروى القزوينى ان بارض الهند بحيرة كبيرة « ماؤها ينبع
من اسفلها ، لا يأتيها شيء من الانهار ، وفي تلك البحيرة حيوانات
على صورة الانسان ، اذا كان الليل خرج منها عدد كثير يلعبون
على ساحل الماء ويرقصون ويصفقون باليدين ، ومنهم جوار
حسناوات .. والناس في الليلة القمراء يقعدون من البعد
وينظرون اليهم ، وكلما كان النظار اكثر كان الخارجون اكثر ،
وربما جاءوا بالفواكه الكثيرة فأكلوها وتركوا ما فضل منها على
الساحل »

ويرى ابن الفقيه في كتابه « مختصر البلدان » ان الاسكندرية
« كانت تضيء بالليل والنهار ، فكانوا اذا غربت الشمس لم
يخرج منهم احد من بيته ، ومن خرج اختطف ، وكان لهم راع
يرعى الغنم على شاطئ البحر ، وكان يخرج من البحر شيء ،
فيأخذ من فئمه ، فكن له الراعى في بعض المواضع حتى خرج ،
فاذا جارية قد نفثت شعرها ، فتشبت بشعرها وماتعته عن
نفسها ، ولكنه قوى عليها وذهب بها الى منزله ، فانست به
وبأهله »

ويقول أبو حامد الاندلسى الذى زار البلفار (التتار) على نهر
القولجا في القرن السادس الهجرى يكتبه تحفة الاصحاب :

« حدثت بيلغار أن سمكة مثل الجبل العظيم صادوها من بحر الخزر في بعض السنين ، ولما صادوها ثقبوا أذنهما وجعلوا فيها حبلا ، ليجروها منها ، فانفتحت أذن السمكة ، وبُخرجت من داخلها جارية كالجواري الأدمية ، بيضاء ، حمراء الخدين ، سوداء الشعر ، حسنة الصورة ، تضرب وجهها وتنتف شعرها وتصيح . وقد خلق الله لها في وسطها مثل جلد أبيض كالثوب الصفيق القوي ، من وسطها إلى ركبتيها يستر عورتها كأنه ثوب مشدود ، فأمسكوها حتى ماتت عندهم »

وعلى هذا النحو تتسع أسطورة بنات الماء ، فتشمل جميع البحار والبحيرات والعيون والآبار ، وهي دائماً في صور النساء الجميلات ذوات الشعر المسترسل، وكثيرا ما يقترن الحديث عنهن بأنهن يظهرن لبعض الناس ، فأوثقوهن ، حتى ألغنهن ، فاقترنوا بهن وتزوجوا منهن . وكان بينهن من تهرب إلى البحر حتى بعد أن تلد الأولاد ، فإن ذكريات حياتها القديمة لا تزال تعاودها ، فإذا وجدت فرصة عادت إليها مضحية بحياتها الجديدة على وجه الأرض ، وبكل ما أوتيت فيها من نعمة الأولاد وغير الأولاد ، وكان نداء خفيا لا يزال يدعوها أن ترجع إلى وطنها البحري ، وأن تهجر هذا الوطن البري الجديد إلى غير رجعة

وكلنا نعرف ما تمتاز به البحار والمحيطات من حيوانات كبيرة مثل البال (الحوت) والسلاحف والسرطان والخطبوط، وكثير منها حيوانات مفترسة ، وكم من معركة نشبت قديما بين البال وبين بعض السفن ، وإذا عرفنا أن منه ما يزن سبعين طنا ، وأن طوله قد يبلغ مائة ذراع وأكثر ، عرفنا مقدار ما كان

يلقيه من هول وفزع في نفوس الملاحين والتجار .
وهو من الحيوانات الثديية ، وله أسنان مخيفة ويمشي على
ابتلاع ما يصادفه في البحار من أسماك وخطبوطات ، وكم له
من معارك مع الأخيرة التي قد يبلغ طولها في البحار العميقة
ثلاثين قدما أو تزيد . وقد عرف العرب الصلة بينه وبين
العنبر ، فقالوا انه موجود بجوفه وانه يلفظه ، ومعروف انه
ينشأ في امعائه بسبب بعض الامراض التي تصيبه ، فيتكون هذا
الحصى ، وقد يقذف به البال اثناء حياته ويوجد في جوفه بعد
معااته . وظن بعض الملاحين من العرب حين راوه طافيا على
البحار أو راسيا في قيعانها انه نبات ينمو فيها ، وقصوا عنه
الاقاصيص كما قصوا عن البال . وأقدم ما نقرا عنه في كتب
الرحلات عندما جاء في رحلة التاجر سليمان - التي سبق أن
أشرنا اليها - اذ نراه يقول انه : « رأى سمكا مثل الشراع
ربما رفع راسه ، فتراه كالشيء العظيم ، وربما نفخ الماء من
فيه فيكون كالمنارة العظيمة فاذا سكن البحر اجتمع السمك
فحواه بذنبه ، ثم فتح فاه ، فيرى السمك في جوفه يفيض
كانه يفيض في بئر . والمراكب التي تكون في البحر تخافه ،
فهم يضربون بالليل بنواقيس مثل نواقيس النصارى مخافة
أن يتكئ على المركب فيفرقه »

ويقول أبو زيد السيرافي الذي عاش في القرن الرابع الهجري
عن العنبر والبال :

« أما العنبر وما يقع منه الى سواحل بحر الهند
فهو شيء تقذفه الامواج ، على انه لا يعرف مخرجه ، على
أن أجوده ما وقع الى بربرا (الصومال) أو حدود بلاد الزنج
(موزمبيق) وهو البيض المدور الأزرق . ولاهل هذه النواحي

أبل يركبونها في ليالى القمر ويسرون بها على سواحلهم ، قد
 ربيضت وعرفت طلب العنبر على الساحل ، فاذا رآه البعير
 برك بصاحبه فأخذه . ومنه ما يوجد فوق البحر ويزن وزنا
 كثيرا ، وربما كان كهية الثور ودونه ، فاذا رآه الحوت المعروف
 بالبال ابتلمه ، فاذا حصل في جوفه قتله ، وطفا الحوت فوق
 الماء . وله قوم يراعونه في قوارب قد عرفوا الاوقات التى توجد
 فيها هذه الحيتان المبتلعة العنبر ، فاذا عابنوا منها شيئا اجتذبوه
 الى الأرض بكلايب من حديد فيها حبال متينة تنشب في ظهر
 الحوت ، فيشقون عنه ، ويخرجون العنبر منه . . وهذا الحوت
 المعروف بالبال ربما عمل من فقار ظهره كراسى يقعد عليها
 الرجل ويتمكن . وذكروا أن بقرية بالقرب من سراف (ميناء
 على خليج فارس) بيوتا عادية لطافا ، سقوفها من أضلاع هذا
 الحوت . وسمعت من يقول : انه وقع في قديم الايام الى قرب
 سراف منه واحدة ، فقصده للنظر اليها ، فوجد قوما يصعدون
 الى ظهرها بسلم لطيف ، والصيادون اذا ظفروا بها طرحوها
 في الشمس وقطموا لحمها ، وحفروا له حفرا يجتمع فيها الودك
 (الدهن) ويغرف الودك من عينيها بالحرارة اذا اذابتها الشمس ،
 ويجمع ، فيباع على ارباب المراكب ، ويخلط باخلاط لهم ،
 تمسح بها مراكب البحر ، ويسد ما انفتق من خرزها . »



وتدور حكايات البال في كتب الرحالة وأختها كتب العجائب ،
 وقد يجعلونه خمسمائة ذراع طولا وعشرين او خمسين عرضا ،
 ويجعلون له جناحا كالجبل العظيم . وكما يتحدثون عن البال
 يتحدثون عن السلاحف البحرية وأن منها ما تبلغ استدارته
 أربعين ذراعا ، ويبيض الف بيضة . ويصف ابن الوردي

الاخطبوط فيقول :

« سمكة من رأسها الى صدرها مثل الترس ، ولها عيون كثيرة تنظر بها ، وباقي بدننها طويل مثل الحبة في مقدار ثلاثين ذراعا ولها أرجل كثيرة ، ومن صدرها الى ذنبها مثل أسنان المنشاور ، كل سنة منها في طول شبر ، كالحديد في الصلابة او الفولاذ في القطع ، ولا تتصل بشيء من المراكب الا شقته ، ولا تضرب شيئا الا قطعته نصفين ، ولا تنطوى على شيء الا اهلكته » .

ويتحدثون عن سرطان البحر فيقولون انها كالترس الصغير ، ولا يلبثون ان يقولوا انها اذا صارت في البر على الشواطىء تحولت حجرا حالا . ولعلمهم رأوا بعض اصداقها التي كانت تعيش فيها ، فظنوا انها هي نفسها . وتلعب المبالغة دورها فاذا من الملاحين من يزعم انه كان مجتازا بناحية من بحر الزابج وأنه سلك في بعض الايام بين قرنين ظاهرين في البحر ، قدر أنهما جبلان في الماء ، ولما جاوزهما غاصا في البحر ، فعرف انهما ظفرا سرطان . ويزعم بحار آخرانه قرب من البر في بلاد الذهب ببحر لامري ، ورمى بالانجر الكبير (الهلب) في الماء ، فلم يقف به المركب ومضى على حاله ، فقال للغائص انزل واعرف الخبر ، ولما نزل رأى عجبا ، إذ وجد الانجريين ظفري سرطان يتلاعب به ويجر المركب ، وأعلم الريان الخبر ، فصاح الناس وطرحوا في الماء الحجارة حتى ترك السرطان الانجر ، وكان وزنه نحو ألف وخمسمائة رطل . ووراء السرطان والاخطبوطات والسلاحف والبال أنواع كثيرة من السمك يتحدثون عنها ، وخاصة السمك الطيار الذي ينطلق في الهواء الى ارتفاع كبير . وكان

من أشد ما يلفت نظرهم السمك ذو الوميض الفسفوري ، وكثيرا ما قصوا عنه الحكايات ، حتى ليزعم بعض البحارة أن الامواج في جوانب من بحر الهند تضطرب وتتكرر ليلا ، فتنفذ منها النار ، حتى يخيّل الى الملاحين أنهم يسرون في بحر من النار المتوهجة

ويظهر أنهم رأوا في بحر الهند وغيره من البحار ضروباً من الحيات الكبيرة ، وقد ربطوا بينها وبين الاعاصير الدائرة في نطاق السحب الكثيفة ، وكونوا من ذلك أسطورة التنين الذي يسكن في السحب ، ويسير من افق الى افق ، فاذا أراد الله بسفينة شرا سقط عليها وابتلعها ابتلاعا ، وقد يسقط في البر فيبتلع الخيل والابل والبقر والناس ويهلكهم ، ويعرفنا به القزويني في كتابه « عجائب المخلوقات » على هذا النحو :

« التنين يكون اول امره حية متمردة ، تأكل من دواب البر ما ترى ، فاذا عظم فسادها بعث الله تعالى ملكا يحتملها ويلقيها في البحر ، فتفعل بدواب البحر ما كانت تفعله بدواب البر ، ويعظم جسمها ، فيبعث الله تعالى ملكا يحملها ويلقيها الى ياجوج وماجوج . وروى بعضهم انه رأى تنينا سقط ، فوجد طوله فرسخين ، ولونه مثل لون النمر ، وله جناحان عظيمان على هيئة جناح السمك ، ورأس مثل التل العظيم كراس الانسان ، وأذنان طويلتان ، وعينان مدورتان كبيرتان جدا ، ويتشعب من عنقه ستة اعناق طوال ، كل عنق نحو عشرين ذراعا ، على كل عنق رأس كراس الحية »

وتتداخل في هذا الوصف للتنين صورة الاخطبوط كما تتداخل صورة الاعاصير العاتية التي تنشأ من التقاء ريحين مختلفتي الاتجاه ، فتدور في شكل عمود كبير ، يعصف

بكل ما يلقاه ، فإذا لقي مركبا أغرقها ، وقد يمر بالأرض فيحدث كثيرا من الخسائر . ومهما يكن فقد نشأت أسطورة التنين بين البحارة ، واكثروا حوله من القصص المخيفة ، حتى جعلوه حية تنقض انتقاضا سريعا على كل ما يصادفها ، وتمحوه من الوجود محورا . وحاول الدمشقي على عادته أن يرفض هذه الاسطورة فقال :

« كثيرا ما يظهر بالبحر الاسود التنين الذي يزعم من لا علم عنده انه حيوان حى وانه تنقله الملائكة من البحر الى جهنم عند عتوه وطفياهه على دواب البحر . والتنين يوجد فى البحر الرومى وبحر الخزر وبحرورنك وسواحل المحيط بالاندلس » وهو يوجد أيضا فى بحر الهند ومايتصل به من المحيط الهادى . فالدمشقى لا يؤمن بأن التنين حيوان حى ، وقد وقف موقفه ياقوت فى « معجم البلدان » فكذب ما يقال عنه ، ولكن رواية العجائب وبعض البحارة وجدوا فيه مادة خصبة للخيال والقصص ، وتبعته العامة تروى حكاياتهم وقصصهم ، وتزيد فيها زيادات مختلفة ، حتى ليزعم بعض الرواة أو القصاصين ان منه ما يتكلم ، ومنه ما يبتلع الفيل وتسمع قعقعة عظامه فى بطنه من بعد بعيد .



ولا تقف عجائب البحر عند حيواناته المائية ، فلطير فصول فى القصة ، وإذا كان التنين هو أسطورة الماء والسحاب فان طائر الرخ هو أسطورة الهواء ، وهو طائر هائل ، يزعم البحارة انه يظهر فى شكل غمامة سوداء ، حين يرتفع عن الأفق ، أما حين يهبط على البحر ، فهو جبل ضخم أو حصن مشيد ، وحين يطير يسمع من ريشه صوت كصوت الأشجار عند

هبوب الريح ، وهو لا يصيد الا فيلا او دابة كبيرة او تنينا .
ويذكر اللمشقى انه يوجد في غربى بحر الهند ، اذ يرى هناك
طائرا في الجو الاعلى ، ويسقط بعض ريشه في جزيرة مدغشقر ،
فيتخذونه اوعية للماء . وعرض قصبة الريشة منه اكثر من شبر
ونصف وطولها نحو القامة . اما ابن الوردي فيبالغ ويزيد في
الاسطورة خيوطا ، فيقول :

« الرخ طائر عظيم غريب مهول الهيئة ، حتى قيل ان طول
جناح الواحد نحو عشرة آلاف باع . حكى عن بعض التجار
الذين سافروا الى الصين انه احضر معه قصبة ريش من جناح
فرح الرخ وهو في البيضة ، لم يخرج بعد منها الى الوجود ،
فكانت تلك القصبة تسع قربة ماء ، وكان الناس يتعجبون
لذلك »



وكان طبيعيا ان يتحول الحديث عن عجائب بحر الهند وغيره
من البحار على السنة الملاحين والتجار والرحالة من العرب الى
حكايات واقاصيص ، يروونها بعد عودتهم من الجزر والسواحل
المائية ، يصفون فيها ماشاهدوه من الكائنات البحرية والبرية ،
والسامعون من حولهم يستزيدونهم ويستثرونهم ، فيمعنون في
القصص ، وقد يمعنون في الخيال ويشبون وثبا بما يقصونه عن
السكان والحيوانات والاسماك والطيور الى مراقى الاساطير .
وكان بين الملاحين والتجار والرحالة — كما بين الناس جميعا —
من يولمون بالمبالغة والتهويل ، فاذا تحدثوا او قصوا تجاوزوا
العقول الى التهريف والخرافة ، ونج عن ذلك تراث
قصصى بديع في أدبنا العربي الفصيح والشعبي
وتتفوق كتب العجائب على كتب الرحلات في وفرة هذه المادة

القصصية ، لذلك سنبداً بها فى سرد ما اخترناه من طرائفها ، حتى اذا استوفينا ذلك المنها يكتب الرحلات ، ونستهل حديثنا بمرض ما احتواه كتاب « عجائب الهند بره وبحره وحزائره » لبزرگ بن شهریار الناخته ، ومعنى كلمة « الناخته » ربان السفينة ، وكان يعيش فى القرن الرابع للهجرة . وهو لا يروى فى الكتاب عن نفسه ، وانما يروى عن غيره من الربانة والملاحين الذين لججوا فى المحيطين الهندى والهادر ، وشاهدوا غرائب الاحياء والحيوانات المائية والبرية . وقد زبدت على الكتاب حكايات على مر العصور، وكان القصص اعجبوا بما فيه من مادة قصصية ، فزادوا عليها ماسمعه او تخيلوه . وبذلك اصبح هذا الكتاب اشبه بكتاب الف ليلة وليلة ، الذى اضافت اليه العصور المتعاقبة قصصا جديدة دخلت على قصصه القديمة ، فزادتها روعة وجمالا

ولا تستند الحكاية عند بزرگ بن شهریار على الحقيقة الواقعة، بل انها فى اكثر الاحيان تتحول الى اسطورة خالصة من صنع الخيال ، وهذا مما يضعف قيمتها القصصية ، اذ تتحول من باب الواقع الذى لا يتجاوز الخبر الى باب القصص الخيالى الذى يبالغ الى حد الحرافة

من كتاب عجائب الهند

أعصار بالقرب من جزيرة النساء

. سافر رجل في مركب عظيم ومعه خلق من اخلاط التجار من كل بلد ، وهم يسرون في بحر مسلايو ، وقد قربوا من اطراف أرض الصين وابصروا بعض جبالها ، فلم يشعروا الا وريح قد خرجت عليهم من الجهة التي يقصدونها ، فلم يسمعهم الا الانصراف معها حيث توجهت ، وركبهم من هول البحر مالا طاقة لهم به ، ومرت بهم الريح الى سبت سهيل (نجم) . ومن اضطر في ذلك البحر الى أن يصير سهيل على قمة رأسه فقد دخل بحرا لا رجعة له منه ، وتنعكس في لجة هابطة الى الجنوب تصوبه الى تلك الجهة ، فلا يستطيع الرجوع بريح عاصف ولا غيره ، وهو في لجاج البحار المحيطة . فلما رأوا امرهم يؤدي الى الدخول تحت سهيل ، ودخل عليهم الليل ، وأظلم وادلهم ، وحال بخار البحر ودجته ونداء وزخره (ارتفاع امواجه) بينهم وبين النجاة ، وهم يجرون في قار وضياب طول ليلهم ، واصبحوا فلم يشعروا بالصباح لشدة ظلمة مامهم فيه ، واتصال قار البحر مع ضباب الجو وغلف الريح وكدورته ، وهم في قبضة الهلاك ، قد حكمت فيهم الريح العاصفة ، والبحار الزاخرة ، والامواج الهائلة ، ومركبهم ينط (يصوت) ويئن ويتعقش ، توادعوا (ودع بعضهم بعضا) وصلى كل منهم الى جهة معبوده ، لانهم

كثروا شيعة من أهل الصين والهند والمجم والجزائر، واستسلموا
 للموت ، وجروا هكذا يومين وليلتين لا يفرقون فيها بين الليل
 والنهار . فلما كانت الليلة الثالثة وانتصف الليل ، رأوا بين
 أيديهم نارا عظيمة (هي الوميض الفسفوري ظنوه نارا) قد
 أضاء أفقها فخافوا خوفا شديدا ، وفزعوا الى ربانهم ، وقالوا :
 ياربنا ! أما ترى هذه النار الهائلة التى ملأت الأفاق ونحن
 فجرى الى سمتها ، والفرق أحب إلينا من الحريق ، فبحق معبودك
 الا قلبت بنا المركب فى هذه اللجة والظلمة ، لا يرى أحد منا
 الآخر ، ولا يدري ما كانت ميته ، ولا يتجرع لوعة صاحبه ، وأنت
 فى حل مما يجرى علينا ، فقد متنا فى هذه الايام والليال ألف
 ألف ميتة ، فميتة واحدة أروح ، فقال لهم : اعلموا انه قد يجرى
 على المسافرين والتجار أهوال ، هذا أسهلها وأرحمها ، ونحن
 معشر الربانة علينا المهود والموائيق الا نعرض سفينة الى العطب
 وهى باقية لم يجر عليها قدر ، ونحن معشر ربانة السفن لانقلع
 بها الا وأجالنا وأعمارنا معنا فيها ، فنعيش بسلامتها ونموت
 بمطبخها ، فاصبروا واستسلموا لملك الريح والبحر الذى يصرفهما
 كيف يشاء . فلما ينسوا من الربان ضجوا بالبكاء والمويل ،
 وندب كل منهم شجوه . وصلى الربان اذا أمر مناديه أن ينادى
 رجاله بجذب حبل أو ارخائه ، ليصلح شأن المركب ، لاتسمع
 الرجال ذلك من دوى البحر وحس تلاطم الامواج وهدير الرياح
 فى القلوع والشرع والحبال وضجيج الحلائق . فاشرف المركب
 على التلف . وكان فى المركب شيخ مسلم من أهل قادس من
 الاندلس ، قد طلع الى المركب فى ازدحام الناس عند طلوعهم
 ليلة السفر ، ولم يشعر به ربان المركب ، وكان فى زاوية
 منها مهجورة ، وهو مختف فيها خوفا أن يعلم به الربان فيؤنبه

ويوبخه ، فلما رأى القوم وما نزل بالناس وما هم عليه من
الاضطراب بأنفسهم ومركبهم ، وأنهم قد أصبحوا عوناً مع أهوال
البحر على أنفسهم ، مسرعين لهلاكهم ، رأى أن يخرج اليهم ،
فخرج اليهم ، وقال لهم : ما شأنكم ، هل انخرق المركب ؟
قالوا : لا ، قال : فهل انكسر السكبان (الدفة) ؟ قالوا : لا ،
قال فهل ركبكم البحر ؟ قالوا : لا ، قال : فما شأنكم ؟ قالوا :
كانك لست معنا في المركب ، أما تنظر هول هذا البحر وأمواجه
وظلمة الهواء الذي لم تر معه نهارة ولا شمساً ولا قمراً ولا
نجوماً نهتدى بها ، وقد دخلنا تحت سهيل ، وحكمت البحار
والرياح فينا ؟ واشد ما علينا هذه النار التي نحن نجري إليها ،
وقد ملأت الأفق ، والفرق أهون علينا من الحريق ، وقد سألنا
الربان أن يقلب المركب بنا في البحر والظلمة ، لا يرى واحد منا
صاحبه ، ونموت غرقاً ولا نموت حرقاً ، يرى بعضنا بعضاً ، وتسمع
ماتنفل النار فيه ، فقال : أوصلونى إلى الربان ، فاطلعوه إليه ،
فسلم عليه بالهندية ، فرد عليه وتمجّب منه ونظر إليه ، وقال له :
من أنت أمن التجار أم من أتباعهم فلا نعرفك فى رجال المركب ؟
قال له : ما أنا من التجار ولا من أتباعهم ، قال : فمن أطلعك ؟
وما بضاعتك ؟ قال له : أما من أطلعنى فأنى طلعت فى جمهور
الناس ليلة الأسراء (السفر) وأويت الى مكان فى المركب ، قال
الربان : من أين تأكل ومن أين تشرب ؟ قال : كان باتيسان
(نوتى) المركب يضع كل يوم قريباً منى صفة أرز بسمن
للاثكة المركب وماء ، فكنت اتقوت بذلك ، وأما بضاعتى فقربة
عجوة . فتمجّب الربان منه ، واشتغل الناس بسماع حديثه
عما كانوا فيه من الضجييج ، وأصلح الرجال أدوات المركب ،
ومشى فيهم مناد بتدبير الاقلاع ، واهتدى المركب ، فقال الشيخ :

ياربان ! ما لهؤلاء القوم كانوا يكون ويعولون ؟ قال له : اما ترى ما نزل بهم من هول البحر والرياح والظلمة ؟ واشد من ذلك ما نحن مدفوعون اليه من هذه النار التي ملأت الافق ، والله لقد ركبت هذا البحر وانا دون البلوغ مع أبى ، وكان قد اذهب عمره في ركوبه ، وهانا اليوم قد وميت ثمانين سنة ورأى فما سمعت بمن سلك هذا المكان ولا أخبر عنه ، فقال : يا ربان ! لا بأس عليك ولا خوف ، نجوتم بقدرة الله ، هذه جزيرة يحيط بها ويكتنفها جبال ، تتكسر عليها أمواج البحار ، فتظن في الليل نارا هائلة يخافها الجاهل ، فاذا طلعت الشمس ذهب ذلك المراءى وعاد ماء . فتباشر الناس وسكنوا الى قول الشيخ ، وتناولوا طعامهم وشرابهم ، وذهب عنهم ما كانوا فيه من الغم والخوف وتناقص الريح ، وصار البحر رهوا (سهلا) والريح رخوا (ليئا) . وقدموا الجزيرة مع شروق الشمس واصبحت السماء ، وتخبروا مرسى كنيئا (مستترا) ووردوا الجزيرة بجملتهم ، وكانوا يطرحون ارواحهم على الرمال ويتمرغون على الارض شوقا اليها . ولم يبق منهم فى المركب أحد ، فبينما هم كذلك اذ ورد عليهم نسوان من داخل الجزيرة لا يحصى عددهم الا الله تعالى ، وما لبثن أن حملنهم الى الجبال ، وماتوا جميعا ولم يبق منهم سوى الشيخ الاندلسى ، وكانت تزوره امرأة فى الليل ، فاذا أصبح اكتته (سترته) فى موضع قريب من البحر ، وجاءت له بشئ تقوته به ، فلم يزل كذلك الى أن انقلب الريح من تلك الجزيرة الى الجهة التى خرج منها المركب من الهند ، فأخذ الشيخ قارب المركب الذى يسمى الفلو ، ووضع فيه بالليل ماء وزادا . فلما فطنت المرأة الى نيته أخذت بيده وحامت به الى موضع ، فنبشت التراب بيديها عن معدن تبر ، فنقلت

هي وهو منه ما زخرا به القارب ، وأخذها معه ، ووصل الى البلد
 التي خرج منها المركب ، فأخبر أهلها الخبر . وأقامت المرأة
 معه الى أن تفصحت وأسلمت وورق منها الاولاد ، وسألها عن
 تلك النساء في الجزيرة وانفرادهن دون الرجال ، فقالت له :
 نحن أهل بلاد واسعة ومدن عظيمة محيطة بهذه الجزيرة ، وكل
 من بقا ليمنا ومدننا من الملوك والرعايا يعبدون هذه النار
 التي تظهر لهم ليلا في البحر ويسمون جزيرتهم بيت الشمس
 لان الشمس تشرق من طرفها الشرقي وتغرب في جانبها الغربي ،
 فيظنون أنها تبث في هذه الجزيرة ، فاذا أصبحوا واشرقت
 الشمس من جانبها الشرقي خفيت نار البحر وارتفعت
 الشمس ، فيقولون هي هي ، واذا غربت في جانبها الغربي
 وأمسوا ، ظهرت نار البحر ، فيقولون هي هي ، فيعبدونها
 ويقصدونها بصلواتهم وسجودهم من سائر الجهات . ثم أن الله
 سبحانه وتعالى جعل المرأة في بلدنا تلد أول بطن ذكرا وثاني بطن
 أنثيين وكذلك باقي عمرها ، فما أقل الرجال في بلدنا وأكثر
 النسوان . فلما كثروا وأردن أن يفلن على الرجال صنعوا لهم
 مراكب وحملوا منهن آلافا وطرحوهن في هذه الجزيرة ، وقالوا
 للشمس : يا ربنا أنت أحق بما خلقت ، وليس لنا بهن طاقة ،
 وما سمعنا ولا مر بنا أحد من الناس غيركم ولا يطرق بلادنا أحد
 على مر الأزمنة ، وإن بلادنا في البحر الأعظم تحت سهيل ، ولا
 أحد يجي إلينا فيرجع ، واذا جاءنا أحد لا يفارق الساحل والبر
 خوفا من أن تشربه البحار ، وذلك تقدير العزيز العليم

جزائر الحوت

روى بعض البحارة هذه الاقصوصة العجيبة ، وهي من اقاصيص بنات الماء اللائي كانوا يزعمون توادها بين الانسان وبعض الكائنات البحرية ! قال :

« سرنا في مركب كبير نطلب جزيرة فنصور (لعلها سومطرة) فاستقننا الريح الى جـون (خليج) أقمننا فيه ثلاثة وثلاثين يوما في ركود لا ربح فيه ... والتيسار يمضي بالمركب ونحن نندفع معه الى أن أدخلنا بين جزائر كثيرة ، فارسينا المركب الى واحدة منها ، على ساحلها نسوة يعمن ويسبحن ويلعبن ، فانسنا بهن ، ولما قربنا منهم هربن في الجزيرة ، وجاءنا رجال ونساء عقاء عارفون ، فلم ندر لغتهم ، فأشرنا اليهم بأشاروا إلينا ، ففهمنا عنهم وفهموا عنا ، فأشرنا اليهم أعندكم طعام تبيمونه لنا ، قالوا : نعم ، فجاءونا بالارز الكثير والدجاج والقمم والعسل والسمن والادم وأشياء كثيرة من المأكولات والفواكه ، فاشتريتنا منهم بالحديد والنحاس والكحل والخرز والثياب ، وأشرنا اليهم أعندكم بضائع نشترىها منكم فقالوا ما عندنا الا الرقيق ، فقلنا لهم : مبارك أحضروه ، فأتونا برقيق ما رأينا أحسن منهم ضاحكات السن ، يفتنن ويلعبن ويتهاشرون ويتداعبن بأبدان عيلة (بضعة) وأجسام كانها الزبد نعومة ، ويكدن يطرن خفة ونشاطا ، الا ان رءوسهن صغار وتحت خصر كل منهن جناحين كجناحي السلحفاة . فقلنا

لهن ما هذا ، فتضاحكن وقلن أهل هذه الجزائر كلهم بهذه
 الصورة ، وأشاروا الى السماء أى أن الله تعالى خلقهم كذلك ،
 فأغضينا عما رأينا ، وقلنا هذه قرصة ، واشترى كل منا بجيد
 ما عنده من الامتعة ، وأفرغنا المركب من البضائع وشحنناه
 رقيقا وزادا ، وكنا كلما اشترينا رقيقا جاعونا بمن هن أحسن
 منه ، فملأنا المركب بخلق ما رأى الرايون أجمل منهم ولا أحسن
 ولو تم لنا ذلك لأثرينا الى عقب العقب . ولما حان السفر وعصفت
 لنا الرياح من صوب الجزائر الى جهة بلادنا شيعونا وقالوا
 لنا تعودون لنا فى قابل (العام المقبل) أن شاء الله وطمع
 رباننا فى العودة بمركبه وحده بغير تجار ، فكان يقف رجاله
 طوال الليل على النجوم ، وينبههم على منازل الكواكب وجهات
 الآفاق وطريق الاقلاع فى المجىء والعودة . وفرحنا غاية الفرح
 والسرور ، وسرنا من الجزيرة بريح عاصف من أول النهار .
 فلما غابت الجزيرة بكى بعض الرقيق الذى معنا ، فضاقت
 صدورنا لبكائهن ، ثم قمن بعضهن لبعض وقلن فيم البكاء ؟
 قمن بنا نرقص ونغنى ونتضاحك ، فأعجبنا ذلك منهن ،
 واشتغل كل واحد منا بشأنه ، وأصابوا منا غفلة وإذا هن
 يتطايرن والله فى البحر تطاير الجراد ، والمركب يجرى كالبرق
 الخاطف فى موج كالجبال ، فما أشرفنا عليهن حتى تجاوزتهن
 المركب بنحو ميل ، ونحن نسمعن يفتنن ويصفقن ويتضاحكن
 فعلمنا أنهن ما فعلن بنفسهن ذلك الا بقدره لهن على احتمال
 هول ذلك البحر ، ولم يمكن الرجوع اليهن ويشئنا منهن
 وكان الریان قد وضع احدهن فى مقصورة ، فلما مضين
 نزل اليها ، فوجدنا تريد أن تثقب الجدار ، وتطرح نفسها
 فى البحر ، فقيدها . وسرنا الى أن دخلنا بلاد الهند ، ومعنا

بعض العروش فبعناها وتقاسمنا أثمانها ، ولم يتجأوز نصيب كل منا عشر رأس ماله . فلما سمع الناس بخبرنا ، جاءنا رجل من أهل هذه الجزائر ، جزائر الحوت بعينها ، قد أخذ صغيرا وبقي فى الهند الى أن هرم ، فقال لنا : أنتم وقعتم الى جزائر تسمى جزائر الحوت ، وهى بلدى ، ونحن قوم توالد رجالنا ونساؤنا مع حيوانات البحر ، فنتج منهم هؤلاء السكان منذ قديم الدهور . . وأما المرأة التى بقيت مع الربان فاستولدها ستة أولاد وأقامت عنده ثماني عشرة سنة مقيدة ، وكان هذا الشيخ الجزائرى قد قال له : لا تحل عنها القيد ، فتطرح نفسها فى البحر وتمضى ، فلا تراها أبدا ، فاننا لا صبر لنا عن الماء ، ففعل بها ذلك . ولما كبر أولاده كانوا يلومونه فى تقييدها بغير علم ، فلما مات لم يكن لهم بعد موته عمل الا أن يطلقوها من القيد رحمة لها وبراً بها وحنوا عليها . فخرحت كأنها الفرس السابق ، وانطلقوا خلفها ، فلم يدركوها . وقال لها بعض من قرب اليها : أتمضين وتخليين أولادك وبناتك ؟ فقالت : انشرتو ، ومعناه : ماذا أعمل لهم ؟ وطرحنت نفسها فى البحر ، وغاصت فيه كأقوى حوت يكون . سبحان الخالق البارى المصور ، تبارك الله أحسن الخالقين ،

الرخ يطير بالناس

ذكر بعض شيوخ الهند أن مركبا كسر له ، فسلم نفر من اهله في قارب ، ووقعوا الى جزيرة بقرب الهند ، فبقوا بها مدة الى ان مات أكثرهم وبقي منهم سبعة ، وكانوا في مدة مقامهم قد راوا طيرا عظيما يقع في الجزيرة ويرعى ، فاذا كان وقت العصر طار ، فلا يدرون الى اين يمضى ، فاجمع رايهم على أن يتعلق واحد منهم برجليه ، ليحمله ، فاذا حمله وطار به صنعوا من بعده صنيعه . وصمموا على ذلك لما ضاقت صدورهم وعلموا أنه لا بد من الموت . وتعلقت نفوسهم بالطائر ، وقالوا ان طرحهم بقرب بلد فهو الذي يتمنونه ، وان قتلهم فهو الذي يتوقعونه . فطرح واحد منهم بنفسه بين الشجر ، وجاء الطائر على الرسم ، فرعى ، فلما حان وقت انصرافه تلطف الرجل في الدنو منه ، واخذ برجليه وشد نفسه مع ساقيه بقشور الشجر ، فطار به في الهواء، وهو متعلق بفخذه ، فعبر بحرا وطرحه وقت غروب الشمس على جبل ، فحل وثاقه وسقط كاليت مما تعب ، ومما مر به ، وعاب من الاهوال ، فمكث لا يتحرك الى أن طلعت الشمس من غد . فقام ينظر فاذا راعي غنم ، فسأله بالهندية عن الموضع ، فذكر له قرية من قرى الهند ، وسقاه لبنا ، فتحامل على نفسه ، حتى دخل القرية . ولم يزل الطائر ينقل القوم من تلك الجزيرة على تلك الصورة حتى اجتمعوا بأسرهم في القرية ، ثم نفذوا الى بعض

بلاد الهند التي توجد فيها المراكب وعادوا الى بلدهم . وتبين لهم حين تحدثوا عن كسر مركبهم والجزيرة التي وقعوا بها ان مقدار مسافة ما حملهم الطائر الى القرية الهندية يزيد على مائتى فرسخ

ومن عجائب الرخ ما يرويه الربانة عن ريشه ، وتعظم المبالغة في وصفه الى حد ان يقول بعض الملاحين انه راي ريشة من ريشه تسع خمسا وعشرين قرية من الماء . ويزعمون انه ياخذ الوحش بمنقاره او بمخالبه ويحمله فى الهواء ، ثم يرمى به ليموت وينكسر ثم يسقط عليه فيأكله ، ومع ذلك يقولون انه اذا راي الانسان هرب منه ، وفر من صورته لبشاعة خلقته !

لحم الرخ يعيد الشباب

مما اجمع عليه جماعة من البحريين ، ان بعض المراكب الخارجة الى الصين اصاب في اللج ، وسلم منه ستة انفس على شراع ، ومكنوا اياما في البحر ، ثم وقعوا الى جزيرة ، واقاموا بها شهورا ، حتى كادت نفوسهم تئلف من ضيق الصدر ، وبينما هم في بعض الايام يتحدثون على ساحل البحر اذ سقط طائر ، قدر الثور او نحوه ، فقالوا : قد ضاقت صدورنا من الحياة ، فقوموا بنا نجتمع على هذا الطير فنصرعه ونذبحه ونشويه ونأكل من لحمه ، فاما ان يقتلنا بمخالبه ومنقاره فنستريح مما نحن فيه ، واما ان نظفر به فناكله ، فقاموا اليه ، وتعلق بعضهم ببرجليه وبعضهم بمنقه ، واخذ بعضهم يضرب ساقه بالخشب ، وجاهدوا حتى صرعوه . فعمدوا الى حجارة ، فغضبوا بعضها ببعض حتى تكسرت وصارت كالسكاكين ، وذبحوه ، وتنفوا ريشه ، واوقدوا نار عظيمة ،

وطرحوه فيها ، وقلبوه ، حتى استوى لحمه . ثم جلسوا فاكلوا منه حتى شبعوا ، واكلوا منه بالعشى . فلما كان اليوم الثالث واصبحوا قاموا الى البحر ، ليتوضئوا للصلاة ، فجلسوا لا يمسون شيئا من ابدانهم الا تساقط الشعر عنه حتى لم يبق على أحد منهم شعرة واحدة فى سائر جسده ، وصاروا مردا جردا . وكان فيهم ثلاثة شيوخ فتحيروا ، وقالوا : كان لحمه مسموما ، وقد تساقط الشعر ، واليوم نتلف ونهلك كلنا ونستريح ما نحن فيه . وامسوا وهم فى عافية ، واصبحوا كذلك . فلما مضى عليهم خمسة ايام عاد شعرهم الى الظهور وظل يتكامل بعد ذلك ، وهو فى نهاية السواد والبريق ، ولم يحدث أن ابيض منه شيء بعد ذلك . فمكثوا شهرا أو نحوه حتى اجتاز بهم مركب ، فلوحوا له فجاء اليهم ، وحملهم وسلموا ، وفرقوا فى البلاد ، وعاشوا بقية اعمارهم وشعرهم أسود غاية السواد ، لا يشيخون ولا يهرمون

بال (هوت) ضخم

وقعت فى سنة ثلثمائة سمكة ببعض سواحل عمان ، وجزر (انجر) الماء عنها ، فصيدت ، فسحبت الى البلد ، فركب أحمد بن هلال الامير والمسكر معه ، وحضر الناس للنظر اليها وكان الفارس يدخل من فكها ، ويخرج من الجانب الآخر ، وهو راكب لمعلمها ، فانها زرعت ، فكان طولها يزيد على مائتى ذراع وارتفاعها نحو خمسين ذراعا . وبيع من دهن عينيها ، على ما قيل ، بعشرات الآلاف من الدراهم

وروى بعض العراقيين أنه رأى باليمن عند بعض اخوانه رأس سمكة قد ذهب لحمه ، وبقي عظمه صحيحا ، فدخل الرجل من احدى حدقتيها وخرج من الجانب الآخر ، وهو

قائم من غير أن ينحنى . وهذا السمك كثير ببحر الزنج (غربي المحيط الهندي) وهو بكسر المراكب مولع ، فإذا تعرض للمركب ضربوا الطبول وصاحوا ، وربما نفخ الماء ، فيرتفع مثل المنار ، وربما لعب بذنبه فيرى من بعد مثل شراع المراكب

ملازمة البال للمراكب

مثل بعض البحارة عن ملازمة البال للمراكب في السواحل المصورة والبحار المهجورة ، فقال : « ذلك يختلف باختلاف البال ، فمنه ما يحاذي المراكب ليسقط منها شيء فيلتقمه وربما عثر قبل ذلك على مركب قد عطبت فنال منها ، فصعب إذا رأى مركبا حاذيا طمعا أن يحدث منها ما حدث من غيرها . ومنه ما يرى المركب فيتعجب من شكلها ، ويظنها حيوانا بعضه في الماء وبعضه في الهواء ، فيمرح معها ويجارها عشقا لها وتانسابها ، ويظل كذلك مدة حدة قوته ونشاطه إلى أن يعيا فيفارق المركب . ومنه ما يجاري المركب على سبيل المنافسة والمعاندة ، فإذا أحس بالإعياء والتقصر ورأى المركب تتقدم رجع إليها فحمل عليها حملة واحدة ، فان سلمت والا فانسأل الله العفو . ومنه الضاري المتدرب على تحطيم المراكب ، يحمل على المركب حملات حتى يقلبها . ومنه ما إذا ركب المركب فر منها وهرب خوفا على نفسه . فأحواله وأخلاقه تختلف باختلاف أنواعه »

بال في البحر الأحمر

حكى بعض البحريين أنه خرج في مركب من عدن إلى جدة وأن سمكة نظعت المركب بحذاء زيلع نطحة منكورة لم يشك من في المركب أنها كسرتة . وانحدر البانانية (النوتية) إلى قاع المركب ، فلم يجدوا فيها أثرا للحادث . فعجبوا من ذلك

ومن أن هذه النطحة العظيمة لم تؤثر في مركبهم • فلما وصلوا الى جدة أخذوا المركب ودفنوه الى البر ، فوجدوا رأس السمكة في جوفه قد سجن به ، وسد الموضع الذي ثقبه حتى لا يرى فيه خلل • وإذا هي نطحت المركب ، ولم يمكنها الخلاص ، فانقطعت من حلقها وبقي رأسها في موضعه

سلاحف البحر

ذكر بعض شيوخ المراكب أن مركبا خرج من بلاد الهند الى بعض النواحي ، فاندفع من يد صاحبه بقوة عاصفة عاتية عابته بعض العيب • ولاحت جزيرة صغيرة ، فقدموا اليها وأرسوا عليها كي يصلحوا العيب ، ولم يجدوا بها ماء ولا شجرا ، ولكن الضرورة دفعتهم اليها فانزلوا حمولة المركب بها وأقاموا مدة حتى رتقوا العيب ورددوا الى المركب حمولته وعزموا على المسير ، فاتفق أن كان اليوم يوم عيد فجمعوا بعض خشبات مما معهم وبعض خوص وقماش وأوقدوها فتحركت الجزيرة من تحتهم ، فرموا بأنفسهم في الماء وتملقوا بالقوارب ، وغاصت الجزيرة • ولحقهم من اضطراب البحر بحركتها ما أشرفوا به على الفرق • وسلموا بعد تعب شديد وهول عظيم • وإذا بها سلحفاة قائمة على وجه الماء ، ولما أحسست حر النار ولذعها هربت

وعقب الشيخ على حكايته بقوله : « أن للسلحفاة أياما في كل عام تطفو فيها على وجه الماء على سبيل الاستراحة من طول مقامها في كهوف الجبال • وفي البحر غابات وأشجار هائلة أهول وأعظم من شجرنا فوق الأرض • فتخرج السلحفاة على وجه الماء وتمتكت أياما ، وتمسك كالسكران ، فإذا رجعت اليها نفسها وسئمت ما هي فيه غاصت في القاع »

اسطورة التنين

حدث بعض البحارة ان في البحر حيات يقال لها التنين عظيمة هائلة ، واذا مر السحاب في الشتاء على وجه المساء خرج هذا التنين من الماء ودخل فيه ، لما يجد في البحر من حرارة الماء ، لان ماء البحر في الشتاء يسخن كالمرجل ، فاذا احس ببرودة السحاب دخل فيه ، وتهب الرياح فترفعه مع السحاب ويسير من افق الى افق ، فاذا افرغت ما فيها من الماء وخفت وتفرقت وصارت كالهباء لا يجد التنين ما يحمله ، فيسقط اما في البحر واما في البر ، فاذا اراد الله تعالى يقوم شرا اسقطه على سفينتهم او في ارضهم ، فيبتلع السفينة كما يبتلع الخيل والجمال والبقر والواشي . . ويظل حتى لا يجد شيئا يأكله فيموت او يهلكه الله . والبحارة يصرونه في السحاب ، يعبر على رؤسهم اسود ممدودا ، وكلما تراخى هبط الى اسفل ورسب ، وربما تدلى طرف ذنبه في الهواء فاذا احس ببرودته دفع نفسه في السحاب وغاب عن الابصار

حية تاكل الفيلة

وعلى نحو ما كان الملاحون يحكون عن التنين وسلاحف البحر والبال والرخ حكايات عجيبة ينكرها العقل ، كذلك حكوا عن الحيات في الهند وجزرها ، فمن ذلك هذه الحكاية :

كان يسير ربان في مركب ، فاشتدت عليه الريح وعصف به اعصار شديد الجأء الى خليج ، فدخله ، واقام به يومه وليلته ، فلما كان من الغد اجتازت به حية هائلة المنظر عظيمة لا تقاس بشيء لكبرها ، ثم نزلت الى جانب من الخليج فعبرت منه الى الجانب الآخر كأنها البرق لسرعتها . وبعد المصراعات فعبرت الخليج على رفق ، ولم تزل على ذلك خمسة ايام ، تجيء

فى كل يوم غدوة ، فتعبر وتعود بعد العصر • فلما كان اليوم السادس قال الربان للتوتية : انزلوا الى البر ، وانظروا الى اين تمضى هذه الحية ، فنزلوا بعد انصرافها فى اليوم السادس الى البر ، ومشوا فى تلك الارض نحو ميل ، فاذا هم بأجمة وغيضة ومستنقع ماء ملوء بانياب الفيلة كبارا وصغارا • فجاءوا بالخبر الى الربان ، فنزل معهم فى الفد ، وحملوا بعض الانياب الى المركب ، وظلوا ينقلونها بعد أن تنصرف الحية ، حتى جلبوا منها شيئا كثيرا يعظم مقداره ، ورموا من المركب كل ما استغنوا عنه ، حتى يستطيع السير بسا جليوه • وخرجوا من الخليج بعد أن أقاموا فيه عشرين يوما ، وإذا بتلك الحية كانت تاكل الفيلة وتبقى أنيابها !

الرقية من لدغ الحيات

ذكر بعض البحريين أن بكولم مى (آخر ثغور شاطئء الملبار) حية تسمى الناگران ، منقطة ، وعلى رأسها مثل صليب أخضر ، وترفع رأسها من الارض مقدار ذراع وذراعين على قدر كبرها ، ثم تنفخ رأسها وأصدافها فتصر مثل رأس الكلب ، وإذا سعت لم تلحق ، وإذا نهشت قتلت • وان بكولم مى رجلا مسلما يسمى بالهندية بنجى ، وهو صاحب الصلاة ، يرقى نهشة هذه الحية ، فاذا لم يتمكن سمها ممن لدغته نفعت رقيته ، وفى الأكثر يعيش من رقيه • ويرقى أيضا من نهشتها ونهشة غيرها من الافاعي والحيات بهذه الناحية جماعة من الهند • وهناك بهذه الناحية ضرب من الحيات الصغيرة ، لها رأسان أحدهما صغير وإذا نهشت به لم تمهل طرفة عين

حية تبتلع تمساحا

وحكى بعض الربانة أن حية جاءت الى خليج صيمور (جنوبى

بومباي) فابتلعت تمساحا كبيرا ، وبلغ صاحب صيمور
 الخبير ، فوجه من يطلبها ، فاجتمع عليها أكثر من ثلاثة آلاف
 رجل وظلوا يدأورونها حتى ظفروا بها ، وشدوا في عنقها
 الحبال ، وجاء جماعة من أصحاب الحيات ، فقلعوا أنيابها
 وقد شجت من رأسها الى اذنها • وذرعوها (قاسوها) فكانت
 أرمين ذراعا ، وحملها الرجال على أعناقهم وكانت تزن آلاف
 الأربطال ، وكان ذلك في سنة أرمين وثلاثمائة



جزيرة القردة

كان مركب يبعث من عمان الى بلاد الصنف (الهند الصينية)، فأصيب في طريقه ، وسلم من أهله نحو عشرة في قارب ، فحملتهم الرياح الى جزيرة مجهولة ، لا يعرفونها ، فرموا بأنفسهم على ساحلها ، وليس لهم قدرة على حركة لشدة مالحقتهم في البحر من الاهوال والشدائد ، فمكثوا هنالك بقية يومهم ثم قاموا فخرجوا القارب الى الساحل ، وباتوا ليلتهم عنده . فلما أصبحوا مشوا في الجزيرة ، فوجدوا فيها ماء عذبا كثيرا وغوطة (روضة) حنة ، وأشجارا متكاثفة ، فيها ثمار شتى وموز كثير ، وقصب سكر ، ولم يروا فيها انسيا ، فاكلوا مما اشتوهوا من الثمار وشربوا من ذلك الماء ، وانصرفوا الى قاربهم فسندوه بالخشب وظلوه بورق الموز والشجر واحكموا أمره وأصلحوا لأنفسهم الى جانبه موعدا يسترهم . فلما مضت عليهم خمسة أيام او ستة فاذا هم بقطع قرود قد اقبل يتقدمه قرد كبير جسيم ، واجتمعت القرود حول القارب وفزع القوم منهم . ولم تلبث القردة أن صعدت الى القارب فلم يتعرض لها أحد ، ووقف رئيسهم يفرقهم يمينا وشمالا ، وجعل بعض القردة يوميء الى بعض كأنهم يتحدثون بشيء . ولما أمسوا انصرفوا ، فخاف القوم على نفوسهم ان تقتلهم القردة ، وجعلوا طوال ليلهم يفكرون في الخلاص ، وباتوا بأسوا حال لا يهتدون لحيلة ، ولا يعرفون طريق النجاة . فلما أصبحوا جاءتهم قردة

قطافت بهم ، ثم مضت ثم عادت ومعهما قردة أخرى ، فاومات
 الى القوم بشيء ، فتبعها واحد منهم ، ودخل ورامها الفوطه ،
 ثم خاف على نفسه فرجع . فلما كان من غد عاودت القروود
 الايماء والاشارة . وجلس رئيسهم في القارب ، وانفذ جماعة
 منهم الى الفوطه . ولما مضت ساعة من النهار جاء قردان ،
 ومع كل منهما قطع ذهب في نهاية الجوده ، فطرحاها بين
 يديه . ثم عادت القردة باجمعها ، ونزل القوم الى الارض فاخذوا
 الذهب ، فاذا هو مثل العروق الضلاط وفي نهاية الجوده ،
 فسروا سرورا عظيما ، نسوا به ما هم فيه . ولما أصبحوا جاءت
 قرده بئس بهم ثم مضت ، فمضى خلفها واحد من القسوم ،
 وامسكت في الفوطه ، ثم خرجت الى صحراء أرضها رمله سوداء
 فحفرت القردة بين يديه ، وحفر معها الرجل فوجد عروق
 الذهب مشتبكة ، ولم يزل يستخرجها ويقلمها الى أن ادمت
 أصابعه ، وجمع ما استخرجه وحمله ورجع ، الا انه ضل في
 بعض الطريق ، ودخل عليه الليل ، فتعلق ببعض الشجر وبات
 فيه ليلته . ولما أصبح رأى جماعة القردة تسمى ، وتبعها الى
 أن رأى البحر ووافى أصحابه ، فتلقوه وهم يكون وقالوا له :
 اننا لم نشك في أنك قد تلفت . وحدثهم بما رأى وطرح الذهب
 بين أيديهم ، وفرحوا ولكن لم يلبث أن اخذهم الهم والغم ،
 لانهم وجدوا هذه الكنوز ولم يجدوا مركبا كبيرا يحملونها
 فيه ، واذا حملوها في القارب لم يأمنا الفرق لصفره ، وهم
 لا يعرفون طريق العودة . وأجمع رأيهم على أن يمضوا الى تلك
 الصحراء ويستخرجوا الذهب ويحملوه الى قاربهم ويتكلموا على
 الله ، لعله ينقذهم . فكانوا يمضون في كل غداة لا تأتيهم
 فيها القروود ويقلمون الذهب ويحملونه ، وحفروا حفرة كبيرة

عند القارب ودفنوه فيها . ولم يزالوا يقلعون الذهب وينقلونه
سنة سنة وهم يأكلون من ثمار تلك الجزيرة ويشربون من مائها
وبينما هم على حالهم تلك اذ مر بهم مركب مسافر الى عمان
قد اسقطته اليهم الرياح ، فمات اكثر رجاله غرقا وعطشا .
فلما راوا الجزيرة ارادوا الالتجاء اليها ، ولم يستطيعوا لضعف
المياه قرب الساحل ، واحدوا النظر الى البر ، فراوهم وراوا
القارب ملقى على الارض ، وتطارح لهم رجلان من رجال
المركب بحبل ، وراوهما فاخذوا حبالهم وتطارحوا اليهما في
البحر ، وربطت الحبال بالحبال . ولما صارت حبال المركب
في البر مضى اليها اثنان من القوم ، فاذا من فيها قد اشرفوا على
الموت ، وتوسلوا اليهما ان يجذبا المركب الى البر ، وقال الريان
يا اخواننا اجذبونا الى الارض واخذوا المركب لكم ملكا ، فقال
الرجلان ليس لنا مارب في ذلك ، انما نريد ان تعطونا نصف
المركب ، لنملأه بما معنا ولا يشاركنا فيه ولا يعترضنا احد ،
فقال الريان لكما ولقومكما ذلك . وتماقدوا وشهد بعضهم
على بعض . وتطارح القوم واخذوا يجذبون المركب بالحبال
ولما راتهم القردة يصنعون ذلك ايدتهم وجذبت الحبال معهم
فجاءت المركب في اسرع وقت ، ونزل من فيها الى البر ،
واستلقوا عليه شوقا اليه ، لما جرى عليهم . ولما اصبحوا
عرفهم القوم موضع الثمار فاكلوا وشربوا ورجعت لهم نفوسهم
وجاءت القردة من الغد بالذهب على العادة ، فأثرهم القوم
به ، لانهم كانوا قد اخذوا كفايتهم منه . وما زال الريان
وجماعته يستخرجون الذهب حتى اكتفوا ، وراوا الاقلاق
ووائت الرياح ، فشحنوا المركب ذهبا ، نصفها للقوم ونصفها
لريان ومن معه ، ورحلوا ، فدخلوا الهند واخذ كل منهم نصيبه

وقد حصل لكل منهم - كما يقول الراوى - ألف ألف (مليون)
مثقال ومائة ألف وأربعة وأربعون ألف مثقال

من نوادر القردة

يقال انه كان فى قرية من قرى عمان قرد بمنزل بعض
التجار ، كان يخلعه ، فيكنس منزله ، ويفتح لمن دخل
ويطلقه خلفه ، ويوقد النار تحت القدر ، وينفخ فيها حتى
تشتعل ، ويرمى لها بالحطب ، وينش الذباج على المسائدة
ويروح على سيده بالروحة !

وكان بمدينة من مدن اليمن حداد عنده قرد ، ينفخ على الكور
طوال نهاره ، وقد ظل عند الحداد يقوم بهذا العمل سنين
طويلة !

ومن أغرب نوادر القردة ما يحكى من أن قردا كان فى منزل
رجل ببعض بلاد اليمن وأن الرجل اشترى لحما ، وجاء به الى
منزله ، فأوما الى القرد : أن احفظ اللحم ، فجاءت حدأة ،
فخطفت اللحم ، فبقى القرد متحيرا ، وكان فى الدار شجرة
فصعد الى رأسها ورفع مؤخرته الى السماء وأدلى رأسه الى أسفل
وجعل يديه الى جانبي مؤخرته . فظننت الحدأة أن مؤخرته من
جملة اللحم الذى اختطفته ، فانقضت عليه ، فتلقاها القرد بيديه
فقبض عليها ، وأنازلها الى الدار ، فوضعها تحت جفنة (قدر)
وغطاها بشئ ثقيل . فجاء صاحب المنزل ، فلم يجد اللحم ،
فقام الى القرد ليضربه . فجرى القرد الى الجفنة ، وأخرج
الحدأة ، ففطن الرجل لما جرى ، وأخذ الحدأة فنتف ريشها
وصلبها على الشجرة

المد والجزر

ومن احاديث البحريين ما يحكى عن عبهرة الربان ، واصلمه من كرمان (في ايران) وكان ببعض قراها يرمي القنم ، ثم صار صيادا ، ثم صار احد بانانية (نوتية) مركب يختلف الى الهند ، ثم تحول الى مركب صيني ، ثم صار بعد ذلك ربانا ، وكان يعرف بحسر الهند وطرانقه ، وسافر الى الصين سبع مرات . وحدث ان اكسر به مركبه ذات مرة ، فنزل في مطيال (قارب النجاة) واخذ معه قربة ماء ، فمكث في البحر اياما . وحكى عن شهريارى الربان وكان احد ربانة الصين انه قال :

« كنت امضي من سراف الى الصين فلما صرت بين الصنف (الهند الصينية) والصين بالقرب من صندر فولات (جزر هاى نى شرقى الهند الصينية) وهى رأس بحر صنخى ، وهو بحر الصين ، وقفت الريح فلم تتحرك وسكن البحر ، وطرحنا الاناجر (جمع انجر : الهلب) واقمنا بمكاننا يومين ، فلمسا كان فى اليوم الثالث راينا بالبعد شيئا فى البحر ، فطرحت الدونيچ (قاربا) الى البحر ، وانفلت فيه اربعة من البانانية وقلت : اقصدوا ذلك السواد فانظروا ما هو ؟ فمضوا وعادوا فقلنا ما ذلك الشيء ؟ فقالوا عبهرة الربان على مطياله (قاربه) ومعه قربة ماء ، قلت لهم : فلم لم تحملوه ؟ فقالوا : قد اجتهدنا به ، فقلل : لا اصمد الى المركب الا بشرط ان اكون الربان فادير المركب واخذ اجرنى ، وهى قيمة الف دينار متاعا

بشراء سيراڤ (نغر على خليج العرب) والا نم اصعد . فلما
 سمعنا هذا الكلام تعلقت نفوسنا بقوله ونزلت وجماعة من
 المركب اليه ، وهو في البحر ترفعه الامواج وتضعه ، فسلمنا
 عليه وتضرعنا اليه في الصعود (معنا) ، فقال : حاكمم اقبج من
 حالي ، وانا الى السلامة اقرب منكم ، فان دفعتم لي قيمة الف
 دينار متاعا بشراء سيراڤ ورددتم الى امر المركب صعدت ،
 فقلنا هذا مركب فيه امعة واموال عظيمة وخلق من الناس
 ولا يضرننا ان نعرف ما عند عبهرة من الرأى بالف دينار .
 وصعد واللتويج والتقربة معه الى المركب فلما حصل فيه
 قال سلموني متاعا بالف دينار ، فسلمناه اليه ، فلما احرزه
 قال للريان : اجلس الى ناحية ، فتباعد ذلك عن موضعه
 (من قيادة المركب) وقال (عبهرة) : ينبغي ان تجدوا في امركم
 مادام عليكم مهلة ، فقلنا فيم ذا ؟ فقال : ارموا الثقل (الحمولة)
 كله الى البحر ، فرمينا نحو من نصف حمولة المركب أو أكثر
 ثم قال : اقطعوا الدقل الاكبر (سهم المركب الكبير) فقطعناه
 ورمينا به الى البحر ، فلما اصبح قال : ارفعوا الاناجر
 واتركوا المركب يسير لنفسه ، فقطعنا ، فقال : اقطعوا الانجر
 الكبير ، فقطعناه ، وبقي في البحر ، ثم قال : ارموا بالانجر
 الفلاني ، فلم يزل كذلك حتى رمينا في البحر ستة اناجر .
 فلما كان في اليوم الثالث ارتفعت سحابة مثل المنارة ، ثم تفرقت
 في البحر ، وأخذنا الخب (اعصار حلزوني شديد) فلولا انا
 كنا قد رمينا بالحمولة وقطعنا الدقل لكننا قد غرقنا من أول
 موجة أخذتنا . ولم يزل الخب ثلاثة أيام بلياليها ، والمركب
 يصعد وينزل بغير أنجر ولا شراع ، لا ندرى كيف نمضي .
 فلما كان في اليوم الرابع أخذت الريح في السكون ، وتم سكونها

وصلاح أمر البحر في آخر النهار . وأصبحتنا في اليوم
 الخامس والبحر طيب ، والرياح مستقيمة ، فأصلحتنا دقلا
 ورفعنا الشرع وسرنا وسلم الله . ووردنا الى الصين ، وأقمنا
 الى أن بعنا واشترينا وأصلحتنا المركب وأخذنا دقلا بدل
 الدقل الذي ومينا به في البحر . وخرجنا من الصين نريد
 سراف ولما قاربنا الموضع الذي قدونا انا رأينا فيه عبهرة
 اجتزنا بجزيرة وجبال ، فقال عبهرة : اطحوا الاناجر ففعلنا ،
 ثم طرحنا القارب الى البحر ، ونزل فيه خمسة عشر رجلا ،
 وقال لهم : امضوا الى تلك المواضع وأوما الى بعض الجبال ،
 فهاتوا الانجر الفلاني ، فمجبنا من ذلك ولم نخالفه ، ومضوا
 وعادوا وهو معهم ، ثم قال : امضوا الى ذلك الجبل الآخر
 وأوما اليه فهاتوا الانجر الفلاني ، فمضوا وعادوا والانجر معهم .
 ثم قال ارفعوا الشرع ، فرفضناها وسرنا ، فقلنا له : كيف
 عرفت أمر هذه الاناجر ؟ فقال : نعم لقيتكم في هذا الموضع في
 وقت مد الماء وقد نقص الماء قلدا صالحا وكنتم في وسط الجبال
 والجزيرة ، فامرتمكم بطرح الثقل من الامتعة ففعلتم . ثم فكرت
 في أمر الاناجر ، فاذا حاجتنا اليها في الصين غير ماسة ، ولم
 يبق في المركب من الامتعة الا ماقيمة وزن الاناجر منه اضعاف
 قيمة الاناجر ، فوميت بها لذلك لانه لم يكن بد من تخفيف
 المركب ، فحصلت هذه الاناجر الثلاثة فوق الجبل والجزيرة
 ظاهرة ، وحصلت الثلاثة تحت الماء . فقلنا له : كيف استدليت
 على هذا النقصان والخب (الاعصار) فقال :
 نعم قد جرب هذا البحر قبلى وجربته ، فوجدنا
 في راس كل ثلاثين (يوما) ينقص نقصا عظيما حتى
 تنكشف هذه الجبال ، ويكون في وقت هذا النقصان خب

عظيم ... وقد انكسر المركب الذى كنت فيه على رأس جبل من هذه الجبال ، لان النقصان (الجزر) لحقنى وأنا أسير عليه ليلا ، وسلمت فى ذلك المطيل (القارب) ولو بقيتم فى موضعكم (الذى لقيتكم فيه) لما بقيتم فى البحر أكثر من ساعة ، ثم ينجح مركبكم وينكسر ، لانكم كنتم على الجزيرة ان جنحتم عليها انكسرتم »

ملح وبركة

كان سعيد الفقير رجلا صالحا من اهل عدن يضفر القفاف والخص ، ويلزم مسجدا يصل فيه سائر الصلوات ، وكان له ثلاثة بنين يعيشون معيشة كفاف . وحدث ان بعض البحريين جهز مركبا الى كلاء (فى شبه جزيرة الملايو) وكان صديقا لسعيد ، فلما عزم على المسير قال له : اسألنى أى حاجة أودبها لك ، فاشتري سعيد بنصف درهم جرة من خزف خضراء وبربع درهم ملحاجر يشاوجمله فيها ، ودفعها اليه ، وقال له : هذه بضاعتى ، قال له : فما اشترى لك ؟ قال : اشترى بركة كما تقول الناس . وأبحر المركب ووصل الى كلاء ، وباع الریان مافيه . ونسى الجرة ، فينما هو ذات يوم فى سوق كلاء وقد حان وقت رحيله اذا رجل يجر سمكة فى حبل وينادى : من يشتري بركة . فلما سمع ذلك ذكر جرة سعيد الفقيه ، فدعا صاحب السمكة وسأله عنها ، فقال : هذا جنس من السمك يسميه الصيادون بركة ، فقال فى نفسه : لأصل الرجل أراد هذه السمكة بعينها فاشتراها على أن يعطيه بالثمن وزن أوقيتين من الملح ، وأجلسه ، وأرسل بعض أصحابه الى المركب ، فجاء بالجرة ، وأعطى الرجل من الملح ما اتفق عليه . وأمر الریان بحمل السمكة الى المنزل الذى

يسكنة ، ووضع السمكة لتملح ببقية الملح . وبينما هم يخرجون ما فى جوفها اذ وجدوا صدفة ، فشقوقها ، فوجدوا فيها درة . فقال الربان : هذا رزق الله الى سعيد ، وملح السمكة ، وحفظ الدرّة . وابحروا من كلاء الى عدن ، واعطى الدرّة الى سعيد ، فعاش بعد حصولها فى يده مدة يسيرة ثم مات ، فاخذها ابنه الاصغر ، وخرج الى سر من رأى (بلدة بجوار بغداد) الى الخليفة ، وهو يومئذ المعتمد ، فباعها لـ بمائة الف درهم ، وكانت قيمتها اضعاف ذلك

خاتم غريق

خرج مركب من سيراى (ميناء بخليج العرب) الى البصرة فاستقبله خب (اعصار) بعد خروجه بايام ، وانقطعت المراكب، وتعلقت القلوب بأخبار البحر وتاخرت المراكب فيه . وكان فى المركب المذكور خلق كثير من الركاب ، وامتنعة ذات قدر ، وتصادف أن امرأة اشترت سمكا ، وبينما هى تنظفه اذ وجدت فى واحدة منه خاتما ، وامتنعت النظر فيه، فاذا هو خاتم أخيها، وكان ممن ركب فى ذلك المركب، فصرخت وارتفع معها الصراخ . وشاع الخبر ، فصارت منازل جميع من كان له فى المركب قريب او صديق أو عزيز ماتما . ثم جاء الخبر بعد ايام أن المركب انكسر ولم يسلم منه احد

أكلة لحوم البشر

حكى رجلٌ من أهل البصرة كان ينزل في شارع قريش انه خرج من بلده في مركب الى بحر الهند ، فانكسرت ، واقت به الامواج الى جزيرة ، قال :

« فصعدت تلك الجزيرة ، وتعلقت بشجرة كبيرة ، وداريت شخصي بين اوراقها وبث ليلتي ، فلما اصبحت رايت غنما قد اقبلت نحو مائتي راس ، يسوقها رجل لم ار مثله ، عظيم الخلقة ، طويل عريض ، بشع المنظر ، ومعه عصاة يسوق بها غنمه ، فقمعد على ساحل البحر ساعة ، والغنم ترعى بين الشجر ، ثم طرح نفسه على وجهه ، فنام الى حدود نصف النهار ، ثم قام فرمى بنفسه في الماء ، واغتسل وخرج ، وهو عريان ليس عليه الا ورقة تشبه ورق الموز ، الا انها اعرض منه ، وقد جعلها في وسطه كالمئزر (ثوب نصفي) ثم عمد الى شاة فقبص رجلها ، واخذ ضرعها في فيه ، وامتنعه ، ثم فعل ذلك بعدة من الغنم ، ثم استلقى في ظل شجرة . ولم يلبث ان وقع طائر على الشجرة التي انا فيها ، فاخذ حجرا ثقيلا وقذف به الطائر ، فاصابه وسقط بالقرب مني ، فاومأ الى بيده ان انزل . ولخوفي منه بادرت وانا ضعيف ميت خوفا وجوعا . واخذ الطائر ورمى به الى الارض ، وقد رت ان وزنه لا يقل عن مائة رطل ، ونف ريشه وهو حي يضطرب ، ولما نتفه اخذ حجرا قدر عشرين رطلا ، فضرب به راسه ، وتمركه حتى مات . ثم لم يزل يضربه

بالحجر حتى شقه ، ثم جعل ينهشه بأسنانه ، وياكل منه كما
 تأكل السباع حتى أتى عليه ، ولم يبق إلا عظامه . ولما اصفرت
 الشمس قام وأخذ العصا وساق الفم بعد أن صاح صيحة
 افزعتنى . واجتمعت الفم الى موضع واحد ، وأوردها خليجا
 فى الجزيرة فيه ماء عذب ، فسقاها ، وشرب وشربت وقد
 أيقنت بالموت . ثم ساقنا أجمعين حتى جئنا موضعا بين
 الأشجار ، حوله خشب كثير طولا وعرضا ، وله شبه باب ،
 ودخلت الفم ودخلت معها ، وإذا فى وسط ذلك الموضع شبه
 بيت أقيم على خشب وثيق فى ارتفاع نحو عشرين ذراعا .
 وماعمل شيئا سوى أن أخذ شاة كانت من اصفر الفم وأهزلها ،
 فلدق رأسها بحجر ، ثم أجبج ناراً ، وجعل يقطع اللحم بيديه
 وأسنانه كما تفعل السباع ، ورمى اللحم مع الجلد والصوف فى
 النار ، وأكل جميع ما فى جوف الشاة نيئاً ، ثم عمد الى الفم
 فلم يزل يشرب من هذه وتلك حتى شرب من عدد كثير . ثم
 صعد فأخذ معه شيئا كان يشربه . ثم نام فجعل يغط كما
 يغط الثور . ولما انتصف الليل جعلت ادب قليلا قليلا الى موضع
 النار وتتبع مابقى من اللحم ، فأكلت مايمسك رمقى ، وكنت
 خائفا أن تنفر الفم فينتبه ، فيجعلنى مثل الطائر أو كالشاة .
 وبقيت مطروحا الى القد . فلما أصبح نزل وساق الفم وساقنى
 معها ، وكان يكلمنى فلا أفهم كلامه ، وكلمته بما أعرف من
 اللغات فلم يفهم منى شيئا ، وكان قد صار على شعر عظيم ،
 وأظنه لما رأى على تلك الصورة القبيحة عافتنى نفسه ، فأخر
 أكلى . ولم أزل معه فى تلك الحال عشرة أيام ، يفعل كل يوم
 مثل ما فعله فى سابقه ، ولا يمضى يوم دون أن يصطاد طائرا
 أو طائرين ، وأن حصل له من الطيور ما يشبعه لم ياكل شيئا

من الغنم ، وإن قلت الطيور أكل شاة . وصرت أعاونه في وقود النار وجمع الحطب وأخدمه ، وأدبر الحيلة لنفسى حتى أخلص منه ، الى أن مضى لى عنده شهران ، وصلح جسمى . ورايت فى وجهه أكل السرور ، وفهمت أنه عزم على أكلى ، وكان يأخذ ثمرا من شجر فى الجزيرة ينقعه فى الماء ، ثم يصفيه ويشربه ، فيسكو طوال ليلته ، حتى لا يعقل . وكنت أرى فى تلك الجزيرة طيوراً كباراً كالفيل والجاموس وأكبر وأصغر ، ومنها شيء قد أكل بعض غنمه ، ولذلك بيت هو وغنمه فى تلك الحظيرة خوفاً من تلك الطيور . وفى ليلة من الليالى صيرت حتى سكر ونام ، فقممت وتعلقت بشجرة ودليت غصنا من أغصانها الى الأرض ، ومضيت على وجهى أطلب صحراء قد كنت رايتها من تلك الشجرة . ولم أزل أمشي الى الصباح ، ثم خفت وتعلقت بشجرة عظيمة الساق ومعى خشبة قد أعددتها ، حتى أن لحقنى ضربت بها رأسه ، فاما أن اقتله واما أن يقتلنى ، والموت على كل حال لابد منه . ومكثت يومى هذا فى الشجرة ، ولم أره ، وقد كنت أخذت معى قطعة من اللحم ، فلما أمسيت أكلتها ، ونزلت فمشيت الى الصباح ، فوجدت نفسى فى صحراء وفيها أشجار متفرقة فمشيت وأنا لا أرى أحداً إلا الطيور وحيات ووحوشاً لا أعرفها ، ورايت ماء عذبا ، فأقمت بجانبه . وجعلت آخذ من تلك الثمار والموز وأكل منها والطيور تطوف بالقوطة ، وعابنت طائرا منها ضحكا ، فأعددت شيئا من قشور الشجر مثل سبل الحبال ، ولم أزل أرسد الطائر حتى سقط يرعى ودوت من خلفه ، فتعلقت بساقه وهو مشغول برعيه ، وشددت نفسى بالحبال . ولما فرغ من أكله شرب ماء ، وحلق فى الهواء ، وأشرفنا على البحر ، واستسلمت للموت ، ولم يلبث أن انحط

على جبل في الجزيرة ، فحللت نفسي من ساقه ، وأنا ضعيف ، وجعلت أجر نفسي خوفا منه ، ونزلت من الجبل وتعلقت بشجرة ، واخفيت شخصي فيها . ولما أصبحت رأيت دخانا ، فقلت لابد ان عنده ناسا ، ونزلت أمشي الى ناحيته ، فلما مشيت قليلا حتى استقبلتني جملة ، وأخذوني وكلموني كلاما لم افهمه ، وحملوني الى قريتهم ، وأدخلوني في منزل حبسوني به مع سبع أنفس ، فسألوني عن خبري ، فحدثتهم وسألتهم عن خبرهم فحدثوني انهم اهل مركب كان قد خرج من الصنف (الهند الصينية) الى الزابج (جزر الهند الشرقية) فخرج عليهم خب (اعصار) كسر مركبهم ، وتخلصوا في قارب نحو عشرين رجلا ، فوقعوا الى هذه الجزيرة ، فاخذهم قوم فاقتسموهم ، واكلوا منهم نفرا الى هذا الوقت . وتعجبت وقلت في نفسي : ان مقامي عند صاحب الغنم كان اصلح لي ، وجعلت أتأسي بالقوم . ولما كان الفد جاءونا بسمسم أو شوء يشبهه وموز وسمن وعسل ، وقال لي القوم : هذا طعامنا منذ وقعنا ها هنا . واكلنا مقدار مايمسك رمقنا ، ثم جاءوا فنظروا الينا ، وأخذوا أحسننا حالا في جسده فودعناه ، وأخرجوه الى وسط المنزل ودهنوه من رأسه الى قدمه بالسمن ، ثم أقعدوه في الشمس مقدار ساعتين ، ثم اجتمعوا عليه ، فذبحوه وقطعوه قطعا ، ونحن نرى ، ثم شوهه واكلوه واكلوا أجزاء منه نيئة ، ثم شربوا شرابا ، وسكروا فناموا ، فقلت للقوم : قوموا فنقتل هؤلاء فانهم سكارى ، ونخرج على وجوهنا ، فان سلسلنا فالحمد لله ، وان هلكنا فالهلاك أسهل من هذا البلاء ، واختلف رأينا بقية يومنا ، واظلنا الليل ، وأصبحنا ، فجاءونا بما ناكل على الرسم المعتاد . ومضت اربعة أيام على تلك الحال ،

فلما كان اليوم الخامس جاءونا فأخذوا منا رجلا ، ففعلوا به ما فعلوه بالاول . ولما سكروا وناموا قمنا اليهم فذبحناهم بأسرهم ، وأخذ كل واحد منا سكيئا وشيئا من العسل والسمن والسمن . ولما اظلمت الدنيا خرجنا من المنزل ، ومشينا نطلب الساحل من جانب آخر غير جانب القرية . ودخلنا غوطة فتعلقنا بالشجر ونحن ثمانية ، خوفا من القوم . ولما جن الليل نزلنا ومشينا مهتدين بالكواكب ، وأما من هؤلاء الناس ، فكنا نمشي نهرا ونستريح ونأكل من ثمار الجزيرة وهي كثيرة الموز ، وما زلنا نمشي حتى وقعنا في غوطة حسنة ، وفيها ماء عذب طيب ، فعمزنا على المقام بها أبدا الى أن يقع البنا مركب أو نموت فيها ، فمات منا ثلاثة ، وبقينا خمسة . وبينما نحن في بعض الايام نمشي واذا بقارب قذف به الموج وفيه جماعة قدماء ، والقارب جانح في الطين والموج يضربه وهو مطروح ورمينا بهم في البحر وغسلنا القارب ، وصنعنا له دقلا من الشجر ، وسوينا حبالا من خوص النارجيل (جوز الهند) وشراعا من الليف ، وملأنا بطن القارب من النارجيل والفاكهة وأخذنا معنا ماء ، وكان بيننا ملاح يعرف السفر في البحر ، وسرنا نحو خمسة عشر يوما ، ووقعنا بقرية من قرى الصنف بعد احوال وعجائبه مرت بنا ، وأخبرنا الناس بخبرنا ، فجمعوا لكل منا زادا ، وخرج كل منا يقصد بلدا . ورجعت الى البصرة بعد أربعين سنة من غيبتى ، وقد مات أكثر اهلى ووجدت لابی ولدا لم اكن أعرفه ، وكانوا لما انقطع خبرى قسموا مالى ، فلم يصل الى منه شيء .

وزفة بجاه

قال بعض الملاحين : كنت عند صاحب صندابور (جاه)

يوما ما اتحدث اذ ضحك ، فقال : اتدري لم ضحكتم ؟ قلت : لا ، فقال : على الحائط وزغة تقول : الساعة يجيء ضيف غريب . فمعبت من حماقته ، وأردت الانصراف بعد ساعة ، فقال : لا تبرح حتى تنتظر آخر أمر هذه الوزغة . وانا لفي حديثنا اذ دخل بعض اصحابه ، فقال : وافي الخور (الخليج) من عمان مركب ، ثم لم نلبث الا ساعة ، حتى دخل جملة ومعهما أفصاص فيها قماش ومتاع وماء ورد ، ففتح منها قفص ماء ورد ، فغزت منه وزغة كبيرة ، وصعدت الى الحائط تعدو الى الوزغة الاولى ، فصارت الوزغة وزغتين وانا ارى

تماسيح مسخورة

دخل الى سرنديب رجل هندي صاحب رقي وكهانة وسحر ، فصادف صديقا ، فقال له : اترى ان اريك شيئا ظريفا ، فقال نعم ، فجلس على الخور (الخليج) وتكلم بكلام ، ثم قال له : ان شئت فادخل الخور ، فان التماسيح لا يؤذيكم ، وان شئت فاحضر من يدخل ، وان شئت دخلت انا ، فقال له : تدخل انت ، فدخل هو ، ثم دخل الآخر ، ثم دخل ثالث ، فحمل التماسيح بطوف بهم ولا يؤذيهم . ثم صعدوا ، فقال له : تحب ان اخلي عن التماسيح ، فقال : افعل ، وطرحوا كلبا ، فقطعه التماسيح . فبلغ صاحب سرنديب خبره ، فاحضره ، وقال : عندك كذا وكذا من سحر التماسيح ، فقال : نعم ، فركب معه الى الخليج ، واحضر رجلين يريد قتلها لجناية ، فقال له : تكلم على الخور ، فتكلم ، وادخل احد الرجلين الخور ، فاطافت به التماسيح ، ولم تعرض له ، ثم قال له : خل عنها ، فتكلم ، فقطعت التماسيح الرجل عضوا عضوا ، ثم قال له : قد فعلت فعلا حسنا ، ووجبت مجازاتك ، فخلع

عليه ، ووهب له شيئا ووعدته ومناه . ولم يزل الرجل يتحول
من موضع الى آخر حتى رقى جميع التماسيح . فخور
سرنديب لا يؤذى التماسيح فيه احدا

وضع تقاذفه الامواج

قالت امرأة من اهل الابله (ميناء البصرة) : كان لوالدى
صديق من بانياتية (نوتية) المراكب المختلفة من عمان الى
البصرة ، وكان اذا ورد المركب الذى هو فيه من عمان نزل
الىنا واقام عندنا اياما ، واهدى الينا ، واذا اراد الخروج فعلنا
مثل ذلك ، واهدينا اليه مايمكننا . وكان رجلا مستورا ،
فزوجنى ابنى به ، ومامضت غير ثلاث سنين حتى توفى ابنى ،
فقال لى : قومى حتى احملك الى عمان ، فان لى بها والدة
واهلا ، فخرجت معه الى عمان ، وكنت مع اهله بها مقدار
اربعة سنين ، وهو يختلف بين عمان والبصرة . ثم توفى بعمان
بعد ان ولدت هذا الصبي بخمسة اشهر . فلم يطب لى المقام
بعمان ، لان مقامى بها كان يسببه ، فقلت لوالدته واهله : اريد
ان ارجع الى اهلى بالابله ، فقالوا لى : ان اقمنا عندنا فاسمناك
حياتنا ، فليس لنا فى الدنيا غير هذا الصبي ، وسألونى ذلك ،
فابيت . ولما عزمنا على الخروج اشترت للصبي سريرا وثيقا
من خيزران ، وجعلت فيه ثيابا كنت قد جمعتها لى وللصبي
وذخيرة من الدراهم كنت قد ادخرتها . وغطيت ذلك كله
واحكمته ، وجعلت الصبي فوقه . وخرجت فى مركب يريد
البصرة ، فبينما نحن سائرون اذ اخذنا خب (اعصار)
فانكسر المركب فى نصف الليل ، وتفرقت الركاب والبانياتية فى
البحر ، فلم ير احد منا صاحبه . وتعلقت بلوح من الاواح ،
واحكمت نفسى عليه ، وظللت فوقه الى نصف النهار فى الغد ،

اذ رآنا صاحب مركب مجتاز ، فجمع من الماء نحو عشرة انفس
 كنت انا احدهم . وحملنا الى مركبه ، ونكسوا رءوسنا لنقذف
 الماء الذى شربناه فى البحر ، وسقونا أدوية ، وعالجونا حتى
 رجعت نفوسنا الينا . وانا فى هذه الاثناء قد نسيت ابنى لما
 انا فيه وزال الفكر فيه عن قلبى . وظللت هكذا مدة طويلة ،
 حتى سمعت صاحب المركب يقول : انظروا هذه المرأة
 واسألوها : الها لين ، فان هذا الصبى الذى انقذناه من فوق
 اللجج يموت ، فقالوا لى : الك لين ؟ . فتذكرت ابنى ، وقلت :
 قد كان لى لين ، ولا اظن انه بقى منه شيء لما مربى من الاهوال ،
 فقالوا : الحقى هذا الصبى قبل ان يموت . فجاءونى بالسريبر ،
 وفيه الطفل بحاله ، ما فتحوه ولا اخذوا منه شيئا ، فلما رأيته
 وقعت على وجهى وصرخت وغشى على . فرشوا على الماء ،
 وأفقت بعد ساعة ، واقبلت ابكى واضم الطفل ، فقالوا : ابتها
 المرأة مالك ؟ فقلت : هذا الطفل ابنى . فقام صاحب المركب
 الى ، وقال : ان كان ابنك فإى شيء الذى تحته ؟ فاقبلت امد
 عليهم ماتحته ، وجعلوا يخرجون شيئا بعد شيء كانه انما وضع
 الساعة ، فما منهم احد الا بكى بكاء عظيما ، وحمدت الله وشكرته
 ان جمع بينى وبين ابنى على تلك الصورة

الدرة اليتيمة

كان بعمان رجل يقال له مسلم بن بشر ، وكان مستورا جميل الطريقة ، وكان ممن يجهز الفواصة في طلب اللؤلؤ ، وكانت بيده بضاعة ، فلم يزل يجهز الرجال للفوس ، ولا ترجع اليه فائدة ، حتى ذهب جميع ما كان يملكه ، ولم تبق له حيلة ، ولا ذخيرة ، ولا ثوب ، ولا شيء يمكن بيعه ، الا خلخالا لزوجته بمائة دينار ، فقال لها : اقرضيني هذا الخلخال الالهي الفواصة به ، فلمل الله تعالى يرسل لنا شيئا ، فقالت له : يا ايها الرجل لم تبق لنا ذخيرة ولا شيء نقول عليه ، وقد هلكنا وافتقرنا ، فلان ناكل بهذا الخلخال اصلح من ان نلقه في البحر . فتلطف بها واخذ الخلخال وباعه وجهز بجميعه الرجال للفوس وخرج معهم . ومن شرط الفوس ان يقيم الفواصة فيه شهرين للعمل لاغير ، وعلى هذا يتشارطون . فاقاموا يفوسون تسعة وخمسين يوما ويخرجون الصدف ويفتحونه ، فلا يحصل لهم شيء ، فلما كان اليوم الستون غاصوا على اسم ابليس لعنه الله ، فوجدوا فيما اخرجوه صدفه ، استخرجوا منها حبة لها قيمة كبيرة ، لعل ثمنها يوفي بجميع ما كان يملكه مسلم منذ كان ، والى وقته ، فقالوا له : هذه وجدناها على اسم ابليس ، لعنه الله ، فاخذها وسحقها ورمى بها في البحر . فقالوا له : ايها الرجل لم فعلت هذا ؟ لقد افتقرت وهلكت ، ولم يبق لك امل في ان يقع لك مثل هذه الحبة التي لعلها تساوي آلافا من الدنانير ، فتسحقها ! فقال : سبحان الله ! كيف استحل ان انتفع بمال استخرج على

اسم ابليس ، وانا اعلم ان الله تبارك وتعالى لا يبارك لى فيه ، واما وقعت هذه الحجة بايدينا ليختبرنا الله تعالى بها ، ويعرف الناس اعتقادى . ولئن انتفعت بها ليقندين كل الناس بى ، فلا يفوضون الا على اسم ابليس ، لعنه الله ، فاثم ذلك اكبر من كل فائدة وان كبرت ، ووالله لو كان مكانها كل لؤلؤ فى البحر ما اخذته . امضوا ففوضوا وقولوا : باسم الله وببركة الله . فغاصوا على مارسم لهم ، فما صلى صلاة المغرب فى ذلك اليوم ، وهو آخر يوم من الستين المشترطة حتى حصل بيده دوتان : احدهما اليتيمة ، والاخرى دونها بكثير ، فحملهما الى هارون الرشيد ، فباع اليتيمة بسبعين الف درهم ، والصغرى بثلاثين الف درهم . وانصرف الى عمان بمائة الف درهم ، فبنى بها داراً عظيمة ، واشترى ضياعا واعتقر عقارا ، وداره معروفة بعمان



ربان ضرير في بحر الصين

ركبت هذا البحر في جمع من التجار ، فهبت علينا ريح عاصفة في بعض الايام ، صرفت المركب عن قصده ، ومشيت به ماشاء الله ، وكان ربان المركب شيخا حاذقا الا انه كان أعمى ، وكان يستصحب كل مرة يسافر فيها جبلا كثيرة ، وكان اصحابه يشكرون عليه ذلك ، ويقولون له : لو حملنا مكان الجبال احمال التجار لاصبنا خيرا كثيرا ، وكان يرد عليهم قولهم ويمنهم منه . فلما اصابنا ما اصابنا من الريح كان يقول لاصحابه في كل وقت : انظروا ماذا ترون ؟ وهم يخبرونه بالحال الى ان قالوا : نرى طيورا سوداء على وجه الماء ، فجعل يسدعو بالويل والشبور ، ولطم وجهه ، وقال : هلكنا والله ، فسألناه عن سبب ذلك ، فقال : سترون عيانا ما يغنيكم عن اخباري ، فما مر الا يسير حتى وقعنا في الدردور (الاعصار الحلزوني الدائر) وهو اذا وقع فيه مركب لا يزال يدور ولا يخرج منه البتة . ونظرنا فراينا الطيور السوداء مراكب قد اغرقها الدردور ، وانتشر على سطح البحر من كانوا فيها جثثا طافية . فآخذنا الخوف والفرع ، وانقطع رجلاؤنا من الحياة ، وانتظرنا الموت المحقق . فلما شاهد منا الربان تلك الحالة قال : يا قوم ! اجعلوا لي نصف اموالكم على اخراجكم من هذه الغمة ، وانا احتال في خلاصكم

ان شاء الله تعالى ، فقلنا نعم قد رضينا ، فامر بأخذ قربات
 مملوءة من الدهن (الزيت) وادلائها في البحر ، فصنعنا ما امر
 به فاجتمع عليها من السمك عدد لا يحصى . ثم امرنا أن نجعل
 الجثث الطافية ونشدها بالحبال التي كانت عنده في المركب
 ونرمى بها في البحر ، ففعلنا واجتمع عليها السمك . ثم امرنا
 بضرب الطبول والاختاب والصياح والتصفيق ، واذا بالمركب
 قد تحرك من مكانه وجرى ولم يزل يجرى حتى خرجنا من
 الدردور . فصاح : اقطعوا الحبال عاجلا ، فقطعناها ونجونا
 بقدرة الله من الهلاك والموت

آية للناس

قال رجل من اصبهان (في إيران) : ركبنتي ديون كثيرة ونفقة
 عيال عجزت عنها ، ففارقت اصبهان ، ودارت بي الدوائر حتى
 ركب البحر في جمع من التجار ، فتلاطمت بنا الامواج حتى
 صار المركب في الدردور في بحر الهند ، فقال الريان : يا قوم
 هذا الدردور لا يتخلص منه مركب الا اذا شاء الله ، فقال القوم
 هل تعرف لنا طريقا للخلاص فنسمى فيه ، فقال : ان سمح
 احدكم بنفسه لاصحابه تخلصنا ، فقلت : يا قوم نحن كلنا في
 معرض الهلاك ، وانا رجل كرهت الحياة ، وسئمت البقاء ،
 وكنت اتمنى الموت . وكان في السفينة جمع من التجار
 الاصبهانيين ، فقلت : احلفوا لي انكم تقضون ديوني ،
 وتحسنون الى اولادي ، وانا افديكم بنفسى واوثركم بحياتى ،
 فحلفوا لي على ذلك ، فقلت للريان : انا اسمح بنفسى لاصحابى
 فماذا تأمرنى ان افعل ، فقد سلمت نفسى لله طلبا لخلاصكم
 ان شاء الله تعالى ، فقال لي الريان : آمرك ان تقف ثلاثة ايام
 بلياليها على ساحل هذه الجزيرة ، وكانت بقرب الدردور ، ولا

تفتقر عن الضرب على هذا الطبل ابدا ، فقلت لهم افعل ذلك ، فحللوا لي ايمانا مغلظة على ماشرطته عليهم ، واعطوني من الماء والزاد مايكفيني اياما ، وانزلوني على ساحل الجزيرة ، فوقفت وشرعت في ضرب الطبل ، فرايت المياه تحركت وجرت بالركب وانا انظر اليه ، حتى غاب عن بصرى . فلما فرغت من ذلك جعلت اطوف بتلك الجزيرة فاذا انا بشجرة عظيمة لم ار اعظم منها ، وعليها شبه سطح عريض . فلما كان آخر النهار احسست بهدوء شديد ، فاذا طائر عظيم ابيض اللون ، لم ار حيوانا اعظم منه ، وقع على ذلك السطح . فاخفيت خوفا منه ان يصطادني ، الى ان بدا ضوء الصباح ، فنفض جناحيه وطار . فلما كانت الليلة الثانية ، جاء الطير وسقط على سطح الشجرة كما فعل البارحة ، فدنوت منه ، فلم يتعرض لي بسوء ولا التفت الى ، وطار عند الصباح . فلما كانت الليلة الثالثة جاء الطير على عادته ، فقمعت عنده من غير خوف ، الى ان نفض جناحيه عند الفجر ، فتعلقت برجليه ، بكلنا يدي ، فحملني وطار بي اسرع طيران الى ان ارتفع النهار ، فنظرت نحو الارض ، فما رايت غير لجة البحر ، وكدت اترك رجليه لشدة ما نالني من التعب ، ثم حملت نفسي على الصبر ، الى ان نظرت نحو الارض ، فرايت القرى والعمارات تحتى ، فذهب ما كان بي من شدة التعب . ودنا من الارض ، فرميت بنفسي على كومة تبن في بعض القرى ، والناس ينظرون الى . ودوم (دار) الطائر في الهواء وغاب عنا ، فاجتمع الناس على وحملوني الى حاكمهم ، فاحضر رجلا يفهم لسانى ، فقال لي : من انت ، فحدثته بحديثى كله فتعجبوا منه ، وتبركوا بي ، وامر لي الحاكم بمال كثير ، واقمت عندهم اياما .

وخرجت يوما لاتفرج ، فمشيت الى طرف بحر ، كنت اواه
على بعد ، فاذا انا بالركب الذى كنت فيه قد ارسى ، ولم يلبث
اصحابى ان راونى ، فاسرعوا الى سائلين عن حالى ، فقلت لهم :
انى بذلت نفسى لله فاتقضى ، وجعلنى آية للناس ورزقنى
المال واوصلنى الى وجهتنا قبلكم ، فتعجبوا غاية التعجب ،
وحملونى معهم الى اهل ، وقاموا لى بمال فوق ما اشتترطت ،
فعدت بخير وغنى وسلامة

الجزيرة المحترقة

حكى بعض التجار قال : ركبى بحر الزنج (غربى المحيط
الهندي) فدارت بى الدوائر حتى حصلت فى هذه الجزيرة ،
فرايت فيها خلقا كثيرا ، فبقيت بها زمانا واستأنست بأهلها
وتعلمت شيئا من لغتهم ، فلمسا كانت بعض الليالى رايت
الناس مجتمعين ينظرون الى كوكب طلع من افقهم ، وهم
يكون ويلطمون وينادون بالويل والثبور ، فسالت بعضهم عن
سبب ذلك ، فقال : ان هذا الكوكب يطلع فى كل ثلاثين سنة
مرة ، فاذا وصل الى سمت رعوسنا احترق جميع ما فى هذه
الجزيرة ، ورايتهم يشتغلون بأعداد مراكب ، تعلقوا اليها جميع
ما يخافون عليه من المال والامعة . ولما قرب الكوكب من سمت
رعوسهم ركبوا السفن وركبت انا ايضا معهم ، وسرنا فى البحر
وغنا عن الجزيرة مدة . ولما زال الكوكب عن سمت رعوسنا
عدنا الى الجزيرة فوجدنا جميع ما كان بها من الاشجار والبنيان
قد احترق وصار رمادا . وشرعوا فى العمارة ثانيا . ولا يزالون
كذلك على الدوام فى كل ثلاثين سنة تحترق الجزيرة ويجددون
بنائهم

بيضة الرخ

ذكر عبد الرحمن المغربي انه سافر في بحر الصين ، فالتفتهم
الريح في جزيرة عظيمة كبيرة واسعة ، فنزل بها اهل السفينة
ليتزودوا منها ، ونزل معهم ، فراوا في الجزيرة قبة عظيمة
بيضاء لماعة براقعة اعلى من مائة ذراع ، فقصدوها ، ودنوا
منها ، فاذا هي بيضة الرخ ، فجعلوا يضربونها بالفئوس
والصخور والخشب ، حتى انشقت عن فرخ الرخ وكأنه جبل
راسخ ، فتعلقوا بريشة من جناحه ، واجتذبوها حتى قلعوها ،
وقتلوه ، وحملوا ما امكنهم من لحمه ، ورحلوا ، وطبخ بعضهم
من هذا اللحم واكلوا وكان فيهم مشايخ يبيض اللحم ، فلما
اصبحوا وجدوا لحاهم قد اسودت ، ولم يعد الشيب بعد ذلك
الى احد منهم ، فكانوا يقولون ان العود الذي حركوا به ما في
القدر من لحم فرخ الرخ كان من شجرة الشباب . ولما طلعت
الشمس ونحن في السفينة وهي تجري بنا اقبل رخ ضخم
يهوى كالسحابة العظيمة ، وفي رجليه قطعة من جبل كالبيت
الكبير ولما حاذى سفينتنا من الجو القى ذلك الحجر عليها ،
غير انها كانت مسرعة سرعة شديدة ، فسبقت الحجر ووقع في
البحر وكان لوقوعه هول عظيم . وكتب الله لنا السلامة ونجانا
من الهلاك

جزيرة الحكماء

هي جزيرة خيالية ، روى ابن الوردي ان الاسكندر ذا القرنين وصل اليها ، فرأى بها قوما لباسهم ورق الشجر ، ويوتهم كهوف في الصخر والحجر ، فسألهم مسائل في الحكمة ، فأجابوه بأحسن جواب والطف خطاب ، فقال لهم : سلوا حوائجكم لتقضى ، فقالوا له : نسالك الخلد في الدنيا ، فقال : وأنى ذلك لنفسى ؟! ومن لا يقدر على زيادة نفس من انفاسه كيف يبلغكم الخلد ، فقالوا له : نسالك صحة في أبداننا مابقينا ، قال : وهذا ايضا لا اقدر عليه ، قالوا : فمررنا مابقي من اعمالنا ، فقال : انى لا اعرف ذلك لنفسى ، فكيف اعرفه لكم . فقالوا : دعنا نطلب ذلك ممن يقدر عليه وعلى أعظم منه ، وهو ربنا وربك ورب العالمين

وجعل الحكماء ينظرون الى كثرة جنود الاسكندر ، وعظمة موكبه ، وكان بينهم حكيم لم يهتم بذلك ولا رفع راسه اليه ، فقال له الاسكندر : مالك لا تنظر الى ما ينظر اليه الناس متمعجين ، فأجابه بقوله : ما اعجنى الملك الذى رأيت قبلك حتى انظر اليك والى جنودك وموكبك ، فقال الاسكندر ، وكيف ذلك ، قال الحكيم : كان عندنا ملك وآخر مسكين فماتا في يوم واحد ، وكنت غائبا ، ورجعت ، فاجتهدت ان اعرف الملك من المسكين فلم اعرفه

الاسكندر والتنين

ظهر في جزيرة ببعض السنين تنين عظيم ، فكاد ان يهلك الجزيرة وما بها من السكان والحيوان ، فاستفاث الناس منه بالاسكندر ، وكان قد قلب جزيرةهم ، فذهبوا اليه ، وقالوا له : ان التنين قد اكل مواشينا ، وأتلف أموالنا ، وقطع الطريق

على الناس ، وفي كل يوم تقدم له ثورين عظيمين نصبهما له ،
 فيأتي اليهما في سحابة سوداء ، وعيناه تتوقدان وتلمعان كالبرق
 الخاطف ، بينما يلفظ النار والدخان من فمه . ويهجم على
 الثورين ، فيبتلعهما ، ويرجع الى مكانه في السحاب . فسار
 الاسكندر الى الجزيرة وأمر بالثورين فسلخا ، وحشا جلودهما
 زفتا وكبريتا وزرنيخا ونفطا وزئبقا ، وجعل مع ذلك كلاليب
 من حديد . واقامهما في نفس المكان المهود ، فجاء التنين من
 الغد اليهما على العادة فابتلع الثورين وجلودهما ، فاشتعلت
 النار بجوفه ، وتعلقت الكلاليب بأحشائه ، وسرى الزئبق في
 جسده ، وذهب يضطرب الى مقره . فانتظروه في القصد ، فلم
 يأت ، فذهبوا الى موضعه الذي يجيء منه ، واذا هو ميت ،
 وقد فتح فاه كاوسع قنطرة وأعلاها ، وفرحوا بذلك ، وشكروا
 للاسكندر سعيه ، وحملوا اليه هدايا عجيبة ، منها دابة يقال
 لها المعراج ، مثل الأرنب صفراء اللون ، وعلى رأسها
 قرن واحد أسود ، وهي دابة لا يراها شيء من السباع
 الضواري والوحوش الكاسرة الا هرب منها ، لا يلوى على شيء



تقليد متوارث في الزابج

للزابج ملك يسمى المهرآج ، قصره على واد كوانى دجلة ، يطفى عليه ماء البحر بالمد، وينضب عنه بالجزر، ويتصل به غدِير صغير يلاصق قصر الملك . ومن تقاليدهم المتوارثة أن قهرمان الملك يدخل عليه فى صبيحة كل يوم ، ومعه لبنة قد سبكها من ذهب ، خفى عنى مقدار قيمتها ، فيطرحها بين يديه ، ثم يلقيها فى ذلك الغدير ، فإذا كان المد علاها هى وما اجتمع معها من أمثالها ، وإذا كان الجزر انحسر عن اللبنة جميعا ، فلاحت فى الشمس ، فيراها الملك من مجلسه المطل عليها . ولا يزال ذلك الحال: القهرمان يطرح كل يوم فى ذلك الغدير لبنة من ذهب ماعاش الملك من الزمان ، ولا يمس شيئا منها . فإذا مات الملك أخرجها القائم من بعده كلها ، ولا يدع منها شيئا ، وتحصى ، ثم تذاب وتفرق على أهل بيت المملكة ، رجالهم ونسائهم وأولادهم وقوادهم وخدمهم ، على قدر منازلهم ومآرسم لكل صنف منهم . وما فضل بعد ذلك أعطى لأهل المسكنة والضعف . ويدون عدد لبنة الذهب ووزنها ، ويقال أن فلانا ملك من الزمان كذا سنة وخلع من اللبنة فى غدِير الملوك كذا لبنة ، وأنها فرقت بعد وفاته على أهل مملكته . والفخر عندهم لمن امتدت أيام ملكه وزاد عدد لبنة الذهب فى تركته

حرب بين الزايج والقمار (سيام)

ومن أخبارهم في القديم ، أن ملكا تقلد الملك على بلاد القمار في قديم الزمان ، وكان صغيرا متسرعا ليست عنه حنكة ، فجلس يوما في قصره ووزيره بين يديه ، فقال له ، وقد جرى ذكر مملكة المهراج وجلالتها وكثرة عمارتها وماتحت يده من الجزائر الكثيرة : في نفسى رغبة أحب بلوغها . فقال له الوزير وكان ناصحا وقد عرف منه طيشه وتسرعه : ما هي أيها الملك ؟ قال : أحب أن أرى رأس المهراج ملك الزايج في طست بين يدي فعلم الوزير أن الحسد أثار هذا الفكر في نفسه ، فقال : أيها الملك ما كنت أحب أن يحدث الملك نفسه بمثل هذا ، اذ لم يجر بيننا وبين هؤلاء القوم لا في فعل ولا في حديث ترة (نار) ولا رأينا منهم شرا ، وهم في جزر نائية ، ولا يجاوروننا ولا يطمعون في ملكنا ، ولا ينبغي أن يقف على هذا الكلام احد ولا يبعد الملك فيه قولا . فغضب الملك ولم يسمع من ناصحه ، وأذاع رغبته تلك في قواده ومن كان يحضره من وجوه أصحابه فتناقلته الالسن حتى شاع واتصل بالمهراج ، وكان محنكا ، قد بلغ في السن مبلغا متوسطا ، فدعا بوزيره وأخبره بما اتصل به وقال له : لا يصح ، مع ما شاع من أمر هذا الجاهل وتمنيه ما تمناه بحدائة سنه وقلة تجربته وانتشار ذلك من قوله ، أن نمسك عنه ، فان ذلك مما يفت في عضد ملكنا ويضع منه ، وأمره بستر ما جرى بينهما ، وأن يعد له ألف مركب من أوساط المراكب بالآتها ، ويندب لكل مركب منها جملة من عدة السلاح وشجعان الحرب ، وأظهر أنه يريد التنزه في جزائر مملكته . وكتب الى ملوكها الداخلين في طاعته بما عزم عليه من زيارتهم والفرجة في جزائرهم حتى شاع ذلك ، وتأهب

ملك كل جزيرة لاستقباله . ولما استتب له أمر المراكب واعدتها
عبر بها وبالجيش الى مملكة القمار ، واتجه توا الى الوادى المفضى
الى قصر الملك ، وأحاط بالقصر فجأة، ووقع الملك أسيرا فى يده .
فأمر أن ينادى فى قمار بالامان ، وأحضر الملك ووزيره ، وقال
له : ما حملك على تمنى ما ليس فى وسعك ؟ فلم يجر جوابا ،
ثم قال له : أما انك لو تمنيت مع ما تمنيته من النظر الى رأسى
فى طست بين يديك اباحة أرضى وملكها لاستعملت ذلك فى
ملكك ، ولكنك تمنيت شيئا بعينه ، فأنا منزله بك ، وراجع
الى بلدى من غير أن أمد يدى الى شيء من بلادك مما دق وعظم ،
لتكون عظة لمن بعدك . ثم ضرب عنقه ورجع الى بلاده . واتصل
الخبر بملوك الهند والصين ، فعظم المهرج فى أعينهم ، وصارت
ملوك القمار من بعد ذلك كلما أصبحوا قاموا وحولوا وجوههم
نحو بلاد الزابج ، فسجدوا للمهرج تعظيما له !

لؤلؤة فى قم تطب

من عجائب الرزق أن أعرابيا ورد البصرة فى قديم الايام ،
ومعه حبة لؤلؤ لا يعرف قيمتها ، فصار بها الى عطار كان يالفه
فاطهرها له ، وسأله عنها وعن قيمتها ، فأخبره انها لؤلؤة، فقال
له : وما قيمتها ؟ قال العطار : مائة درهم، فاستكثر الاعرابى ذلك،
وقال له : هل أحد يبتاعها منى بما قلت ؟ فدفعت له المطار :
مائة درهم وأخذها ، فقصدها بها مدينة دار السلام (بغداد) فباعها
بجملة من المال ، واتسع العطار فى تجارته . وكان قد سأل
الاعرابى عن كيفية عشوره على حبة اللؤلؤ ، فقال له : مسرت
بالصمان من أرض البحرين ، فى موضع بينه وبين الساحل
مدة قريبة ، فرأيت فى الرمل ثعلبا ميتا ، قد أطبق فمه على
شيء ، وأمعنت النظر فوجدت هذا الشيء كمثل الطبق ، وجوفه

يلمع بياضا ، ووجدت هذه اللؤلؤة في الطبق (الصدف) فأخذتها
 قال العطار : فعرفت سبب حصولها في فم الثعلب ، فان الصدفة
 خرجت الى الساحل ، وتمر بها الثعلب ، فلما عاينها ورأى جوفها
 وهي فاتحة فمها وثب بسرعة ، فادخل فمه فيها ، فاطبقت عليه
 الصدفة ، ومن شأنها اذا احسست بيد تلمسها أو أى شىء أطبقت
 فمها عليه ، ولم تفتح بآية حيلة ، حتى تشق من آخرها بالحديد
 ضنا منها باللؤلؤ وصيانة لها كصيانة المرأة لولدها . فلما
 اخذت بفم الثعلب وضاق بها أمعن في العلو يضرب بها الارض
 يمينا وشمالا الى أن أخذت بنفسه فمات . وظفر بها الاعرابى
 فكانت من نصيبه



أقصصة الفتية المغربين

وهي ليست من قصص المحيط الهندي ، وإنما هي من أقاصيص المحيط الاطلسي (الأوقيانوس أو بحر الظلمات) ، وهي ترمز الى رحلات العرب في الأندلس نحو الجنوب الغربي من بلادهم ، ومن المؤكد أنهم زاروا جزائر أزورا وماديرا والخالدات وهي نفسها الجزائر التي يظن أن هؤلاء الفتية في الاقصصة زاروها . والادريسي يروي القصة على أنها قصة حقيقية ليس فيها شيء من الخيال ! قال :

« من مدينة أشبونة (لشبونة) كان خروج الفتية المغربين (المخاطرين) الى بحر الظلمات ، ليعرفوا ما فيه ، وإلى أين انتهأوه ، وذلك أنهم اجتمعوا ، ثمانية رجال كلهم أبناء عم ، فأنشأوا مركبا حمالا ، وأدخلوا فيه من الماء والزاد ما يكفيهم لاشهر . ثم دخلوا البحر مع هبوب الريح الشرقية ، فجروا به نحو من أحد عشر يوما ، فوصلوا الى بحر غليظ الموج ، كثر الروائح ، كثير الربوش (الأعشاب) والضباب ، فأيقنوا بال تلف فسارعوا الى تغيير وجهتهم ، وجروا في ناحية الجنوب اثني عشر يوما ، فخرجوا الى جزيرة الغنم ، وهي جزيرة فيها من الغنم ما لا يأخذه عد ولا تحصيل ، والغنم فيها سارحة ، لأراعى

لها ولا ناظر اليها ، فآرسوا عليها ، ونزلوا بها فوجدوا عين ماء جارية ، وعليها شجرة تين برى ، فأخذوا من تلك الفنم فذبحوها فوجدوا لحومها مرة لا يقدر أحد على أكلها . فأخذوا من جلودها . وعادوا الى البحر ، فساروا الى الجنوب اثني عشر يوما ، الى أن لاحت لهم جزيرة ، ولما اقتربوا منها راوا فيها عمارة وحرثا فقصدوا اليها ليروا ما فيها . فما كان غير بعيد حتى أحيط بهم فى زوارق هناك ، فأخذوا ، وحملوا فى مركبهم الى مدينة على ضفة البحر ، فأنزلوا بها فى دار فرأوا بها رجلا شقرا ، شعورهم مسترسلة ، وهم طوال القدود . ولنسائهم جمال عجيب . فاعتقلوا فى هذه الدار ثلاثة أيام ثم دخل عليهم فى اليوم الرابع رجل يتكلم باللسان العربى ، فسألهم عن حالهم ، وفيهم جاءوا وأين بلدهم . فأخبروه بكل خبرهم ، فوعدهم خيرا ، وأعلمهم أنه ترجمان الملك . فلما كان فى اليوم الثانى من ذلك اليوم احضروا بين يدى الملك ، فسألهم عما سألهم الترجمان عنه ، فأخبروه بما أخبروا به الترجمان بالامس ، من أنهم اقتحموا البحر ليروا ما به من الاخبار والمعائب ويقفوا على نهايته . فلما علم الملك ذلك ضحك ، وقال للترجمان أخبر القوم أن أبى أمر قوما من عبيده أن يركبوا هذا البحر ، وانهم جروا فى عرضه شمسها ، الى أن انقطع عنهم الضوء وانصرفوا من غير فائدة تجدى . ثم أمر الملك الترجمان أن يعدهم خيرا ، وأن يحسن ظنهم بالملك ، ففعل . ثم صرفوا الى موضع حبسهم حتى جرت الريح القربية ، فوضعهم فى زورق وعصبوا أعينهم ، وجروا بهم فى البحر مدة من الدهر ، قال القوم : قدرنا أنهم جروا بنا ثلاثة أيام بلياليها ، حتى جاءوا بنا الى البر ، فأخرجونا من الزورق ، وكثفونا الى خلف ، وتركونا

بالساحل ومضوا ، وظللنا على هذه الصورة الى أن تضحى
النهار ، وعلت الشمس في السماء ، ونحن في ضحك وسوء حال
من شدة الكتاف ، وبينما نحن كذلك سمعنا ضوضاء وأصوات
ناس ، فصحنا بأجمعنا . فأقبل القوم الينا ، فوجدونا بتلك
الحال السيئة ، فحلوا وثائقنا ، وسألونا ما خبرنا ، فأخبرناهم ،
وكانوا من البربر ، فقال لنا أحدهم : أتعلمون كم بينكم وبين
بلدكم ؟ فقلنا لا ، فقال : ان بينكم وبين بلدكم مسيرة شهرين ،
فقال : زعيم القوم والأسفا . فسمى المكان الى اليوم أسفا ،
وهو المرسى الذى فى أقصى المغرب ، وبعد أهوال ومخاطرات
وصلوا الى بلدهم ، فأطلق الناس عليهم اسم الفتية المفررين
يقصدون انهم غرروا وخاطروا بانفسهم فى مغامرات ومجازفات
غير مجدية

من رحلة ابن بطوطة :

مسلم فى هيئة جوكية

نزلنا بجزيرة صفرى على ساحل الملبار أو بالقرب منه
فوجدنا بها جوكيا (ساحرا) مستندا الى حائط بيت للإصنام، وهو
بين صنمين منها ، وعليه أثر المجاهدة التى يقوم بها الجوكية ،
أذ لا يأكلون ولا يشربون لمدة طويلة ، وكلمناه فلم يتكلم ، ونظرنا
هل معه طعام ؟ فلم نر معه طعاما . وفى حين نظرنا صاح
صيحة عظيمة ، فسقطت عند صياحه جوزه من جوز التارجيل
(جوز الهند) بين يديه ، ودفعها لنا ففجبنا من ذلك ، ودفعنا
له دنائير ودراهم فلم يقبلها . واتيناه بزاد فردة . وكانت بين
يديه عبادة من صوف الجمال مطروحة ، فقلبتها بيدي فدفعها
الى ، وكانت بيدي سبحة فقلبتها فى يدي فأعطيتة إياها ،
ففر كها بيده وشمها وقبلها وأشار الى السماء ، ثم الى سمت

القبلة ، فلم يفهم أصحابي اشارته ، ففهمت أنا عنه انه اشار
 انه مسلم يخفى اسلامه عن اهل تلك الجزيرة ، ويتمش من
 ذلك الجوز . ولما ودعناه قبلت يده ، فانكر أصحابي ذلك
 ففهم انكارهم ، فاخذ بدي فقبلها وتبسم ، وأشار لنا بالانصراف
 فانصرفنا . وكنت آخر أصحابي فاجذب ثوبي فرددت رأسي
 اليه ، فأعطاني عشرة دنانير . فلما خرجنا عنه قال لي أصحابي:
 لم جذبك ؟ فقلت لهم : أعطاني هذه الدنانير ، وهو رجل مسلم
 إلا ترون كيف أشار الى السماء ، يشير الى انه يعرف الله
 تعالى ، وأشار الى القبلة يشير الى معرفة الرسول عليه
 السلام ، واخذه السبحة مصداق ذلك ، فرجعوا لما قلت لهم
 ذلك اليه ، فلم يجدوه !

شجرة عجيبة

ونزلنا بمدينة « ده فتن » وهي مدينة كبيرة بساحل الملبار
 على خليج ، كثيرة البساتين ، وفيها حوض عظيم طوله خمسمائة
 خطوة وعرضه ثلثمائة خطوة . وبازائه مسجد جامع
 للمسلمين ، والذي بنى المسجد والحوض أحد أجداد كويل
 أكبر سلاطين الملبار ، ولاسلامه خبر عجيب

ورأيت بازاء الجامع شجرة خضراء ناعمة ، تشبه أوراقها
 أوراق التين إلا أنها لينة ، وعليها حائط يطيف بها ، وعندها
 محراب صليت فيه ركعتين . واسم هذه الشجرة عندهم
 « درخت الشهادة » . وأخبرت هنالك انه اذا كان الخريف
 من كل سنة ، تسقط من هذه الشجرة ورقة واحدة ، بعد أن
 يستحيل لونها الى الصفرة ، ثم الى الحمرة ، ويكون فيها مكتوبا
 بقلم القنطرة : لا اله الا الله محمد رسول الله . وأخبرني جماعة
 من الثقات انهم عاينوا هذه الورقة وقرءوا المكتوب الذي فيها .

وذكروا أنه إذا كانت أيام سقوطها قعد تحتها تقاة من المسلمين
والكفار ، فإذا سقطت أخذ المسلمون نصفها والكفار نصفها .
وهم يستشفون بها

وهذه الشجرة كانت سبب إسلام جد كويل الذي عمر المسجد
والحوض ، فانه كان يقرأ الخط العربي ، فلما قراها وفهم
ما فيها أسلم وحسن إسلامه ، وحكايته عندهم متواترة •
وحدثوني أن أحد أولاده كفر بعد أبيه وطفى وأمر باقتلاع
الشجرة من أصلها ، فاقطعت ولم يترك لها أثر . ثم انها نبتت
بعد ذلك وعادت كأحسن ما كانت عليه ، وهلك الكافر سريعا



عفريت من الجن

وقال الثقات أن أهل جزائر ذيبة المهل (المالديف) كانوا كفارا ، وكان يظهر لهم في كل شهر عفريت من الجن ، يأتي من ناحية البحر كأنه مركب مملوء بالقنساويل ، وكانت عاداتهم أنهم إذا رأوه أخذوا جارية بكرًا فزيتوها ، وأدخلوها بيت الاصنام ، وكان مبنيا على ضفة البحر ، وله طاق ينظر إليه منه ، ويتركونها هناك ليلة ، ثم يأتون عند الصباح فيجدونها ميتة . ولا يزالون في كل شهر يفترون بينهم ، فمن أصابته القرعة أعطى بنته . ثم أنه قدم عليهم مغربي يسمى بأبي البركات البربري ، وكان حافظا للقرآن العظيم . فنزل بدار عجوز منهم بجزيرة المهل ، فدخل عليها يوما وقد جمعت أهلها ، وهن يبكين كأنهن في ماتم ، فاستفهم من شأنهن ، فلم يفهمنه . فأتى بترجمان ، فأخبره أن العجوز خرجت القرعة عليها ، وليس لها الابنت واحدة ، وسيقتلها العفريت . فقال لها أبو البركات : أنا أتوجه عوضا عن بنتك بالليل ، ولم تكن له لحية . فاحتملوه في تلك الليلة ، وأدخلوه بيت الاصنام وهو متوضئ ، وأقام يتلو القرآن . ثم ظهر له العفريت من الطاق ، فداوم التلاوة . فلما اقترب منه بحيث يسمع القراءة غاص في البحر ، وأصبح المغربي وهو يتلو على حاله ، فجاءت العجوز وأهلها وأهل الجزيرة ليستخرجوا

البنيت على عاداتهم ، فيحرقوها ، فوجدوا المغربي يتلو القرآن ، فمضوا به الى ملكهم ، وأعلموه بخبره ، فعجب منه . وعرض عليه المغربي الاسلام ورغبه فيه ، فقال له : اقم عندنا الى الشهر الاخر ، فان فعلت كفعلك ونجوت من العفريت اسلمت . فاقام عندهم ، وشرح الله صدر الملك للاسلام فاسلم قبل تمام الشهر ، واسلم اهله وأولاده واهل دولته . ثم حمل المغربي لما دخل الشهر الى بيت الاصنام فجعل يتلو حتى الصباح ولم يات العفريت . وجاء السلطان والناس معه ، فوجدوه على حاله من التلاوة ، فكسروا الاصنام وهدموا بيتها . واسلم اهل الجزيرة ، وبعثوا الى سائر الجزائر فاسلم اهلها ، وانام المغربي عندهم معظما ، وتمذهبوا بمذهبه ، وهو مذهب الامام مالك رضى الله عنه . وقد قرأت على مقصورة الجامع هناك منقوشا في الخشب : اسلم السلطان احمد شنورازة على يد ابى البركات البربري المغربي

القروء بجزيرة سيلان

القروء بتلك البلاد كثيرة جدا ، وهى سود الالوان ، لها اذنان طوال ، ولذكورها لحى كما هى للادميين . ولهذه القروء مقدم تتبعه كأنه سلطان ، يشد على رأسه عصاة من اوراق الاشجار ، ويتوكأ على عصا ، ويكون عن يمينه ويساره اربعة من القروء ، نها عصى بايديها . واذا جلس القرد المقدم تقف القروء الاربعة على رأسه ، وتأتى أثناء وأولاده فتقعد بين يديه كل يوم . وتأتى القردة فتقعد على بعد منه . ثم يكلمها احد القروء الاربعة ، فتتصرف القروء كلها . ثم يأتى كل قرد منها بموزة أو ليمونة أو شبه ذلك ، فيأكل القرد المقدم وأولاده والقروء الاربعة . واخبرنى بعض الناس انه رأى القروء الاربعة بين يدي مقدمها ،

وهي تضرب بعض القروء بالعصى ، ثم تنتف وجرها بعد ضربها

قدم آدم

وصعدنا جبل سرنديب لنرى عليه موضع قدم آدم عليه السلام ، وهو من أعلى جبال الدنيا ، رأيناه من البحر ، وبيننا وبينه مسيرة تسع ليال ، ولما صعدناه كنا نرى السحاب أسفل منا ، وفيه كثير من الأشجار التي لا يسقط لها ورق ، والأزهار الملونة والورد الأحمر على قدر الكف . وفي الجبل طريقان إلى القدم ، أحدهما يعرف بطريق « بابا » والآخر بطريق « ماما » يعنون آدم وحواء عليهما السلام ، فأما طريق ماما فطريق سهل ، وعليه يرجع الزوار إذا رجعوا ، ومن مضى عليه فهو عندهم كمن لم يزر . وأما طريق بابا فصعب وعمر المرتقى ، وفي أسفل الجبل مفارة تنسب للاسكندر وعين ماء . ونحت الأولون في الجبل شبه درج يصعد عليها ، وغرزوا فيها أوتاد الحديد ، وعلقوا فيها السلاسل ، ليتمسك بها من يصعد . وهي عشر سلاسل ، اثنتان في أسفل الجبل ، وسبع متوالية بعدها ، والعاشرة هي سلسلة الشهادة ، لأن الإنسان إذا وصل إليها ، ونظر إلى أسفل الجبل أدركه الخوف ، فيتشهد خوف السقوط . ثم إذا جاوزت هذه السلسلة العاشرة وجدت طريقا سهلا . ومن السلسلة العاشرة إلى مفارة الخضر عليه السلام سبعة أميال ، وهي في موضع فسيح عندها عين ماء ، تنسب إليه أيضا ، ملأى بالحيتان ولا يصطادها أحد ، وبالقرب منها حوضان منحوتان في الحجارة عن جنبى الطريق . وبمفارة الخضر يترك الزوار ما عندهم ، ويصعدون منها ميلين إلى أعلى الجبل حيث القدم . واثار القدم الكريمة قدم أينما آدم صلى الله عليه وسلم في صخرة سوداء مرتفعة بموضع

فسيح ، وقد غاصت القدم الكريمة في الصخرة حتى عاد موضعها متخفضا ، وطولها أحد عشر شبرا . وأتى إليها أهل الصين قديما ، فقطعوا من الصخرة موضع الإبهام وما يليه ، وجعلوه في كنيسة بمدينة الزيتون (ثغر كان على المحيط الهادى) يقصدونها من أقصى البلاد . وفي الصخرة حيث القدم تسع حفر منحوتة ، يجعل الزوار من الكفار فيها الذهب والياقوت والجواهر . فترى الفقراء إذا وصلوا مفارة الخضر ، يتسابقون منها لأخذ ما بالحفر ، ولم نجد نحن بها إلا يسرا من حجيرات وذهب أعطيناها الدليل . والعادة أن يقيم الزوار بمفارة الخضر ثلاثة أيام يأتون فيها إلى القدم غدوة وعشيا . وكذلك فعلنا . ولما تمت الأيام الثلاثة عدنا على طريق لما ، فنزلنا بمفارة شيم ، وهو شيت بن آدم عليهما السلام . ثم ذهبنا إلى خليج السمك ، ثم إلى قرية كرملة . وتحت هذا الجبل الخليج العظيم الذى يخرج منه الياقوت ، ومثوه يظهر في مرأى العين شديد الزرقة . والياقوت يوجد بجزيرة سيلان في جميع مواضعها ، وتتخذ منه نساؤها القلائد ويجعلنه في أيديهن وأرجلهن عوضا عن الاسورة والخلخال

بلاد طوالسى

وركبنا البحر الكاهل (المحيط الهادى) . ثم وصلنا إلى بلاد طوالسى وهى بلاد عريضة ، وملكها يضاهى ملك الصين ! وأهل هذه البلاد عبدة أوثان ، حسان الصور ، أشبه الناس بالترك في صورهم . والغالب على الوائم الحمرة ، ولهم شجاعة ونجدة ، ونساؤهم يركبن الخيل ويحسن الرماية ، ويقاطنن كالرجال سواء . ولما أرسينا بالمرسى جاءت عساكرهم ونزل الناحداه (الريان) اليهم ومعه هدية لابن الملك ، فسألهم

هذه ، فاخبروه أن أباه ولاء بلدا غيرهم ، وولى بنته بتلك المدينة ، واسمها أردجا . ولما كان اليوم الثاني من حلولنا ، استدعت هذه الملكة الناخداة صاحب المركب والكاآب والتآجار والرؤساء ومقدم الرجال ومقدم الرماة لآصيافة صنعتهما لهم على عاداتها . ورغب الناخداة منى أن آحضر معهم ، فأبيت ، لأنهم كفار لا يجوز أكل طعامهم . فلما حضروا عندها قالت لهم : هل بقى أحد منكم لم يحضر ؟ فقال لها الناخداة : لم يبق إلا رجل واحد وهو القاضى ، وهو لا يأكل طعامكم ، فقالت : ادعوه ، فجاء أعوانها وأصحاب الناخداة ، فقالوا : آجب الملكة . فأتيتها ، وهى بمجلسها الاعظم ، وبين يديها نسوة ، وحولها النساء القواعد ، وهن وزيراتها ، وقد جلسن تحت السرير على كراسى الصندل ، وبين يديها الرجال . ومجلسها مفروش بالحرير ، وعليه ستور حرير ، وخشبه من الصندل ، وعليه صفائح الذهب . وبالمجلس مصاطب خشب منقوش ، عليها أوانى ذهب كثيرة من كبار وصفار كالآخوابى والقلال . وآخبرنى الناخداة أنها معلوءة بشراب مصنوع من السكر ، مخلوط بالافاويه ، يشربونه بعد الطعام ، وأنه عطر الرائحة حلو المطعم ، يفرج ويهضم . فلمسا سلمت على الملكة قالت لى بالتركية كيف حالك ؟ وكيف انت ؟ واجلستنى على قرب منها ، وكانت تحسن الكتاب العربى فقالت لبعض خدامها : الدواة والكاغد (الورق) فأتى بذلك ، فكبت فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، فقالت : ماهذا ؟ فقلت لها : اسم الله ، فقالت : جيد . ثم سألتنى من اى البلاد قدمت ؟ فقلت لها : من بلاد الهند ، فقالت : بلاد الفلفل ؟ فقلت : نعم ، فسألتنى عن تلك البلاد وآخبارها ، فأجبتها ، فقالت : لابد أن آغزوها

وأخذها لنفسى ، فأتى بمجبنى كثرة مالها وعساكرها ، فقلت لها : افعلنى . وأمرت لى بأثواب وحمل قبيلين من الارز ، وبجاموستين ، وعشر من الضان ، وأربعة أرطال جلاب ، وأربعة مرطبانات ، وهى أوان ضخمة ، مملوءة بالزنجبيل والفلفل والليمون والعنبا (المانجو) كل ذلك مملوح مما يعد للبحر

وأخبرنى التاخذاء : ان هذه الملكة لها فى عسكرها نسوة وخوادم وجوار يقاتلن كالرجال ، وأنها تخرج فى العساكر من رجال ونساء ، فتغىر على عدوها ، وتشاهد القتال وتبارز الأبطال . وأخبرنى أنه وقع بينها وبين بعض أعدائها قتال شديد ، وقتل كثير من عسكرها وكادوا ينهزمون ، فدفعت بنفسها وخرقت الجيوش ، حتى وصلت الى الملك الذى كانت تقاتله ، فطعنته طعنة كان فيها حتفه ، فمات وانهمزت عساكره ، وجاءت برأسه على رمح ، فافتداه أهله منها بمال كثير . فلما عادت الى أبيها ملكها تلك المدينة التى كانت بيد أخيها . وأخبرنى ان أبناء الملوك يخطبونها ، فتقول : لا أتزوج الا من يبارزنى فيطلبنى ، فيتحامون مبارزتها خوف المعرفة ان غلبتهم



ثم سافرنا عن بلاد طوالسى ، فوصلنا الصين بعد سبعة عشر يوما . وبعد ان زرنا بلادها عزمنا على الرجوع ، ولما وصلت الى نهر الزيتون وجدت المراكب على أهبة السفر الى الهند ، وفى جملة ما مركب للسلطان الظاهر صاحب جاوة ، وأهله كلهم مسلمون ، وعرفنى وكيله ، وسر بقدمى معه ، وصادفتنى الريح الطيبة عشرة أيام . ولما قاربنا بلاد طوالسى تغيرت الريح وأظلم الجو وكثر المطر ، واقمنا عشرة أيام لا نرى الشمس . ثم دخلنا بحرا لا نعرفه ، وخاف أهل المركب ، فأرادوا الرجوع

الى الصين ، فلم يمكن ذلك . واقمنا اثنين واربعين يوما
لا نعرف في أي البحار نحن

ولما كان اليوم الثالث والاربعون ظهر لنا بعد طلوع الفجر
جبل في البحر ، بيننا وبينه نحو عشرين ميلا ، والرياح تحملنا
الى صوبه ، فمجب البحرية وقالوا : لسنا بقرب البر ولا بمهد
في البحر جبل ، وان دفعتنا الرياح اليه هلكنا . فلجأ الناس
الى التضرع لله والاخلاص وجددوا التوبة . وابتهلنا الى الله
بالدعاء . ونذر التجار الصدقات الكثيرة ، وكتبها لهم في دفتر
بخطي . وسكنت الريح بعض سكون . ثم رأينا ذلك الجبل عند
طلوع الشمس قد ارتفع في الهواء ، وظهر الضوء فيما بينه
وبين البحر ، فعجبنا من ذلك . ورأيت البحرية يبكون وبودع
بعضهم بعضا ، فقلت : ماشانكم ؟ فقالوا : ان الذي تخيلناه
جبلا هو الرخ ، وان رأنا اهلكنا ، وبيننا وبينه اقل من عشرة
اميال . ثم ان الله تعالى من علينا بريح طيبة صرفتنا عن صوبه ،
فلم نره ولا عرفنا حقيقة صورته . وبعد شهرين من ذلك اليوم
وصلنا الى جاوة

عرس سومطرة

ونزلنا سومطرة فوجدنا سلطاتها الظاهر قدم من غزوة له ،
وجاء بسبي كثير ، فبعث لى جاريتين وغلامين ، وأنزلني منزلا
طيبا واحضرني أعراس ولده مع بنت أخيه . وشاهدت يوم
الجلوة ، فرأيتهم قد نصبوا في وسط المجلس منبرا كبيرا ،
وكسوة بشياخ الحرير . وجاءت العروس من داخل القصر على
قدميها ، بادية الوجه ، ومعهما نحو أربعين من الوصيفات يرفعن
أذيالها ، من نساء السلطان ونساء امرائه ووزرائه ، وكلهن
باديات الوجوه ، ينظر اليهن كل من حضر ، من رقيق أو ضيع ،

وليست تلك بعادة لهم الا في الاعراس خاصة

وصعدت العروس المنبر وبين يديها أهل الطرب رجالا ونساء ، يلعبون ويفتون ، ثم جاء الزوج على قيل مزين على ظهره سرير ، وفوقه قبة ، والتاج على رأسه، وعن يمينه ويساره نحو مائة من أبناء الملوك ، وامراء قد لبسوا البياض وركبوا الخيل المزينة ، وعلى رؤوسهم الشواشي (ثياب رفيعة) المرصعة . وهم اتراب العروس ، وليس فيهم ذو لحية . وثرت الدنانير والدراهم على الناس عند دخوله . وقعد السلطان بمنظرة له يشاهد ذلك . ونزل ابنه فقبل رجله ، وصعد المنبر الى العروس ، فقامت اليه وقبلت يده ، وجلس الى جانبها ، والوصيفات يروحن عليها . وجاءوا بالفوفل والتابول (شجر عندهم) فأخذ منه الزوج بيده وجعل ما أخذه في فمها ، ثم أخذت هي بيديها وجعلت ما أخذته في فمه . ثم وضع عليها المستر ، ورفع المنبر وهما فيه الى داخل القصر . واكل الناس وانصرفوا . ثم لما كان من الفد جمع الناس ، وأجرى له أبوه ولاية العهد ، وبأيعه الناس ، وأعطاهم العطاء الجزل من الثياب والذهب

في عالم البر

الارض المعمورة

كتب العرب عن الارض المعمورة كتابات جغرافية وتاريخية كثيرة ، وطاقوا بأقاليمها وبلدانها وسجلوا ماشاهدوه وسمعوه ، وفي كل ذلك يختلط الواقع بالخرافة ، والحقيقة بالاسطورة ، سواء في حديثهم عن تاريخ الامم الاسطوري القديم ، او عن عتيق البنيان وما اقيم عليه من تماثيل هي دائما في رأيهم طلاس وأرصاد ، او عن مظاهر الطبيعة المختلفة من جبال وأنهار وبحيرات وآبار وأشجار وحيوانات ، او عن الافلاك والكواكب ومبدأ الخليفة . ولهم في هذا المبدأ ونشأة الكون اساطير كثيرة ، فمن ذلك هذه الاسطورة :

« لما أراد الله تعالى أن يخلق السموات والارض ، خلق جوهره خضراء أضعاف طبقات الارض والسموات ، ثم نظر إليها نظرة هبية فصارت ماء ، ونظر الى الماء ، فغلى وارتفع منه زبد ودخان وبخار ، وأرعد من خشية الله ، فمن حين ذلك يرعد الى يوم القيامة . . ثم بعث الله تعالى من تحت العرش ملكا فهبط تحت الارض فوضعها على عاتقه ، وأحدى يديه في المشرق والاخرى في المغرب . . ولم يكن لقدميه موضع قرار ، فاهبط الله تعالى من أعلى الفردوس نورا له سبعون الف قرن ، وأربعون الف قائمة ، وجعل قرار قدمي الملك على سنامه ، فلم تستقر قدماه ، فأحذر الله ياقوته خضراء من أعلى الفردوس ، غلظها مسيرة خمسمائة عام ، فوضعها بين سنام الثور الى اذنه ،

فاستقرت عليها قدماء .. ومنخر ذلك الثور في البحر ، فهو يتنفس كل يوم نفسا ، فاذا تنفس مد البحر ، وإذا رد نفسه جزر .. ولم يكن لقوائم الثور موضع قرار . فخلق الله تعالى صخرة خضراء غلظها كفلظ السموات والارض ، فاستقرت قوائم الثور عليها .. ولم يكن للصخرة مستقر ، فخلق الله تعالى حوتا عظيما وضع الصخرة على ظهره ، ووضع الحوت على البحر »

ولعل العرب لم يصوروا أساطير أمة في مبدأ الخلق ونشأة الكون ، كما صوروا أساطير الهند ، فقد سجل البيروني المتوفى في القرن الحادى عشر الميلادى هذه الأساطير ، وفصل الحديث فيها بكتابه : « تحقيق ما للهند من مقولة ، مقبولة في العقل أو مردولة » ومما ذكره في هذا الكتاب أن أهل الهند يزعمون أن تحت الأرض السفلى حبة ذات ألف رأس ، تحمل الأرضين من غير أن يتودها (يتعبها) ثقلها ، وتستدير السماء على القطب كدوارة الخزف ، ويدور القطب حول نفسه ، وتحرك الرياح الكواكب من حوله ، وهى مربوطة به برباطات لا يراها الناس . وتحت القطب « جبل ميو » الذى يعلو وجه الأرض علوا مفرطا ، وتدور الكواكب حول سفحه ، وهى مسكن الملائكة ، وفيه أنهار عذبة ومسكن ذهبية وجبال لا تحصى ، منها جبال مملوءة بالجواهر ، ورأس هذه الجبال « جبل قاف » الذى تدور الشمس منه نحو جبل ميو . ويقول البيرونى أنهم يزعمون أن فى الأرض اجناسا كثيرة غير جنس البشر ، فمن ذلك جنس لونه لون الذهب ، يعيش طويلا ، ولا يمرض مدى حياته ، ولا يرتكب وزرا ولا يتحسد ، وغذاؤه ما يعصره من ثمار النخيل ، وجنس لونه لون الفضة يعمر احد عشر ألف سنة ،

لا يلتجئ ، وطعامه قصب السكر . وفي الأرض جبال لا تحصى ،
منها جبال تسكنها الشياطين ، وجبال من جواهر كريمة أو من
ذهب . ويزعمون أن نهر الكنج المقدس كان يجري في القديم
على أرض الجنة ، ثم هبط إلى الأرض وانقسم إلى سبع
شعب ، وعليه وعلى شعبه قرى للأطهار القديسين وأخرى
لأناس وجوههم كأوجه الدواب أو شفاهم منقلبة كأذانهم
أو أذانهم على أكتافهم ... إلى جم من هذه الأساطير

وإذا كان البيروني قد وضع تحت أعيننا أساطير الهند
وخاصة ما اتصل منها بالبراهمة فإن غيره من جغرافيين العرب
ومؤرخيهم ورحالهم قد جمعوا عن الأمم والشعوب التي
وصفوها أو زاروها كل ما سمعوه عنها من أساطير وخرافات
وعجائب وهي تظالعا في كثير من المصنفات ، سواء عن عالم
الإنس أو عالم الجن أو عالم الملائكة أو عالم الطير والحيوان أو
عالم الكواكب والافلاك

ولنضرب بعض الأمثلة، فنحن نقرا فيما نقرا أن كثيرا من
الكواكب كانت ملائكة عصت ربها في السماء فاهبطها إلى الأرض
في صورة أناسي ثم عرج بها ثانية فمسخها شهابا . ويقال أن
كوكب الزهرة كان بغيًا صعدت إلى السماء عن طريق معرفتها
باسم الله الأعظم فمسخت كوكبا ، وكذلك كان نجم سهيل
عشارا ، يجمع الإتاوات باليمن ، فجعله الله شهابا في السماء .
ويزعمون أن أم ذى القرنين كانت آدمية ، أما أبوه فكان من
الملائكة . وكذلك جرهم تولد بين أنسية وملك من الملائكة .
وزعم بعض الزاعمين أن الفأرة كانت طحانة ومسخت وأن
الكلاب أمة من الجن مسخت في هذه الصورة ، وأن الحية كانت
في صورة جمل ، فعاقبها الله حين احتملت دخول إبليس في

جوفها حتى وسوس الى آدم من فمها ، فعوقبت
 بقطع أرجلها والمشى على بطنها وشق لسانها .
 وقالوا ان السنور (الهر) خلق من عظمة الاسد ،
 وأن الضب خاصم الضفدع فأخذ منها ذنبها . وزعموا أن الجن
 تتوالد مع الانسان ، وأكثروا من توليد الحكايات عن جن سليمان
 وقماقة وخاتمة ، وعن الشياطين واغوائها للعباد وتمثلها لهم
 فى هيئة البشر ، وقالوا أن طيرا تخطف بعض الفيلة وان فى
 النيل خيولا تأكل التماسيح !

ومدار كل هذا التهريف أن من الناس من يبلغ من حبه
 للفرائب والمجانب أن يجعلوا آذانهم هداما للأساطير والخرافات
 فيدخلون الغث فى السمين ، والممكن فى الممتنع ، والاسطورة فى
 الحقيقة . وربما كان أقدم من صنع ذلك بين اصحاب الرحلات
 سلاما الترجمان ، الذى أرسله الخليفة الواثق (٢٢٧-٢٣٢ هـ)
 فى بعثة الى بلاد الخزر ، ليشاهد السد الذى بناه الاسكندر
 ذو القرنين فى ديار ياجوج وماجوج ، وتبعه الرحالتان اللذان
 مضى ذكرهما فى عالم البحر ، وهما سليمان البصرى وابن وهب
 القرشى ، بصفتان سياحتهما فى بحر الهند وعلى شواطئه فى
 الصين وغير الصين ، فسجعا فى وصفهما كثيرا من خيوط الخيال
 والخرافة ، وصنع صنيعهما ابن فضلان الذى أرسله المقتدر
 الخليفة العباسى سنة (٣٠٩ هـ) مع وفد الى ملك البلغار «التتار»
 على نهر الفولجا حين طلب اليه هذا الملك أن يرسل اليه من
 يفقه فى الدين هو وقومه . وعاد ابن فضلان فوصف البلاد
 الواقعة على بحر قزوين وما وراءه وصفا يعتمد على الخرافة فى
 كثير من جوائبه

وتبدأ فى القرن الرابع الهجرى أو العاشر الميلادى ، سلسلة

كتب العجائب ، اذ يصف أبو دلف مسعر بن مهلهل الخزرجي
 بلاد ايران وآسيا الوسطى والصين والهند وصفا مبهيا
 تتداخل فيه الاسطورة . وفي نفس القرن يكتب بزرك بن شهريار
 كتابه : « عجائب الهند » . وتتوالى كتب هواة
 العجائب ومن يكلفون بالفرائب ، وهم تارة يردونها
 سردا ، وتارة يقصونها قصصا ممتعا . وقد فتح المؤرخون
 فصولا واسعة للملوك الاسطوريين ، وخاصة الاسكندر ذا
 القرنين وملوك الفرس الاولين ، على نحو ما نرى في كتاب :
 « غرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم » للشعالي ، وسنسوق
 اطرافا من حكاياته واقاصيصه



بين الحقيقة والخيال

سد ياجوج وماجوج

قال سلام الترجمان ان الخليفة العباسي الواثق بالله رأى في المنام أن السد الذي بناه ذو القرنين بيننا وبين ياجوج وماجوج مفتوح ، فأرعبه هذا المنام ، فأحضرني ، وأمرني بقصده والنظر اليه ، والرجوع اليه بالخبر ، وضم خمسين رجلا ، وأعطاني عشرة آلاف درهم ، ومائتي بعل تحمل الزاد والماء . فخرجنا من سرمن رأى (بالقرب من بغداد) بكتاب منه الى اسحق بن اسماعيل حاكم ارمينية ، بأمره فيه بانفاذا وقضاء حوائجنا ، ومكاتبة الملوك الذين في طريقنا ليعادونا ، فلما وصلنا اليه كتب الى صاحب السرير ، وكتب لنا صاحب السرير الى ملك اللان ، وكتب لنا ملك اللان الى فيلان شاه ، وكتب فيلان شاه الى ملك الخزر . فوجه ملك الخزر معنا خمسة من الادلاء ، فسرنا ستة وعشرين يوما فوصلنا الى ارض سوداء كريهة الرائحة ، وكما قد حملنا معنا خلا لدفع غائلة رائحتها باشارة الادلاء ، فسرنا في تلك الارض عشرة ايام ، ثم صرنا الى مدن خراب ، فسرنا فيها سبعة وعشرين يوما ، فسالنا الادلاء عن سبب خراب تلك المدن ، فقالوا خربها ياجوج وماجوج ، ثم صرنا الى حصن قريب من الجبل الذي يوجد السد في بعض شعابه ، ومنه جزنا الى حصن آخر وبلاد ومدن فيها قوم يتكلمون بالعربية والفارسية ، وهم

مسلمون يقرءون القرآن ، ولهم مساجد وكتائب ، فسألونا .
 من أين أقبلتم ؟ وأين تريدون ؟ فأخبرناهم أنا رسل الخليفة ،
 فأقبلوا يتعجبون من قولنا ، ويقولون : الخليفة ؟ فنقول : نعم ،
 فقالوا : أهو شيخ أم شاب ؟ قلنا : شاب ، قالوا : وأين يكون ؟
 قلنا : بالعراق في مدينة يقال لها سر من رأى ، فقالوا : ماسمعنا
 بهذا قط .

ثم ساروا معنا الى جبل أملس ، ليس عليه من النبات شيء ،
 وإذا هو مقطوع بواد عرضه مائة وخمسون ذراعا ، وإذا
 عضادتان (جانباباب) مبيتان مما يلي الجبل من جنبي
 الوادي ، عرض كل عضادة خمسة وعشرون ذراعا ، الظاهر من
 سمكها عشرة أذرع خارج الباب وكله مبنى بحديد ، غيب في
 نحاس ، في سمك خمسين ذراعا ، وإذا باب حديد طرفاه في
 العضادتين ، طوله مائة وعشرون ذراعا ، وفوقه بناء بالحديد
 والنحاس الى رأس الجبل ، وارتفاعه مد البصر . وفوق ذلك
 شرفات حديد ، في طرف كل شرفة قرنان ينثنى كل قرن الى
 صاحبه ، وإذا مصراعا باب حديد مقلقان ، عرض كل مصراع
 ستون ذراعا في ارتفاع سبعين ذراعا في سمك خمسة أذرع .
 وعلى الباب قفل طوله سبعة أذرع في غلظ باع ، وارتفاع القفل
 من الأرض خمسة وعشرون ذراعا . وبه مفتاح معلق طوله
 سبعة أذرع ، وهو في سلسلة طولها ثمانية أذرع في استدارة
 أربعة أشبار ، والحلقة التي فيها السلسلة مثل حلقة المنجنيق ،
 وارتفاع عتبة الباب عشرة أذرع في طول مائة ذراع

ورئيس تلك الحصون يركب في كل يوم جمعة في عشرة
 فوارس ، مع كل فارس مرزية حديد ، فيجيئون الى الباب ،
 ويضرب كل واحد منهم القفل والباب ضربات كثيرة ، لسمع

من وراء الباب ذلك ، فيعلموا ان هناك حفظة ويعلم الرئيس
وأصحابه ان ياجوج وماجوج لم يحدثوا في الباب حدثا . واذا
ضربوا الباب وضعوا آذانهم ، فيسمعون من وراء الباب دويما
عظيما

وبالقرب من الباب حصن كبير ، يكون فرسخا في مثله ، يقال
انه يأوى اليه الصانع زمان العمل ، ومع الباب حصنان كل
واحد منهما مائتا ذراع في مثلها . وعلى بابي هذين الحصنين
شجر كبير لا يدري ماهو ، وبين الحصنين عين عذبة ، وفي
احدهما آلة البناء التي بنى بها السد ، من القدور والحديد
والمغارف . وهناك بقية من قطع الحديد قد التصق بعضها ببعض
من الصدا ، والقطعة ذراع ونصف في سمك شبر

وسألنا من هناك من اهل هذه البلاد : هل راوا احدا من
ياجوج وماجوج ، فذكروا انهم راوا منهم مرة عسدا فوق
الشرفات ، فهبت ربيع سوداء ، فالتهم الى جانبنا ، فكان
مقدار الواحد منهم في رأى العين شبرا ونصف شبر . وهمنا
بالانصراف ، فأخذ بنا الادلاء نحو خراسان ، فسرنا حتى خرجنا
خلف سمرقند ، وأخذنا طريق العراق حتى وصلنا . وكان بين
خروجنا من سر من رأى الى رجوعنا اليها ثمانية عشر شهرا

قال ياقوت الحموى بعد روايته لهذا الخبر : الله اعلم بصحة
ذلك ، وعلى كل حال فليس في صحة أمر السد ريب . ونقول
ان الريب في الخبر وما ذكره سلام لا في السد ، فقد جاء ذكره
في الكتاب العزيز

في الصين

أقدم من تحدثوا عن الصين من رحالة العرب التاجر سليمان البصري ، الذي ركب البحر اليها في سنة (٥٢٣٧هـ) وتجول في ربوعها ، ونرى سليمان يصف الصين وبعض مدنها ومنتجاتها وعقائدها ، وسنقف عند بعض أخباره العجيبة ، فمن ذلك ما حكاه من أنه :

«في كل مدينة شيء يدعى «الدرا» وهو جرس على رأس حاكم تلك المدينة مربوط بخيط ممدود على ظهر الطريق للعامة كافة ، وبينه وبين الحاكم أو الملك نحو من فرسخ ، فإذا حرك الخيط الممدود أدنى حركة تحرك الجرس ، فمن كانت له ظلامة حرك هذا الخيط ، فيتحرك الجرس منه على رأس الحاكم أو الملك ، فيؤذن له بالدخول حتى ينهى حاله بنفسه ، ويشرح ظلامته ، وجميع البلاد فيها مثل ذلك . ولهم حجر منصوب ، طوله عشر أذرع ، مكتوب فيه نقشا ذكر الأدوية والأمراض ، مرض كذا دواؤه كذا ، وإذا كان الرجل فقيرا أعطى ثمن الدواء من بيت المال . وأهل الصين أهل ملاء ، وكل من قتل بالسيف مندهم أكلوا لحمه ! وبيوتهم من الخشب ، ويتزوج الرجل منهم ماشاء من النساء ، ويزعمون أن الأصنام تكلمهم وإنما يكلمهم عبادها ، وهم يؤمنون بالتناسخ ، وهم من أحذق خلق الله كفا بالنقش والصناعة ،

وبيع سليمان في الرحلة الى الصين ابن وهب القرشي ،
 الذي زارها في سنة (٢٥٦ هـ) ، وهو يقص علينا أن همته
 نزعته به بعد نزوله بخانفو (كانتون) الى زيارة ملك الصين
 في عاصمته « حمدان » وهي تبعد عن خانفو نحو شهرين ، ويقول
 انه أقام بباب الملك مدة طويلة ، يرفع اليه الرقاع ، ويذكر أنه
 من أهل بيت نبوة العرب . وأمر الملك بعد مدة بانزاله في بعض
 المساكن ، وكتب الى واليه بخانفو يأمره بالبحث عن حقيقة الرجل
 وما يدعيه من قرابة نبي العرب ، وسؤال التجار عن ذلك . فكتب
 الوالى بصحة نسبة وصدق قوله ، فأذن له في حضور مجلسه ،
 ولما مثل بين يديه سأله : أتعرف صاحبك يعني رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ، فقال له ابن وهب : وكيف لي برؤيته وقد
 توفاه الله من زمن بعيد ؟ . فقال الملك : لم أرد هذا ، انما اردت
 صورته . وأمر باحضار سبط (سلة) فوضع بين يديه ،
 فتناول منه درجا (كتابا كبيرا) وقال للترجمان : أره صاحبه
 قال ابن وهب : فرأيت في الدرج صور الانبياء ...
 منهم من قد اشار بيده اليمنى وجمع بين الإبهام والسبابة ،
 كأنه يوميء في اشارته الى الحق ، ومنهم قائم على رجله مشير
 بأصابعه الى السماء وغير ذلك . ثم سأله الملك لم عدلت عن ملكك
 وهو أقرب اليك منا دارا ونسبا . فقال ابن وهب : ما بلغني من جلال
 ملك الصين وكثرة الخير به ، فأحببت الوقوع الى تلك الناحية
 ومشاهدتها . فسر ذلك وأمر له بجائزة سنوية وبعمله على
 بقال البريد الى مدينة خانفو ، وكتب الى واليهما باكرامه . فكان
 في اخصب عيش وأنعمه الى أن خرج من بلاد الصين
 وبروى ابن وهب أن رجلا وفد على خانفو من سمرقند ،

يقطع اليها البلاد بلدا بلدا ، وهو يحمل على ظهره مسكا في زق ،
 ليبيعه في مجمع التجار القاصدين الى هذا البلد ، ويقول ابن
 وهب ان أجود المسك ما جلب من بلاد التبت ، حيث تحكه
 الظباء على أحجار الجبال ، اذ هو مادة تتجمع في سرة الظبي ،
 وتتضام دما سائلا ، كاجتماع الدم فيما يعرض من الدمامل ،
 فاذا نضج حكه واضجره الحك ، فيفزع الى الحجارة حتى
 يخرقه ، فيسيل ما فيه ، فاذا خرج من مكانه جف واندمل
 وعادت المادة تتجمع فيه من جديد . ويخرج اهل التبت لجمعه
 والتقاطه وايداعه في النوافج وحمله الى ملوكهم . ويقول ابن
 وهب ان طباء هذا المسك تشبه الظباء في بلادنا ، الا أن لها نابين
 دقيقين ابيضين في العنكبين طول كل واحد منهما مقدار فتر ودونه
 على هيئة ناب الفيل



وزار الصين بعد هذين الرحالتين أبو دلف مسعر بن مهلهل
 حول سنة (٣٣١ هـ) مع بعثة أرسلها الأمير نصر بن
 أحمد الساماني ، الى ملك الصين ، ليخطب منه ابنته لابنه .
 وقد عنى أبو دلف بذكر عجائب البلدان والاقوام الذين مر بهم ،
 وفي مادة الصين بمعجم البلدان لياقوت ملخص لما ذكره من
 هذه العجائب ، فمن ذلك :

انهم مروا بقبيلة تعرف بالكيماك ، بيوتهم من
 جلود ياكلون لحوم ذكران الضان والماعز ، ولا يرون ذبح الاناث
 منها ، وعندهم عنب نصف الحبة ابيض ونصفها اسود ،
 وعندهم حجارة هي مغناطيس المطر ، يستمطرون بها متى
 شاءوا ! ولهم معادن ذهب في سهل من الارض يجدونه قطعاً ،

وعندهم ماس يكشف عنه السيل ونبات حلو الطعم ينوم ويخدر ، ومن تجاوز منهم ثمانين سنة عبده . ومروا بقبيلة تعرف بالتفرغز لهم عند ظهور قوس قزح عيد ، وصلاتهم الى مغرب الشمس وخرجوا منها الى قبيلة الخرخير ، وهم يصلون الى الجنوب ويعظمون زحل والزهرة ، وعندهم حجارة تضيء بالليل يستفتون بها عن المصباح

وما يزال أبو دلف يتحدث عن القبائل التي يمرون بها حتى يصلوا الى سندابل حاضرة ملك الصين ، فيقول : هي مدينة عظيمة ، يبلغ السير حولها يوما ، ولها ستون شارعا ينفذ كل شارع منها الى دار الملك ، وسرنا الى باب من أبوابها ، فوجدنا ارتفاع سورها تسعين ذراعا وكذلك عرضه ، وعلى رأسه نهر عظيم يتفرق على ستين جزءا ، كل جزء منها ينزل على باب من الابواب ، تتلقاه رحي تصبه الى ما دونها ، ثم الى غيرها حتى يصب في الارض . ويخرج نصفه تحت السور فيسقى البساتين ، ويرجع نصفه الى المدينة ، فيسقى اهل ذلك الشارع الى دار الملك ، ثم يخرج في الشارع الآخر الى خارج البلد ، فكل شارع فيه نهران ، وكل خلاء فيه مجريان ، كل واحد فيهما يخالف صاحبه ، فالداخل يسقيهم والخارج يخرج بغلاتهم . ولهم بيت عبادة عظيم ، ولهم سياسة واحكام متقنة ، وبيت عبادتهم اعظم من مسجد بيت المقدس ، وفيه تماثيل وتصاوير وأصنام ، وهم لا يذبحون ولا يأكلون اللحوم اصلا ، ومن قتل شيئا من الحيوان قتل



ومما رواه القزويني من عجائب الصين ان باقصاها هيكلا مدورا ، له سبعة ابواب ، وفي داخله قبة عظيمة البنيان عالية

المسك ، وفي أعلاها جوهرة كرايس المجبل ، يضيء منه
جميع أقطار الهيكل ، ومن دنا منها قدر عشرة أذرع خرميتا !
وان تعرض احدلهدم الهيكل مات ! وفي هذا الهيكل بئر واسعة ،
من اكب عليها وقع في قعرها ، وعلى رأس البئر شبه طوق
مكتوب عليه : هذه البئر مخزن الكتب التي هي تاريخ الدنيا
وعلم السماء والارض وما كان فيها وما يكون ، ولا يصل اليها
الا من وازن علمه علمنا . والارض التي عليها هذا الهيكل أرض
حجرية عالية كجبل شامخ لا يرام قلعه ولا يتأتى نقبه . ومن
عجائب الصين ان بها طاحونة يدور حجرها الاسفل والاعلى
سابقا ، ويخرج من تحت الحجر دقيق لانخاله فيه ، ونخاله
لادقيق فيها ، وكل واحد منهما منفرد عن الآخر . وبالصين
قرية عندها غدير فيه ماء يجتمع اليه اهل القرية في كل سنة ،
ويلقون فيه فرسا ، وكلما ارادت الخروج منعوها ، حتى
يسقط عليهم المطر ، فاذا امطروا قدر كفايتهم وامتلا الغدير
اخرجوا الفرس وذبحوها فوق جبل وتركوها للطير ، فاذا لم
يفعلوا ذلك في احدى السنين لم تمطرهم السماء . وعندهم
دابة المسك ، وهي دابة تخرج من ماء البحر في كل سنة في
وقت معلوم فيصطادون منها شيئا كثيرا ، وهي تشبه الظباء ،
ويذبحونها ويأخذون الدم من سرتها ، وهو المسك ولا رائحة
له هناك حتى يحمل الى غيرها من الاماكن !

وزار ابن بطوطة الصين وتحدث عن عجائبها واحكام أهلها
للصاعات ، وخاصة التصوير ، ومن عجيب ما شاهده من ذلك
كما يقول : انه ما دخل قط مدينة من مدنها ، ثم عاد اليها الا
ورأى صورته وصور رفقاءه منقوشة على الحيطان أو على
الأوراق موضوعة في الأسواق . وقد لاحظ أنهم يجرون على
المكوفين وذوى الماهات نفقة وكسوة من أوقاف معابدهم

في بلاد الهند

عرف العرب الهند منذ فتحها محمد بن القاسم الثقفي ،
في أواخر القرن الاول للهجرة ، وقد اخذوا منذ هذا الفتح
يختلطون بأهلها ، وينقلون عنهم عروض تجارتهم بحرا وبراً ،
كما نقلوا عنهم كثيراً من حكمهم وكتبهم واساطيرهم ومعتقداتهم .
وبعض ما نقلوه عنهم من ذلك أخذوه عن أسلموا منهم ، أو
عن الفرس ، مثل كتاب كليله ودمنة . وقد نقلوا عنهم في
الرياضيات والفلك والنجوم كثيراً ، كما عرفوا أطرافاً من تأملاتهم
المتصلة بنزعاتهم الصوفية ، وكان لهذه التأملات أثرها في
التصوف الإسلامي ، وأيضاً فإنهم عرفوا كثيراً عن نساكهم من
البراهمة وغيرهم ، وتغذيتهم لأنفسهم تطهيراً لها
من الآثام ، وما اشتهر عندهم من حرقهم لأجسادهم أو اغراق
أنفسهم في نهر الكنج المقدس

واسترعى هذا الاحراق والاغراق نظر ابن وهب القرشي ،
فتحدث عنه ، ولاحظ أن منشأ ذلك عندهم إيمانهم بالتناسخ ،
وتمكنه من قلوبهم ، وزوال الشك عنهم فيه . يقول : وإذا
أحرق الملك نفسه أو مات أحرق رجاله المقربون إليه أنفسهم
بالنار ، حتى لا يبقى منهم عين ولا أثر ، ومنهم من إذا عزم على
أحراق نفسه أوقدت له النار ، حتى يصير كالعقيق حارقة
والتهابا ، ويدورون به في أسواقهم ، وبين يديه الصنوج ، وعلى

رأسه اكليل من الريحان ، ويصبون عليه الزيت والنפט ،
وقد يمشى بين الناس وهو يحترق حتى تأتى النار عليه ،
ويصبح هشيمًا تذروه الرياح . ومنهم من يشق صدره قبل
دخوله فى النار أو يشق بطنه ، وينزع قطعة من كبده ، استهانة
بالموت وصبرا على الألم ، ومنهم من يفرق نفسه فى الكتنج، كل
ذلك ثقة منهم بالرجعة الى الحياة فى صورة اخرى

ويقول ابن وهب : للهند عباد واهل علم بلاهوتهم يعرفون
بالبراهمة ولهم شعراء يفسون الملوك ، ومنجمون وفلاسفة
وكهان وسحرة ، يظهرون ضروبا غريبة من السحر والتخايل .
ومن البراهمة قوم عراة قد غطت شعورهم ابدانهم ، واظفارهم
مستطيلة كالحراب ، وهم يسبحون فى الهند ، وفى عنق كل
رجل منهم خيط فيه جمجمة من جماجم البشر ، فاذا اشتد
بواحد منهم الجوع وقف بباب بعض الهند ، فاذا راوه اسرعوا
اليه بالارز المطبوخ ، مستبشرين به ، فياكل فى تلك الجمجمة ،
واذا شبع انصرف ، ولا يعود الى طلب الطعام . وينهى ابن
وهب حديثه بان للهند شرائع يتقربون بها - كما زعموا - الى
خالقهم . جل الله وعز عما يقولون ، وتعالى علوا كبيرا . ولهم
هياكل كبيرة ، واصنام عظيمة يعبدونها ، ويقوم عليها سدنة ،
ومن اصنامهم ما يقصدونه من مسيرة اشهر كثيرة



وتحدث أبو دلف مسعر بن كهيل عن عجائب الهند وما
بها من هياكل لعبادتهم ، وقال انهم لا يذبحون الحيوان ، ولا
ياكلون السمك ولا البيض ، وهم من عبدة الكواكب ، ولهم
حساب محكم ، ومعرفة بالنجوم كاملة ، وتعمل الاوهام فى
طبائعهم ، فمن ذلك ما يحكون من ان بعض ملوكهم بعث الى احد

الإكاسرة (ملوك الفرس) هدايا فيها صندوقان مقلدان ، فلما فتحوهما وجدوا في كل صندوق رجلا ، فسألوهما عن شأنهما ، فقالا : « نحن اذا اردنا شيئا صرفنا همتنا اليه ، فيحدث » فاستنكر كسرى ذلك واستبعده ، فقالا : « جريئافى عدو لك لاتستطيع قهره بالحرب ، فاننا اذا صرفنا همتنا اليه مات » فقال كسرى لهما : اصرفا همتكما الى موتكما ، فالأ : « اغلقوا علينا صندوقينا » فأغلقوهما ، ثم كشفوا عنهما ، فوجدوهما ميتين

ونزل مسعر في مدينة « الملتان » (فى الجزء الغربى من البنجاب) وهى بيت حجهم ، ودار عبادتهم ، وبها صنمهم الأكبر الذى كانوا يحجون اليه ، ويقدمون له ولسدنته القرابين والنذور ، وهو مبنى فى هيكل كبير ، وعليه قبة سمكها فى الهواء ثلثمائة ذراع ، اما طوله فمئرون ذراعا ، وصورته أنسان جالس متربع على كرسى ، وعيناه جوهرتان ، وعلى رأسه اكليل من الذهب ، وقد مد ذراعيه على ركبتيه ، وجعلت أصابعه كالقباض على أربعة فى الحساب ، وهو معلق فى جوف القبة ، لاتمسكه قائمة من أسفله ولا علاقة من أعلاه ، وهو ثابت فى مكانه بتأثير مضاطيس يجذبه . وزعم مسعر انه رأى فى السند هيكلا من ذهب ، فى صحراء قدرها أربعة فراسخ ، والثلج لايقع عليه بينما يقع على ما حوله !



وأكبر من تحدثوا عن الهند وأعظمهم شأنا أبو الريحان البيرونى المتوفى سنة (٤٤٠ هـ) فقد مكث فى الهند أربعين سنة درس فيها لغتهم السنسكريتية وتقاوتهم ومعارفهم فى الإثنولوجيا وفى الفلك والتنجيم ، ودون دراسته

في كتابه : « تحقيق ما للهند من مقولة ، مقبولة في العقل أو مرذولة » . وكان فيلسوفا ناقدا بصيرا ، فأحاط بكتبهم المقدسة ، وجملة أساطيرهم وعلومهم ومعارفهم ، وصور ذلك في كتابه تصويرا دقيقا

ونحن لانكاد نقرأ في هذا الكتاب ، حتى نرانا ندخل في عبادة أو ديانة وثنية معقدة ، تكثر فيها الآلهة وتكثر الأرواح وتنشئ في قوى الطبيعة ، فاذا كل قوة لها الهة الذي يرمز اليها ، من مثل اندر ويرمز الى العاصفة ، وهو رئيس الملائكة ، ومثل سومى وهو يرمز لنبات مقدس يسكر عصيره الآلهة والناس جميعا ، ومثل اجنى رمز النار ، وبراهما هو كبير آلهتهم . وكانوا يعتقدون ان الكون يمتلئ بالأرواح من حولهم ، ومنها الخيرة والشريرة ، وهى أرواح الشياطين ، ولا ينجى الانسان منها الا مهارته في السحر ومعرفته بالرقى والتعاويد ، ولذلك كان للسحر عندهم شأن عظيم . ومن مزاعمهم في نشأة العالم ان الهة عظيمي شأن بالوحدة ، فانشق نصفين ، نشأ منهما كل الخلق ، اذ انقسم الى زوج وزوجة ، ما زالت تختفى منه في صور الكائنات ، وهو يتمثل لها ذكرا سويا في كل صورة تتحول اليها ، فاذا تحولت بقرة تحول ثورا واذا تحولت فرسا تحول حصانا ، واذا تحولت اناثا تحول حمارا ، واذا تحولت نعجة تحول كبشا ، وهكذا خلقت الكائنات زوجين زوجين ، وهى جميعا ترجع الى خالق واحد ، اذ ليست أكثر من صور مختلفة له . وواضح ماتحملة هذه الاسطورة من فكرة وحدة الوجود ، وتناسخ الأرواح ، في صور مختلفة . ويحكى البيرونى من مزاعمهم : ان براهما الاكبر رأى شرارة تحت الارض ، فأخرجها وجعلها اثلاثا ، الاول النار المعهودة التى توقد بالحطب ويطفئها الماء ،

والثاني الشمس ، والثالث البرق . وعندهم ان العالم ينقسم الى علو وسفل ، وفي العالم العلوي الجنة ، وفي العالم السفلي مجمع الحيات وهو جهنم ، وفي العالم الاوسط الناس ، وهم يشابون بالصعود الى العالم الاعلى ، ويعاقبون بالهبوط الى العالم الاسفل ، كل حسب عمله ، وفي اعتقادهم ان النفس ترتبط بالعالم عن طريق وثاق جسدها ، ولذلك يتهاونون بالبدن ويحاولون فراقه بالحرق او الفرق . واجناس الخلائق عندهم ثلاثة : الروحانيون في الاعلى ، والبشر في الوسط ، وفي الاسفل الحيوانات ، اما انواع الخلائق فاربعة عشر ، منها للروحانيين ثمانية هي براهما واندرو وسوما النخ . وللحيوانات خمسة : بهائم ووحش وطيور وزحافة ونباتية ، وهي الاشجار ، اما البشر فنوع واحد ، ومع كل هؤلاء الالبسة والشياطين . ويتقدم النساك وسدنة النار عندهم على الاطباء والمنجمين واصحاب العلوم . ويوغل البيروني في بحث شرائعهم وعبادتهم للاصنام ، حاكيا لاساطيرهم في ذلك كله ، ومن طريف ما قصه عن مبدأ عبادتهم للاصنام والتماثيل هذه الاسطورة :

« كان فيما مضى من الازمنة ملك يسمى انبرش ، نال من الملك منهاء فرغب عنه ، وزهد في الدنيا ، وتخلّى للعبادة والتسبيح زمانا طويلا ، حتى تجلّى له الهة في صورة « اندرو » رئيس الملائكة ، راكبا فيلا ، وقال له : سل ما بدا لك لاعطيك اياه ، فأجابته : بأني سررت لرؤيتك ، واشكر ما بذلتك من الاسعاف ، لكنني لست اطلب منك شيئا ، انما اطلب ممن خلقك قال اندرو : ان الغرض من العبادة حسن المكافأة عليها ، فحصل الغرض ممن وجدته منه ، ولا تقل : اني لا اريد منك بل من غيرك . قال الملك : اما الدنيا فقد حصلت لي ، وقد رغبت عن

جميع ما فيها ، وأنا مقصودى من العبادة رؤية الرب ، وليست اليك ، فكيف اطلب حاجتى منك ؟ قال اندر : كل العالم ومن فيه فى طاعتى فمن أنت حتى تخالفنى ؟ قال الملك : أنا كذلك سامع مطيع الا انى أعبد من وجدت أنت هذه القوة من لدنه ، وهرب الكل الذى حرسك من الفوائل ، فخلنى وما أثرته ، وارجع عني بسلام . قال اندر : فاذا ابيت الا مخالفتى فانى قاتلك ومهلك قال الملك : قد قيل : ان الخير محسود والشر له ضد ، ومن تخلى عن الدنيا حسدته الملائكة ، فلم يخل من اضلالهم اياه ، وأنا من جملة من اعرض عن الدنيا ، واقبل على العبادة ، ولست بتاركها مادمت حيا ، ولا أعرف لنفسى ذنبا أستحق به منك قتلا فان كنت فاعله بلا جرم منى فشأنك وما تريد ، على أن نيتي ان أنا خلصت لله ولم يشب يقينى شوب لم تقدر على الاضرار بى وكفانى الآن ما شغلتنى به عن العبادة وانى راجع اليها . ولما أخذ فيها تجلى له الرب فى صورة انسان ، على لون النيلوفر الاكهب (الاسود) ، بلباس أصفر ، راكبا الطائر المسمى جردى احدى أيديه الارباع الحلزون الذى ينفخ فيه على ظهور الفيلة ، وفى الثانية سلاح مستدير حاد ، وفى الثالثة حرز ، وفى الرابعة نيلوفر أحمر . فلما رآه الملك اقشعر جلده من الهيبة وسجد وسبح كثيرا ، فأنس وحشته وبشره بالظفر بمرامه ، فقال الملك : كنت نلت ملكا لم ينازعنى فيه أحد وحالة لم ينقصها على حزن أو مرض فكأننى نلت الدنيا بحذاقيرها ، ثم أعرضت عنها لما تحققت أن خيرها فى العاقبة شر عند التحقيق ، ولم أتمن غير ما نلته الآن ، ولست أريد بعده غير التخلص من هذا الرباط . قال الرب : هو بالتخلى عن الدنيا بالوحدة والاعتصام بالعكرة وقبض الحواس اليك . قال الملك : هب انى قدرت

على ذلك بسبب ما أهلت له من الكرامة فكيف يقدر عليه غيري ،
ولابد للإنسان من مطموم وملبوس ، وهما واصلان بينه وبين
الدنيا فهل من طريق غير ذلك ؟ . قال الرب له : استعمل
بملكك وبالدنيا الوجه الاجود والاحسن ، واصرف النية الى
فيما عمله من تعمير الدنيا وحماية أهلها ، وفيما تتصدق به
وفي كل الحركات ، فان غلبك نسيان الانسية ، فاتخذ تمثالا
كما رأيتني عليه ، وتقرب بالطيب والازهار اليه ، واجعله
تذكارا لي لئلا تنساني ، حتى ان فكرت فبذكرى ، وان حدث
فباسمى ، وان فعلت فمن اجل . قال الملك : ثم غاب الشخص
عن عينه ، فرجع الى مقره وفعل ما امره به . قالوا فمن حينئذ
تعمل الاصنام ، بعضها ذوات اربع ايد كما وصفنا ، وبعضها
ذوات يدين . واخبروا ايضا انه كان لرأس البراهمة
ابن لم تكن له همة غير رؤية الرب ، وكان يمسك عصا معه
ويلقيها فتصير حية ، ويعمل بها العجائب ، وكانت لا تفارقه
وبينما هو في فكره يتأمل يوما اذ رأى نورا من بعيد ، فقصده
ونودى منه : ان ما تساله وتتمناه ممتنع الكون ، فليس يمكنك
أن تراني الا هكذا ، ونظر فاذا شخص نوراني على مثال أشخاص
الناس . ومن حينئذ وضعت الاصنام والصور . ومن اصنامهم
المشهورة صنم مولتان باسم الشمس ، وفى عينيه ياقوتتان
حمرات ، ويقولون انه اقيم منذ مائتين وستة عشر ألف
سنة .

وفيض البيرونى في ذكر اصنامهم وهياتها ، وكيف
يصنعونها ، ويتحدث بالتفصيل عن كتبهم الدينية وسائر
علومهم وشعرهم وعروضه وحسابهم وأعداده التي وضعها
رأس البراهمة وكان مترها ، عقد مجمعا من الحكماء من شرائعهم

وهو الذى وضع نظرية أدوار حياة العالم ، كانوا يزعمون أنه قال : « ان عمر العالم اثنا عشر ألف دور مقدار كل دور ست وثلاثون ألف سنة »

وعرض البيروني لسحر أهل الهند الذى اشتهروا به وتخييلهم بوجه من وجوه التعمية ، وقال ان اصحاب هذه الصناعة مجتهدون فى اخفائها ، ومنقبضون عن ليس من أهلها ، وهى صناعة تقوم على معاجين وتراكيب أدوية ، اكثرها من النبات وأصوله ، ويزعم أهلها أنهم يستطيعون أن يمدوا الصحة الى المرضى والشباب الى الشيب والشيوخ . ومن أساطيرهم التى يروونها فى هذا الباب ، أنه كان فى مدينة « أوجين » رجل يسمى « بيارى » صرف الى هذا الفن همه ، وأفى فيه عمره وما ملكه ، ولم يفده كل ذلك ما يسهل عليه مقصده فجلس على شط نهر متحسرا مفتحا ضجرا ، ويده الدرر الذى كان يأخذ منه نسخ الادوية ، فجعل يطرح فى الماء منه ورقة بعد ورقة . واتفق أن كان على شط ذلك النهر فى أسفله امرأة بفى ، فمرت الاوراق عليها فجمعتها واطلعت منها على صناعته بالسحر وهو لا يراها ، وما زال حتى فنيت الاوراق ، فأتته سائلة عن سبب فعله بكتابه ، فأجابها : لانى لم أنتفع به ، ولم أصل الى شىء من أربى ، وأفلست بسببه بعد الاموال الكثيرة ، وشقيت بعد الامل الطويل فى نيل السعادة . قالت المرأة : لا تعرض عما أفنيت فيه عمرك ، ولا تيأس من وجود شىء قد أثبتته الصناع قبلك . فربما كان العائل بينك وبين الوصول الى حقيقته امرا تافها ، ولى اموال كثيرة وكلها لك مبذولة لتنفقها على مطلوبك . فعاد الرجل الى عمله ، وكان يجد فيه صعوبة لان كتب هذا الفن مرموزة ، فكان يقح له

غلط من جهة اللغة في الدهن أو في دم الانسان ، فيخلف الدواء ولا ينتجع ، وفي يوم أخذ في طبخ الادوية ، وأصاب النار رأسه ويبست دماغه ، فادهن بدهن كثير صسبه على هامته ، وقام من عند المستوقد لشغل . فوافق سمترأسه من السقف وقد ناتي ، فشججه وأدماء ، وعاد مطرقا للالم الذي عمراه ، وتقطر من يافوخه الى وعاء الادوية قطرات دم ممزوجة بالدهن ، وهو لا يقطن لذلك ، الى أن تم مزج الادوية ، فطلى بها نفسه للامتحان وصنعت صنيعه المرأة ، قطارا في الهواء ! وعمل في ذلك الفن كتب مشهورة ، وهو معها الى الآن حتى لم يمت . هكذا يزعمون ! »

قال البيروني : ومن مشابه هذه الاسطورة أن في مدينة « دهار » على باب الوالي في دار الامارة ، قطعه فضية مربعة مستطيلة فيها تخايل أعضاء انسان ، وقد ذكروا في أمرها :

« أن رجلا في مواضي الازمنة اشتهر بأدوية ، من عماله ما بقي حيا لا يموت ، مطعرا لا يفلب ، قادرا على ما يروم ويطلب فسمح به ملكه ، فأحضره وأمر باحضار جميع ما طلبه ، وأخذ الرجل في اعلاء دهن أيا ما ، ثم قال للملك : ارم بنفسك فيه حتى أتم لك الامر ، فهال الملك ما رأى ، وخاف من التفرير بنفسه . فلما أحس الرجل خوفه وفزعه قال له : « إن كنت لا تجترى على ذلك ولا تريد لنفسك فهل ترضاه لي حتى أفعله بنفسى ؟ » قال الملك : « ذلك اليك » فأخرج الرجل صرر أدوية ، وعرفه بعلامات تظهر منه ، ليلقى عليه عند ظهور كل واحدة منها صرة معينة . وقام الرجل الى الدهن وتردى فيه ، متفسخ وصهر جلده وجسده ، وأخذ الملك يفعل ما

مثله له الى أن قرب التمام ، وبقيت صرة ، فاشفق الملك منه على ملكه ، اذا انبعث كما ذكر . فتوقف عن القساء الصرة ، وبرد القدر والرجل مجتمع فيه . فأخرج بما عليه ، وهو تلك القطعة من الفضة ! »

ولهم في التعاويذ والرقى اعتقاد بالغ ، وأكثرها ينصرف الى المندوخ ، قال البيروني : « ويبلغ من افراطهم في هذا الباب أنني سمعت بعضهم يزعم أنه رأى ملسوعا ميتا قام بالرقية وتكلم وأوصى ، ودل على الودائع والأشياء ، ولما استنشق رائحة الطعام خر ميتا هامدا »

ومن خرافاتهم أن ملكا من ملوكهم ذهب الى جبل قاف هرما قد حناه الكبر ، وانصرف منه شابا معتدل القامة ممثلا بالقوة قد اتخذ السحاب مركبا . وعقب البيروني على ذلك كله بقوله : « ولست أدري ماذا أقول في هذه الخرافات » ومما رواه منها : « زعم بعض الهنود أنهم شاهدوا طباء ذات أربعة أعين ، وأن في بعض براريهم دابة ذات أربع قوائم ، وعلى ظهرها أربع قوائم أخرى ذاهبة الى أعلى ، ولها خرطوم صغير ، وقرنان عظيمان تضرب بهما الفيل فتقطعه نصفين ، وأنها ربما نطحت دابة ، ورفعتها الى ظهرها ، فوقعت بين قوائمها العليا فتمفتت وحينئذ تحك ظهرها في الشجر حتى تموت وأنها ربما سمعت صوت الرعد فظننه حيوانا وقصدته ، ووثبت اليه . ومما يزعمونه أنه يوجد نحو الشرق جبال القردة : وفي كل يوم يخرج ملكها مع الجماعات منها ، ولهم مجالس مهينة ، ويحمل أهل تلك الأرض للقرود الارز المطبوخ على أوراق ، فاذا طعمت رجعت الى الفياض ، وان تغافلوا عنها كان في ذلك هلاك الناحية لكثرتها وشدة صولتها . وفي رأيهم أنها أمة من

الناس ممسوخة !

وللهند في الافلاك والكواكب والنجوم اساطير كثيرة ، عرضها البيروني ، ونضرب لها بعض الامثلة فمن ذلك ما كانوا يزعمونه عن نجم سهيل من أنه : « لما طلعت الشمس في المبدأ ، وسامت جبل بند الشامخ في مرورها انكر علوها وبعثته الكبرياء على التعرض لها ليمنعها عن مسيرها وقصدها ، ويجبس عجلتها عن المرور فوقه ، فارتفع حتى قرب من الجنة ومواطن الروحانيين ، فأسرعوا اليه لطيبه ونزهة بساكنيه ورياضه واستوطنوه فرحين ، يتردد فيه نسلوهم ويلعب أولادهم حتى اذا هبت الريح على ثياب بناتهم البيض تحركت كالرايات الخافقة ، ورؤيت السباع والاسود في شعابه حالكة الالوان ، والقروود تعلو قممه ، والزهاد في غياضه مقتصرين على التغذى بشماره » . ولما رأى سهيل ابن المـاء ذلك من فعل الجبل ، عرض عليه الصحة فيما قصده ، واقبل على البحر يبلع ماءه حتى غاض ، وبدت سفوح جبل بند ، فتشبثت دواب الماء به تخدشه حتى ثلثته بالحفر ، وثقبتة أخاديد ، احتفظت بالجواهر واللائلء فيها تزدان بها وبالاشرجار والحيات . واعتاض البحر عن ذلك بحسن لمعان السمك فيه وظهور الجواهر في قراره التي يتزين بها زينة السماء بالكواكب . وكل ذلك من فعل سهيل الذي يطهر الماء من الاوساخ الارضية . ومهما زادت الانهار ونقصت ، فانها تقدم ما على وجهها من انواع النيلوفر والوانه الى القمر وكذلك ما يسبح فيها من البط مثلما تقدم الفتاة الورود والتحف عند اقترانها . وما أشبه تردد البط الابيض في الماء مصوتا بشفتي الحسناء قد افترنا عن أسنانها وهي تضحك ضحك

الفرح ، بل ما أشبه النيلوفر الأبيض والأسود بسواد حدقتها وما يحيط بهما من بياض . فإذا رأيت الحياض قد أشرق عليها ضياء القمر ، وانفتح ما انضم من نيلوفرها الأبيض والأسود ظننتها وجه حسناء تنظر بعين دعجاء من مقلة بيضاء . وقد تسيل في الحياض الحيات والسوم والقاذورات ، ولكن طلوع سهيل عليها يطهرها من النجاسات والآفات . ومن أجل ذلك كانت خطرة ذكر سهيل على بال الإنسان ماحية لأنامه الموجبة لعقابه ، فانطلاق اللسان بمدحه أبلغ في حط الأوزار عنه واكتساب الثواب . ويجب أن يعرف وقت طلوعه ويقدم القربان إليه . وفي أول ظهوره يكون عسر الإدراك لا يهتدى له كل ناظر ، فينبغي أن يسأل المنجم عن سمت مطلعته ، وحينئذ قدم النذور له ، وأفرش الأرض بما يتفق من الورود والرياحين ، والى عليها ما بدا لك من الذهب والنياب والجواهر البحرية ، وقدم البخور والزعفران والصندل والمسك والكافور مع نور وبقرة وطعام كثير وحلوى . ومن فعل ذلك سبع سنوات متوالية بنية صالحة واعتقاد قوى وثقة ملك الأرض والبحر المحيط بها من الجهات الأربع !

ولهم مع كل كوكب وكل جبل وكل شجرة كبيرة وكل ظاهرة في الطبيعة مثل هذه الاسطورة ، بل ما يزيد عنها خرافة وتهريفا ، فمن ذلك ما يزعمون من أنه : « كان في الزمن القديم ستة عشر جبلا تطير بأجنحة لها ، فأحرق أجسحتها شعاع « اندر » رئيس الملائكة ، فسقطت حول البحر المحيط ، في كل جهة منه أربعة . وفيما بين الثالث والرابع من جبالها التي سقطت في الشرق نار تشرب ماء البحر ، ولولا ذلك لامتلأ وفاض بدوام اتصايب الأنهار فيه . وزعموا

أنها نار ملك قديم لهم يسمى « أورب » ورث الملك عن أبيه وقد قتل وهو جنين ، فلما ولد وترعرع وسمع خبر أبيه غضب على الملائكة ، وجرد سيفه لقتلهم ، بسبب إهمالهم حفظ العالم مع عبادة الناس لهم ، وتقربهم إليهم ، فتضرعوا إليه واستعطفوه حتى أمسك . فقال لهم : « ماذا أصنع بنار غضبي ؟ ، فأشاروا عليه بالقائها في البحر ، فهي التي تشرب مياهه . » ومن زاعمهم في منازل القمر أنها بنات تزوج بهن ، وأولع من يتهن باحداهن وآثرها عليهن ، وحملت الفيرة أخواتها بل شكايته إلى أبيهن ، فأغلظ عليه في التسوية بينهن ووعظه فلم ينجح فيه وعظه وحينئذ لعنه فأصاب وجهه البرص . وندم القمر على فعله ، فجاءه تائباً عن ذنبه ، فقال له الأب : « إن قولي واحد لارجوع فيه ، ولكنني أستر فضيحتك في كل شهر مدة نصفه فلا تظهر للناس » . فقال القمر : « فالدنب السالف كيف ينمحي عني أثره ؟ » قال : « أنصب مخدوماً لك ، وأنصب له مخدوماً أو صاحباً ، وهو الذي يرمز إليه صنم « سومناة » وسوم هو القمر ، ونات صاحب ، فهو صاحب القمر ، وهو من أكبر اصنامهم » . وقد قلعه محمودالفرنوي في سنة ست عشرة وأربعمائة وكسر أعلاه

وميثولوجيا الهند واسعة ومعقدة . وعلى هذا النحو يمضي البيروني في تصويرها من جميع أطرافها ، وقد وقف طويلاً عند رسوم البراهمة في دينهم وصدقاتهم ومجاهداتهم ، وما كانوا يبيعونه ويحرمونه من المطاعم ، كما وقف عند قرابينهم وكيف كانوا يقدمونها إلى النار لتقدمها بدورها إلى الآلهة ، وزعموا في سبب ذلك أنها خجلت في أول الزمان من آلهتهم فسقطت إلى الأرض السفلى ، وأقبل بعض الآلهة ، يبحث عنها

فدلته عليها الضفدع ، فدعت عليها أن تكون ناقصة الصياح
وتوارت في شجرة فدلته اليبفاء على مكانها ، فدعت عليها
بإقلاق اللسان . وأخيرا عثرت الآلهة عليها فأصلحتهما
وقومتها ، وجعلتها واسطة بينهم وبين الناس ، تأخذ قربانهم
منهم وتوصله إليهم

ويقص البيروني حجهم الى الاصنام المقدسة ، والانهار
العظيمة ، وعلى رأسها نهر الكنج ، ويزعمون أنه من انهار
الجنة ، حملته الآلهة الى الارض ، وجميعهم يرون من حق
الميت على الورثة أن يفسل ويعطر ويكفن ثم يحرق بما أمكن من
صندل أو حطب ، وتحمل بعض عظامه المحترقة الى نهر الكنج
يلقى بها في الجنة . ومن عجز عن الاحراق القى الجثة في
الماء الجاري . وتحرق الارملة التي تؤثر اتباع زوجها ،
وكذلك يحرق كل من مل حياته أو تبرم بجسده من مرض عياء
أو شيخوخة وضعف ، وكانما يرون في النار باب خروجهم الى
عالم وجودهم الحقيقي . ومن شعائهم الصوم ، ومنهم من
يطيله تقربا الى الله أيام شهر متوالية ، لا يعطر فيها البتة،
ويعتقدون أن من واصل جميع الشهور صائما ، فلم يفطر في
السنة الا اثنتي عشرة مرة ، مكث في الجنة عشرة آلاف سنة
ثم عاد الى الحياة في أهل بيت ذي شرف ورفعة وحسب



ولنترك البيروني الى ما يقصه القزويني من عجائب الهند
فمن ذلك شجرة كسيوس ، وهي شجرة حلوة الثمرة يقع
الحمام عليها ، ويأكل من ثمرتها فيفشي عليه ، وتراه الحيات
فتقصده ، تريد أكله ، ولكنها لا تستطيع الاقتراب من الشجرة
ما دام على أحد اغصانها أو في ظلها . ومن ذلك البيش

وهونبت سام قاتل ، اذا اكل منه أى حيوان مات ، ومن غرائب
أن قارة تتوالد تحته ، اذا أكلت منه لم يصيبها أى ضرر ، ويقال
أن ملوك الهند اذا أرادوا القدر بأحد عمدوا الى الجوارى
اذا ولدن وفرشوا من هذا النبت تحتهم ودهن زمانا ، ثم تحت
فراشهن زمانا ثانيا ، ثم تحت ثيابهن زمانا ثالثا ، ثم يطعمونهن
ممه فى اللبن ، حتى اذا كبرت الجارية وتناولت منه شيئا لم
يضرها ، ثم يبعثون بها مع الهدايا الى من أرادوا القدر بهم
من الملوك ، فاذا اقتربوا منها ومسوها ماتوا فى الحال . وبها
من يرقون من تسممهم الحيات فيبرءون ولا يؤذيهم السم ! .
وبها طير عظيم الجنة جدا ، اذا مات اتخذوا من نصف منقاره
مركبا يركبونه فى البحر ! وببعض أرضهم نوع كبير من
النمل أسرع عدوا من الكلب ، وهو يأكل من يقترب منه ! .
وبها جبل عليه صورة أسدين ، يخرج من فم كل منهما ماء
كثير تدور عليه ساقيتان كل ساقية تروى قرية . وبها طائر
على هيئة القمرى ، اذا أحضر الطعام وكان مسموما دمعت عيناه
وجرى منهما ماء وتحجر ، فاذا تحجر سحق ، وجعل على الجراحات
فتلتئم فى الحال . وبها معبد سومنات (فى شمالى الهند)
يحجون اليه عند خسوف القمر ، ويزعمون أنه هو الذى ينشئ
الارواح بعد مفارقتها لاجسادها فيمن شاء ، على مذهبهم
المشهور فى التناسخ ، ويؤمنون بأن مد البحر وجزره عبادة
له ، وبينه وبين الكنج مائة فرسخ وفى كل يوم يحملون اليه
منه جرارا يفسلون به ، ويقوم على سدأته ألف رجل من
البراهمة . وبيت المعبد مبنى على ست وخمسين سارية من
الساج المصنع بالرصاص ، وقبته مظلمة وهى تضى بقناديل
الجوهر الفائق . ومن عجائب الهند حجر اذا القى على النار ونظر

اليه الانسان انتفخ ، حتى يصيح ضعف ما كان ، ويروى أن بعض
 الهنود جلب منه عودا ووضعوه في مجمرة أمام بعض الساس
 ففرغ اذ رأى وجه من كان قاعدا معه انتفخ ، وشخصت عيناه
 وتغير في الحال . فأمر برقع المجمرة ، فرجع جلسه الى حاله
 الاول ، فقال له : انى رأيتك قد انتفخت انتفاخا عظيما ، فقال
 له : وأنا أيضا رأيت منك ذلك . فعرفوا أنه من خاصية العود
 الذى ألقى في المجمرة



وقد أقام ابن بطوطة فى الهند ثمانى سنوات تبدأ بسنة
 ٧٣٤ هـ واتصل بسلطانها محمد بن تغلق ، فأكرم
 وفادته عليه وولاه منصب القضاء ، وقد وصف فى رحلته مدن
 الهند وعجائبها وصفا مسهباً ، ورسم فيما زعم أنه رأى على
 بعد سبعة أميال من مدينة لاهرى مدينة منخ أهلها حجارة
 كما مسخت حيواناتهم وجبوبهم من القمح والحمص
 والفول والعدس . وتحدث عن احراقهم لاحسادهم ، واغراقهم
 لانفسهم فى نهر الكح المقدس ، كما تحدث عن السحرة
 الجوكية ، وان منهم من يستطيع أن يتصور فى صورة سبع ،
 ويهجم على النور ليلا ويفترس الصبية ، وهم يقتدرون قدرة
 غريبة على الصيام حتى ان منهم من يقيم الشهور المتعاقبة
 لا يأكل . والناس يدكرون أنهم يعتمدون على حبوب خاصة
 يأكلون الحبة منها لا يام وأشهر معلومة ، فلا يحتاجون الى
 طعام ولا شراب ، ويخبرون بأمور مغيبة وسلاطينهم
 يعظمونهم . ومنهم من يقتصر فى أكله على البقل ولا يأكل
 اللحم البتة

يقول ابن بطوطة : والظاهر من حالهم أنهم عودوا أنفسهم

الرياضة على ذلك ، وهم يعزفون عن الدنيا وطيباتها ، ويزعم
أن منهم من ينظر إلى الإنسان فيقع ميتا من نظرتة . وتقول
العامة هناك : انه اذا قتل انسان بالنظر من هؤلاء السحرة
وشق عن صدره وجد دون قلب ! . وأكثر ما يكون هذا
السحر في النساء ، والمرأة التي تشتهر بذلك تسمى « كفتار »
ويظل ابن بطوطة يهرف ويبالغ على هذا النحو الذي يجعل
رحلته في بعض جوانبها حديث خرافة



في ايران وآسيا الوسطى

ربما كان أول من تكلم بالتفصيل عن عجائب ايران وآسيا الوسطى أبو دلف مسعر بن مهلهل الخزرجي ، وكان - كما قدمنا - قد رحل من بخارى الى الصين ثم رجع من الهند ، وذكر بعض أعاجيب رآها في رحلته نقلنا أطرافا منها فيما مر من حديثنا عن بلاد الهند والصين ، وقد تغفل في التركستان وايران ، وسجل في رسائل مختلفة مشاهداته الغريبة ، ونقلتها عنه كتب الجغرافيا وكتب العجائب ، وقد طبعت وزارة التربية والتعليم إحدى رسائله ، وفيها يصف كثيرا من مدن ايران وآسيا الوسطى ، متحريرا ذكر المعادن والنباتات والحيوانات والمنتجات المختلفة، وأول مدينة تحدث عنها في هذه الرسالة مدينة شيز في شرقي ايران ، وقد ذكر أن بها بيت نار لعبادة المجوس ، على رأس قبته هلال فضة هو طلسمه ، ويقول انه يوقد منذ سبعمائة سنة فلا يوجد فيه رماد ، ولا ينقطع عنه الوقود ساعة من الزمان ! وفي وسط هذه المدينة بحيرة لا يدرك لها غور ، وإذا قصدتها عدو ونصب منجنيقه على سورها فإن ما يقذف به من حجارة يقع في البحيرة

وواضح من هذين الخبرين عن البحيرة وبيت النار مدى ما يدخله أبو دلف على وصفه من مبالغات ، وكان له خيال

يستطيع أن يقلب به الحقيقة الى عجيبة غريبة ، وهو اول من خط هذا الاتجاه ووسع فيه ، ليتحول فيما بعد الى كتب العجائب التي نوهنا بها في القسم الاول من هذا الكتاب . وكان يكثر من ذكر الطلاسمة التي تمتاز بها المدن ، فكل تمثال وكل هيئة غريبة طلسم ، وأيضا فانه تحدث عن تاريخ البلدان ومنشئها من ملوك الفرس أو من غيرهم ، وهو تاريخ شعبي ان صح هذا التعبير ، وقد زعم أن الذي بنى مدينة شيز هو هرمز ملك الفرس

والم أبو دلف بمدينة قرميسين وبجبل بيستون القريب منها ، ومعروف أنه نحتت به صور وتمائيل هي من عجائب الدنيا ، وبينها تمثال عظيم لدارا الأكبر ، يشير الى انتصاراته على ملوك مائلين بين يديه . وبالقرب من ذلك طاق بستان وبه تمثال لكسرى الثاني أبرويز على فرسه شبدين وصورة شيرين زوجته ووصيفاتها ومواليها . وقد أورد ابن حوقل تفسيراً عجيباً لتمثال دارا والملوك القائمين بين يديه ، فقال ان هذه الصورة تمثل دارا استأذا ، ومن بين يديه من الملوك تلاميذه ، وزعم أن الانحناء البادى فيه هو انحناء الاستاذ في يده سوط

ويمضي أبو دلف فيمر بهمدان ويذكر أنها كانت مدينة دارا الأصغر الذي هرمه الاسكندر ، ولا تزال هذه المدينة في وسطها ، ويقول في وصفها : « مدينة كبيرة مبنية على دكة (طوار فسيح) يكون ارتفاعها ثلاثين ذراعاً ، ولها أربعة أبواب وطاقات عالية » ووصف أبى دلف للمدينة أو لقصر دارا غير دقيق ، ومعروف أن ملوك الفرس في هذا التاريخ ، كانوا يتخذون لقصورهم درجاً خارجياً يرقاه القادم الى الطوار الواسع الذي شيد عليه

القصر بيهوه الفسيح ، وغرفته ومقصوراته الكثيرة ، ويتراوح ارتفاع الدرج بين عشرين وخمسين قدما . ويستطرد أبو دلف فيذكر هذه الاسطورة التاريخية :

« قيل ان دارا لما زحف اليه الاسكندر شاور وزراءه في مدينة حصينة يحرز فيها اهله وكنوزه ، فقال له بعضهم : اعرف مدينة خربة بين جبال شامخة وطرق وعرة ، ان بناها الملك واحرز فيها ذخائره ووكل بحفظها اربعة آلاف من ثقاته امتنعت على كل من رامها ، ووصفها له ، فسار اليها دارا حتى رآها وعلم انها تمتنع على من ارادها ، فبناها وجعل فيها خزائن جامعة لامواله وكنوزه ، وجمع فيها اهله ووكل بها ثقاته . فلما كان من امر الاسكندر مع دارا ما كان ، انفذ اليها جيشا عظيما ، فاقام عليها مدة لا يقدر على فتحها ، فهم رئيس الجيش بالانصراف ، فقال له نصحاؤه : كاتب الاسكندر في انصرافك وعرفه امرها . فكتب اليه في ذلك . وكتب الاسكندر الى مؤدبه ارسططاليس يعرفه امرها ، فأحابه : صـورها لي بطرقها وجبالها وانهارها . ففعل ذلك ، وانفذ الصورة اليه . فكتب يأمره بسد نهـرها على نحو فرسخ منها ستة بطولها ، ويوثق سده ، فاذا كان بعد ستة فتح ماءه وقرن البقر والجواميس والابل والذواب بعضها مع بعض وارسلها في الماء فانها تفتح السد ، واذا فتحته حمل الماء على المدينة فهدم سورها وتهاى له دخولها . ففعل ذلك ، فاقتلع آلاء بحدته لما انفتح السد نور المدينة وحمل معه صخورا كبارا لاتزال في شوارعها ، ودخل اصحاب الاسكندر المدينة واستولوا عليها »

ويصل أبو دلف الى جبل دناوند في شمالي ايران ، وهو

أعلى جبالها ، اذ يبلغ ارتفاعه نحو ٢١ ألف قدم ، ولا يفارق الثلج قمته صيفا ولا شتاء ، وهو يرى على مسيرة عدة أيام ، ويبعد من طهران الى الشمال الشرقي نحو خمسين ميلا ، وهو جبل بركاني كان لا يزال يرسل حممه في العصور الوسطى ، وقد وصفه جغرافيو العرب بأنه ينث الدخان نهارا والنار ليلا ، وسيوله غنية بالمواد المعدنية ، وخاصة الكبريت ، وبه عيون كثيرة . وللفرس أساطير كثيرة ، حول الجبل تتصل بملوكهم الاسطوريين ، أمثال أفريدون ، ويقال انه سجن فيه الملك الظالم بيوراسب (الضحاك) باحدى قممه وانه لا يزال حيا به على الدهر لا يموت ، ويظنون أن الاصوات الكثيرة التي تسمع من البركان هي أنينه وتأوهاتة ، وأن الدخان الذي يتصاعد من شقوق الجبل والعيون التي عليه هما أنفاسه . وهناك أسطورة تزعم أن سليمان حبس به ماردا ، وأخرى تزعم أنه الجبل الذي رست عليه سفينة نوح . ولنترك أبا دلف يحدثنا عنه :

« بدناوند جبل عال مشرف شاقق شامخ ، لا يفارق أعلاه الثلج شتاء ولا صيفا ، لا يقدر أحد من الناس أن يعلو ذروته ولا يقاربها ، يعرف بجبل بيوراسب . وتزعم العامة أن سليمان بن داود عليهما السلام حبس فيه ماردا من مرده الشياطين يقال له صخر المارد . ويزعم آخرون أن أفريدون الملك حبس فيه بيوراسب ، وأن دخانا يخرج من كهف في الجبل تقول العامة انه أنفاسه . ويرون نارا في بعض كهوفه فيقولون انها عيناه ، وأن هممته تسمع هناك . فاعتبرت ذلك وارتصدته ، ولزمت المكان وصعدت في الجبل حتى وصلت الى نصفه بمشقة شديدة ومخاطرة بالنفس . وما اظن أحدا

تجاوز الموضع الذى بلغت اليه ، بل لم يصل اليه انسان فيما اظن . فتاملت الجبال ، فرايت عينا كبيرة نقية وحولها كبريت مستحجر ، فاذا طلعت عليه الشمس والتهب ظهرت فيه نار . والى جانبه ماء (سيول) يمر تحت الجبل ، تخترقه رياح مختلفة ، فتحدث اصواتا متصادة على ايقاعات متناسبة ، فمرة مثل صهيل الخيل ومرة مثل نهيق الحمار ومرة مثل كلام الناس . وهى مثل الكلام الجهورى دون المفهوم وفوق المجهول ، يتخيل السامع انه كلام يدوى ولغة انسى ، وذلك الدخان الذى يزعمونه بخار تلك العين الكبريتية . وهذا الحال يحتمل على ظاهر هذه الصورة ماتدعيه الصامة ! وما راي احد راس هذا الجبل فى وقت من الاوقات منحسرا عنه الثلج ، الا وقعت الفتة واريقت الدماء من الجهة التى يرون الثلج منحسرا عنها ! »

وقلما يذكر أبو دلف بلدا الا يعود بينها الى ملوك ايران او بعض القبايلة اليمينية او جن سليمان . وتكثر هذه النسبة الاسطورية فى كتب العجائب ، كما تكثر معها الخرافات



ولنستعرض بعض ماجاء فى كتابات القزوينى ، يقول عن « أبهر » احدى مدن ايران ان سابور هو الذى بناها ، وكانت كلها عيونا ، ففسدها بالصوف والجلود وببنى المدينة عليها ، اما اصبهان فقد بناها الاسكندر المقدونى وعمرها يختصر بأسراء من بيت المقدس . وقد نزل فى قديم الزمان عسكر فى « بروجرد » فمسح حجارة صلدة . ويقرب نهاوند جبل عليه طلسمان : صورة ثور وسمكة ، وجبل آخر عليه ايوان كبير يسع الف نفس ، وهى آخره اربعة أحجار تشبه أنداء

النساء يتقاطر من ثلاثة منها الماء . وبالقرب من قزوين جبل عليه صور حيوانات واناس مسخت أحجارا ، منها راع متكىء على عصاه يرى غنمه ، وامرأة تحلب بقرة . وبجرجان عين بقربها دودة ، من اخذ من العين ماء ومست رجله تلك الدودة أصبح الماء مرا لا يمكن شربه . ومن عجائب جيلان أن المطر يسقط بها مدرارا ، فاذا سمعوا بالليل صوت ابن آوى وأعقبه نباح كلب ، بشر بعضهم بعضها بصحو الفد . وبالقرب من طبرستان حصن الطاق ، وكان في قديم الزمان خزانة ملوك الفرس ، وأول من اتخذه منهم منوچهر ، وهو نقب في موضع عال في جبل صعب المسلك ، والنقب يشبه بابا صغيرا ، فاذا دخله الانسان مشى نحو ميل في ظلمة شديدة ثم يخرج الى موضع واسع شبه مدينة قد احاطت به الجبال من جميع الجوانب ، وهى جبال لا يمكن صعودها لارتفاعها . وكان يحفظ هذا النقب في ايام الفرس رجلا من معهما سلم يدلونه من الموضع الذى هما فيه اذا اراد احدهما النزول ، فلا يصل الى الارض الا في دهر طويل !

وفى طبرستان على بحر الخزر شجرة اذا القيت شيئا من عيدانها فى الماء يموت ما فيه من السمك ، ويطفو على وجهه ، وفيها جبل به مغارة فيها دكة اذا لطخت بشيء انفتحت السماء وامطرت مطرا شديدا . وفيها حشيش من قطعه ضاحكا واكله ، غلب عليه الضحك ، ومن قطعه باكيا واكله غلب عليه البكاء ، وكذلك من قطعه راقصا ، فكل من قطعه وهو على حال غلبت عليه . ويقولون ان بها طائرا يسمى ككو ، ذيله يشبه ذيل الببغاء ، يظهر ايام الربيع ، فاذا ظهر تبعه صنف من العصافير موشاة الريش ، يخدمه طول نهاره ، ويأتى له

بالغذاء حتى اذا أمسى المساء اكل ماحوله من تلك العصافير ،
واذا أصبح صاح فجاءته عصافير اخرى ، تقوم على خدمته
حتى اذا جاء المساء اكلها ، وما يزال هذا شأنه طوال الربيع ،
فاذا زال الربيع فقد ذلك النوع الى الربيع القابل

ومن بلاد التركستان طمفاج واهلها يتخذون من الذهب
اوانيهم ، وهم زعر لاشعر على جدهم ، رجالهم ونساؤهم .
وفي مدينة تسمى الفور عين يذهب اليها الناس
في يوم معين من السنة ، فيرمون فيها بسهامهم ، فاذا
اصحوا وجدوا السهام خارج العين ، وعلى نصل بعضها
رهوس الحيوانات من الذهب ، اما رأس طير أو سمك أو اوز
أو حيوان آخر ، وبعض السهام تخرج وليس على رأسها
شيء . وبها السمندل وهو حيوان كالغار يدخل النار ولا يحترق ،
ويخرج والنار قد ازلت وسخه وصفت لونه وزادته بريقا ،
ويتخذ من جلده مناديل ثمينة ، واذا انسحت القيت في النار
فزال وسخها . وفي التركستان ثلج وبرد كثير ، وحصى اذا
حركوه سقطت عليهم الامطار الغزيرة

ويروى القزويني ان في قزوين مقبرة ، يأتيها الناس في ليلة
الجمعة ، فيرون بها انوارا غريبة تصعد من القبور وتنزل فيها ،
يقول : ولقد رأيت في بعض الليالي عجا ، وذلك انه قد طلع من
بعض قبورها كرة قدر ابريق ، وصعدت نحو الهواء اكثر من
عشرين ذراعا ، واضاءت الجوانب بنورها ، ورأها غيري
خلق كثير ، ولم تكن على لون النار ، بل كانت على لون القمر
ضاربة الى الخضرة ، ثم عادت الى مكانها . وبسمرقند جبل به
غار يتقاطر منه ماء بارد صيفا وحار شتاء ، وفي طشقند جبل
حجارته سود تحترق مثل الفحم ، واذا احترقت اشند بياض

رمادها ، فيستعمل فى تبييض الثياب ، ولا يعرف مثله فى شئ من البلاد ! . وفى قرغانة نبات على صورة الأدميين ، منه ما يكون على صورة الرجال ، ومنه ما يكون على صورة النساء . وقد مرت بنا أسطورة جبل دناوند عند أبى دلف مسعر بن مهلهل ، وانتهت عند القزوينى وسط هذه الخرافات والتهويلات الى هذه الصورة :

« ذكر محمد بن ابراهيم انه شخص الى دناوند ليقف على المحبوس به ، فوافى القرية التى فى حضيض الجبل ، ومعه بعض عساكر الخليفة المأمون ، فظلوا اياما يرومون الوصول الى بيوراسب ولا يهتدون اليه ، حتى اتاهم شيخ كبير عمره نيف وتسعون سنة ، فأعلموه مرادهم ، فقال لهم : أما الوصول الى هذا الملمس فلا سبيل اليه ، لكن ان أحببتم الوقوف على صحة ذلك أريتمكم برهانه ، فاستحسن محمد بن ابراهيم رايه . وصعد الشيخ ، قال محمد بن ابراهيم : وصعدنا خلفه الى الجبل ، واوقفنا عند موضع ، وقال : بالفوا فى حفرة ، فحفرنا حتى افتح لنا عن بيت منقور من الحجارة وفيه تمثال على صورة عحية ، وهو يضربه على أغلالة وقيوده ساعة بعد ساعة من غير فتور . فسألنا الشيخ عن شأنه ، فقال : هذا طلسم على بيوراسب المحبوس هاهنا ، لئلا ينحل من وثاقه ، فانه لا يزال يشد فى أغلاله حتى ترق وتلين ، فاذا ضربتها بمطرقتى عادت أغلاله كما كانت فى غلظتها وثخانتها . ثم أمرنا : لا نتعرض للطلسم وأن نرده الى ما كان عليه ، ففعلنا كما قال ، ثم انتهينا الى سلام أطول ما تكون ، فأمر الشيخ بشد بعضها الى بعض ، حتى بلغت قريبا من مائة ذراع ، ثم أمرنا برفعها وبنقب موضع فى الجبل ، فظهر باب عليه مسامير حديد

مذهبة وفوقه كتابة بالذهب تنطق بأن في قمة الجبل سبعة ابواب من حديد ، وأن من فتح أحدها هجم على الاقليم آفة لاتندفع ، وحادثة لا تمتنع . فقال محمد بن ابراهيم ، حين رأى ذلك لمن معه : لاتعرضوا لشيء حتى نستأذن الخليفة . وكتب الى المأمون بما شاهد هو ومن معه من العسكر ، فكتب اليه المأمون : لاتعرض لشيء من ذلك واتركه على حاله »

واكبر كتاب يعرض لهذا التاريخ الاسطوري لایران وللفرس هو كتاب « غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم » لابی منصور الحسين بن محمد المرغنى الثعالبي ، وهو غير الثعالبي مؤلف كتاب الينيمة المشهور ، وكان يعاصره كما كان يعاصر الفردوسي الذي نظم قصيدة قصصية طويلة تربو على اربعين ألف بيت من الشعر في تاريخ الفرس من أول نشأتهم وقد ضمنها كثيرا من الاساطير

وكتاب الثعالبي المذكور يعرض كذلك تاريخ الفرس منذ نشأتهم الاسطورية وما اقترن بها من ملوك خرافيين ، وهو يعرض هذا التاريخ عرضا يديعا ، تسوده القصة والخرافة في كثير من جوانبه ، وقد عرض في أوائل كتابه للملك الاسطوري بيوراسب الذي يسميه العرب باسم الضحاك ، وكان ظالما سفاكا للدماء ، وقد بدأ حياته بقتل أبيه ، وكان ابليس كثيرا ما يتصور له ، وقبل منكبيه يوما ونفخ فيهما من خبثه وسعوره ، فخرجت بهما حيتان ، كلما قطعنا عادتا كما كانتا وآلماتا جدا ، وتصور له ابليس في صورة طبيب ، وقال له ان هاتين الحيتين لاتهدآن الا اذا اطعمتا برءوس الأدميين ، فكان يقتل كل يوم شابين ليطعم الحيتين ، وما زال يفعل ذلك بشباب فارس عشرات السنين ، حتى ثارت به الرعية وعلى رأسها أفريدون ،

فقتله واستولى على الملك من بعده . يقول الثعالبي ، ويزعم
الفرس انه حملته الى جبل دنباوند وجسمه في بشر هناك ..
وفي اكاذيبهم انه لا يزال يعد في الاحياء بهذا الجبل وانه من
المنظرين كابلوس الى يوم القيامة

ويمضي الثعالبي على هذا النحو في كتابه يقص اخبار ملوك
الفرس قصصا اسطوريا خرافيا حينا ، وقصصا واقعا حينا
آخر ، ومن اساطيره التي لا يقبلها العقل اسطورة اسفنديار وانه
اخترق الى مدينة الصفرية طريقا لم يسلكه احد ، به ذئبان
كالعيلين واسدان كجبلين وثمان يهجم من السحاب (التنين) ،
وساحرة تسحر من يمر بها وعنقاء (الرخ) قاتلة ، ويقتحم
اسفنديار الطريق ويقتل كل هذه الدواهي ، ويدخل مدينة
الصفرية ويتغلب على ملكها ارجاسف



في بلغار الفولجا وشرقي أوربا

من المعروف ان البلغار اسسوا في أوائل العصور الوسطى دولتين أولاها على نهر الفولجا وفي شمالها وغربها الروس ، والثانية في حوض نهر الطونة ، وهي التي لا يزال يطلق عليها اسم البلغار أو بلغاريا ، وقد يطلق العرب على كل المنطقة الممتدة على البحر الاسود في أوربا اسم الصقالبة ، ويليهم الروم في القسطنطينية قبل استيلاء العثمانيين عليها ، ومن وراء الروم الباشغرد أو المجر ، أما بحر قزوين فيطلقون عليه اسم بحر الخزر

وأول من ترك لنا وصفا مسهبا لهذه الاقاليم ابن فضلان الذي أرسله الخليفة المقتدر في سنة (٣٠٩ هـ) معـوثا دينيا مع وفد الى ملك البلغار على نهر اتل أو اتلا (الفولجا) وكان هذا الملك قد كتب الى الخليفة يسأله ان يبعث اليه من يفقه وقومه في الدين الاسلامي . فأرسل اليه المقتدر ابن فضلان المذكور مع وفد كبير ، ووصل هذا الوفد الى البلغار في ١٢ من شهر المحرم سنة ٣١٠ للهجرة . ولما عاد ابن فضلان الى بغداد كتب رسالة في وصف هذه البلاد وما اتصل بها من بلاد الخزر والصقالبة والباشغرد والروس . وتغلب على رسالته روح المبالة ، بل روح التهريف والتخريف ، ومع ذلك استمرت أهم مصدر لوصف هذه الاقاليم مدة طويلة من الزمان ، واعتمد عليها كثير من مؤرخي العرب وجغرافيينهم .

وقد احتفظ ياقوت في كتابه معجم البلدان بكثير من جوانب
هذه الرسالة

وأول شعب تحدث عنه ابن فضلان في أوروبا الشرقية هو
الخزر ، وكانوا قد أقاموا مملكة في جنوبي نهر اتلا (الفولجا)
وكانت تسمى عاصمتها اتل وبها سمي النهر ، وكانت على
مصبه . ويحدثنا ابن فضلان أنها كانت على جانبي النهر ،
وفي أحد الجانبين المسلمون ، وفي الجانب الآخر الملك وأصحابه
من غير المسلمين ، ويقول انه كان هناك خزر سود وحزريض ،
وأن ملكهم بلقب بالخاقان ، ومن رسمهم انه اذا مات بنيت
له دار كبيرة ، فيها عشرون بيتا ، ويحفر له في كل بيت قبر
ويخفون الدار في جانب النهر ، حتى لا يصل اليه فيما زعموا
شيطان ولا انسان ولا هوام

ويقول ابن فضلان : الرحلة من اتل عاصمة الخزر الى البلغار
تستغرق شهرا في البر وشهرين في النهر ، وكانت عاصمتهم
تبعد عن الفولجا نحو ستة فراسخ بالقرب من مدينة قازان الحالية
وقد استقبل ملكهم ألو فدا استقبالا حافلا . ويأخذ ابن فضلان
في سرد ملاحظاته ، وهي تدل على أنهم كانوا لا يزالون متأخرين
بالقياس الى العالم الإسلامي ومدنيته ، ومما لاحظته أن كلا منهم
يأكل على مائدة منفردة ، وأنهم يحيون ملكهم بانحناء الرأس ،
ورفع القلائس ، وجعلها تحت الابط ، وهم لا يدفعون له شيئا
مما تنتج أراضيه ، إنما يؤدي له كل بيت جلد ثور ، كما
يقدمون له حصة من غنائم الحرب . ولاحظ أن النهار يطول
عندهم صيفا ، حتى ليعتذر تحديد موعد صلاة العشاء ، اذ سرعان
ما تغفلت في الافق تباشير الصباح . يقول : « رأيت من
العجائب مالا أحصيتها كثرة ، فمن ذلك أن أول ليلة بناتها

هناك ، رأيت قبيل مغيب الشمس بساعة أفق السماء وقد احمر
احمرارا شديدا ، وسمعت في الجو أصواتا عالية وهمهة ،
فرفعت رأسي ، فإذا غنم أحمر مثل النار قريب مني ، وإذا تلك
الهمهة والأصوات منه ، وإذا فيه أمثال الناس والدواب ،
وإذا في أيدي الأشباح التي فيه قسي ورماح وسيوف ،
أتبسها وأتخيلها • وإذا قطعة مثلها أرى فيها رجالا
أيضا وسلاحا ودواب ، فأقبلت هذه القطعة على تلك ، كما تحمل
الكتيبة على الكتيبة ، ففرعنا ، وأقبلنا على التضرع والدعاء
• • وكنا ننظر الى القطعة تحمل على القطعة فتختلطان جميعا
ساعة ثم تفرقان ، وما زال الامر كذلك شطرا من الليل ثم
غابتا • وسألت الملك عن ذلك فزعم أن أجداده كانوا يقولون
هؤلاء من مؤمنى الجن وكفارهم يقتلون كل عشية ، وأنهم لا
يعدمون ذلك في كل ليلة • ورأيتهم يتبركون بمواء الكلب ،
والحيات عندهم كثيرة ، وكذلك الصواعق • ويزل الرجال
والنساء النهر ، فيقتتلون جميعا عراة ، لا يستتر بعضهم من
بعض ، واجتهدت أن تستتر الرجال من النساء فما استقام
لي ذلك •

وقال ابن فضلان عند ذكر الباشغرد انهم وثنيون
وكل منهم قد نحت حشبة وجعل منها صنما يحمله دائما معه
وكلما أراد أحدهم سفرا أو لقاء عدو قبل هذا الصنم وسجد له ،
وقال ان منهم من يعبد الحيات ومنهم من يعبد السمك ومنهم
من يعبد الكراكي ، وزعم الاخيريون أنهم كانوا يحاربون قوما
من أعدائهم فهزموهم ، وصاحت الكراكي من ورائهم ، فعبدها
وقالوا هذه ربتنا ، لأنها هزمت أعدائنا

وزار أبو حامد القرطاطي الرحالة الاندلسي المشهور هذه

الانحاء فى القرن السادس الهجرى ، وتحدث عنها حديثا تغلب عليه الخرافة والاسطورة باكثر مما يفلان على حديث ابن فضلان ، وسجل ذلك فى كتابه «تحفة الاصحاب ونخبة الاعجاب» وقد نشرت قطع منه ، ووصف فيها شرقي اوربا ، ولانزال ننتقل فيها من خرافة الى خرافة ، يقول :

« ودخلت البحر الى بلاد الخزر ، فوصلت الى نهر عظيم (لعله نهر الفولجا) كانه بحر تخرج منه انهار عظيمة ، وفى هذا النهر من انواع السمك ما لم أشاهد قط فى الدنيا مثله ، السمكة الواحدة حمل رجل قوى ، بل حمل جمل قوى ! » وقد عملت الجن لسليمان فى جانب ذلك النهر ألف نهر مقدار ميل ، واخرجوا ترابه ، فصار كانه جبل بجانب ذلك النهر

وبلغار مدينة عظيمة جميعها مبنية بخشب الصنوبر وسورها من خشب البلوط ، والنهار عندهم فى الصيف عشرون ساعة .. ويوجد فى ارضهم من عظام قوم عاد ، السن الواحد ، عرضه شبران وبطوله أربعة اشبار ومن رأسه الى منكبه خمسة ابواع ، ورأسه مثل القبة العظيمة . وتوجد تحت الارض أنياب القيلة . وتحدث عن الاقاليم الممتدة شمالى بلغار الفولجا الى المحيط المتجمد الشمالى ، وهو يسميها ويسوا ويورا على الترتيب . ويقول فى «ويسوا» القنذر والقماقم والسنجاب . وما يلبث أن يسبح بعض أساطيره قائلا : «والقنذر حيوان عجيب يتخذ بيوتا فى البر الى جانب النهر ، ويجعل لنفسه عرفة عالية وعن يمينه لامراته درجة دون التي له ، وعن شماله لاولاده ، وفى أسفل ذلك البيت موضع لعبيده والبيت باب الى النهر وباب الى البر ، ويأكل نارة السمك ونارة خشب الخلنج ، ويغير بعضهم على بعض ، ويسبى بعضهم بعضا ..

ووراء ويسوا ويورا بحر الظلمات (بحر البلطيق أو المحيط
الاطلسي) وعندهم لا تغيب الشمس أربعين يوما وكذلك الليل
فى الشتاء ، وهم يدخلون فى تلك الظلمة بالمشاعل ، فيجدون
شجرة عظيمة مثل القرية . . وهم فى ارض لا يفارقها الثلج
أبدا ، ويتخذ الناس لارجلهم الواحا ينحتونها ، طول كل لوح
باع وعرضه شبر ، مقدم ذلك اللوح ومؤخره مرتفعان عن
الارض ، وفى وسط اللوح موضع يضع الماشى فيه رجله ، وفيه
ثقب قد شدوا فيه سيورا من جلود قوية يشدونها على أرجلهم ،
ويقرن الرجل بين اللوحين اللذين يكونان فى رجله بشندال
(بحبل) طويل مثل عنان الفرس ، يمسكه فى يده الشمال ،
وفى يده اليمنى عصا بطول الرجل ، وفى أسفل العصا مثل
كرة من الثياب محشوة بصوف كثير مثل رأس الانسان خفيفة .
ويعتمد على تلك العصا فوق الثلج ، ويدفع العصا خلف ظهره
كما يصنع الملاح فى السفينة ، فيذهب على ذلك الثلج بسرعة .
ولولا تلك الحيلة لم يستطع احد أن يمشى هناك البتة ، لان
الثلج على الارض مثل الرمل لا يتلبد ، واى حيوان مشى عليه
يفوص فيه ، فيموت ، الا الكلاب والحيوان الخفيف كالثعلب
والارنب ، فانها تمشى عليه بخفة وسرعة . ويحمل الى ويسوا
السيوف من بلاد الاسلام ، وهؤلاء يحملونها الى يورا . وكل
آدمى هناك يحتاج كل سنة الى سيف يلقيه فى بحر الظلمات .
واذا القوا سيوفهم فيه أخرج الله لهم منه سمكة مثل الجبل
العظيم ، تطردها سمكة أخرى أكبر منها أضغافا مضاعفة ،
تريد أكلها فتفر الصغرى من الكبرى ، فتقرب من البر وتصير
فى موضع لا يمكنها الرجوع منه الى البحر ، فتبقى هناك ،
وترجع الكبرى الى البحر . ويدخل أهل يورا الى البحر فى

السفن ويقطعون من جوانبها ، وهي لا تحس ولا تتحرك ، فيملئون بيوتهم من لحمها ، ويصعدون على ظهرها وهي كالجبل العظيم . وفي بلادهم نوع من الطير الكبير ، له مناقير طوال مقلوبة على اليمين وعلى الشمال ، الأعلى على اليمين ستة أشبار والاسفل على الشمال ستة أشبار مثل لام ألف . وإذا وقعت بيضة هذا الطير على الجمد أو على الثلج أذابته كما تذيب النار . ويركب البحر الاسود الى بلاد الصقالية ، ويقول ان فيه حيات سوداء كبيرة بعضها على بعض ! وينزل بين الصقالية ويروى عنهم بعض العجائب ، فمن ذلك انه يكثر السحر عندهم على رأس كل عشر سنوات ، وهم يعتقدون أن عجائز النساء هن اللاتى يصطنعن ويشعن ، ولذلك يأخذون كل عجوز منهن بينهم ، فيشدون يديها ورجليها ويلقون بها فى النهر عندهم ، فمن رسبت فى الماء تركوها وعلموا انها ليست بساحرة ، ومن طفت على الماء حرقوها بالنار . ويتغفل فى بلاد باشفرد ويذكر أن عندهم بقرا وحشيا مثل الفيلة ، لعله التيتل ، ويقول :

« رأيت فى تلك البلاد من قبور قوم عاد قبورا كثيرة ، وأحرقوا لى نصف أصل ثنية واحدة (الثنية الاضراس الاربع فى مقدم الفم) منهم عرضها شبر ووزنها ألف ومائتا مثقال ، وأخرجوا لى رأس رسخ (مفصل ما بين الذراع والكف) واحد منهم ، فما استطعت أن أرفعه من الارض بيد واحدة ! . . . »
ورأيت فى بلقار رجلا من نسل العاديين ، طوله أكثر من سبعة أذرع ، وكان قويا يأخذ الفرس المذبوح فيكسر عظمه ، ويقطع جلده وأعصابه فى سرعة خاطفة . وكان ملك البلغار قد اتخذ له درعا يحمل معه فى الحروب على عجلة كبيرة ، وله خوذة من حديد مثل الرجل الكبير .

وأكبر رحالة زار هذه البلاد بعد أبي حامد هو ابن بطوطة
الطنجي ، وقد عبر إليها البحر الاسود من الاناضول بعد أن
تجول في كثير من بلاده قبل أن يصبح دولة واحدة على يد
العثمانيين ، وراعه في بلدانه نظام من نظم الفتوة كانوا
يسمونه الأخية ، جمع أخى بالياء ، وهم جماعات تضم أبناء حرفة
واحدة يقدمون عليهم رئيسا ، وكلهم من الشبان الاعزاب ،
ويتخذون مقرا لجمعيتهم زاوية من الزوايا ، ويتصاؤون على
الخير واكرام الضيف ، وهو نظام يتصل بنظام الفتوة في
الاسلام ، ويقول ابن بطوطة انهم بجميع البلاد التركمانية في
كل بلد ومدينة وقرية . وما زال ينتقل بين هؤلاء الاخية
في بلاد الاناضول حتى وصل الى « صنوب » على البحر الاسود
فركب منها سفينة الى شبه جزيرة القرم ، وكانت تابعة
للسلطان محمد أوزبك حان المغول المعروفين بالقبيلة الذهبية ،
وكانوا قد دخلوا في الاسلام بعد هجراتهم المشهورة على العالم
الاسلامي في آسيا . وغادر القرم الى أزاك والماجر بالقوقاز ، حيث
زار معسكر السلطان أوزبك ، ووصفه بأنه يشبه مدينة عظيمة ،
فيها المساجد والاسواق والمطابخ ، وتوسع في الكلام وأسهب
عن مواكب السلطان ومواكب زوجاته الأربع . وتوجه الى مدينة
بلغار على الفولجا ، وكان بينها وبين معسكر السلطان عشرة أيام
وهناك فكر في اقتحام أرض ويسوا ويورا في الشمال ، ولكنه
أحجم لعظم المثونة وبعد الشقة وتمب السفر . قال نقلا عن
دخلوا فيها من التجار :

« السفر إليها لا يكون الا في عجلات صفار تجرها كلاب كبار
فان تلك الارض فيها الجليد ، فلا تثبت قدم الأدمى ولا حافر
الدابة فيها ، والكلاب لها الاظفار فتثبت أقدامها في الجليد .

وإذا كملت للمسافرين بهذا الاقليم أربعون مرحلة نزلوا عند
 الظلمة وترك كل واحد ما جاء به من المتاع هنالك ، وعادوا الى
 منزلهم المعتاد ، فإذا كان الفد عادوا لتفقد متاعهم فوجدوا من
 فراء السمور والسنباج. والقاقم ، فان أرضي صاحب المتاع
 ما وجده ازاء متاعه أخذه ، وأن لم يرضه تركه ، فيزيدونه •
 وهكذا يبيعهم وشراؤهم



في العالم العربي

أكثر الجغرافيون والرحالة وهواة العجائب من ذكر الاعاجيب والاساطير عن العالم العربي وأمه القديمة وآثاره ، وحتى صحراء جزيرة العرب أفردوا لها فصولا في القصة ، وهي فصول لا تتحدث غالبا عن عالم الانس ، وانما تتحدث عن عالم الجن فقد كانوا يزعمون أن أرض « وبار » سكنتها الجن وحمتها من كل من يريد الدخول فيها ، وزعموا أنها أخصب بلاد الله وأكثرها شجرا وأطيبها ثمرا ، فان دنا منها انسان متعبدا أو مخطئا حثوا في وجهه التراب ، فان لم يرجع خبلوه أو قتلوه . وليست أرض وبار وحدها التي تمتلئ بالجن ، فكذلك تمتلئ بها الدهناء والصمان ويبرين ، فهي مبعثرة بكل مكان ، وهي تتراعى في صور من الانس والحيوان ، ومنها جنس على صورة نصف الانسان يسمونه شقا ، وهو يتربص للمسافرين وقد يفتك بهم

وفي الشعر الجاهلي أحاديث كثيرة عن الجن والعفاريت ، استغلها مؤلفو كتب العجائب ، كما استغلوا ما جاء في القرآن الكريم عن جن سليمان الذي سخرهم الله تعالى له ، فقصوا اقاصيص كثيرة عن تزواجهم بالانس ، واختطافهم لبعض الفتيات أو بعض النساء ، وكم من شخص عشت به الجن والشياطين أو استهوته ، وكانوا يزعمون أن عين الجنان

أشد من عين الإنسان ، وأنها جميعا تتحول فى أى صورة
شامت ، الا تقول فانها تتحول فى صورة المرأة وثيابها
الا رجلها فلا بد أن تكونا رجلى حمار ، وتترأى غير الغول
فى صورة الثيران والنسور والنعام والكلاب ، وحديثهم عن
شياطين الشعراء مشهور

وإذا تركنا بلاد العرب الى اليمن والعراق والشام ومصر
والاندلس ، تلك البلاد التى تمتلئ بأطلال مدنيات قديمة
وجدناها تزخر بالعجائب ، فليس بها تمثال أو كتابات الا وهى
طلاسم وأرصاف ، اما من عمل الجان أو من عمل السحرة
من الملوك والملكات ، ونسوق بعض ما سجلوه من هذه العجائب
والفرائب الفريدة

فى اليمن

اما اليمن فعبها تمثال على هيئة فارس فى ارض كلها
ملحة ، فاذا دخلت الاشهر الحرم فاض من ذلك التمثال ماء
كثير شارب ، وظل يجرى فى الفضاء الى انقضاء الاشهر الحرم
وبها جبل الشب ، وهو جبل على رأسه ماء يجرى من كل جانب
وسرعان ما ينقصد حجرا قبل وصوله الى الارض . ومن غريب
ما قصوه عن مدينة ارم ذات العماد ، وهى إحدى المدن اليمنية
القديمة التى اندثرت ، هذه الاسطورة :

« بنى شداد بن عاد هذه المدينة بين صنعاء وحضرموت
وكان جبارا من الجبابرة ، يقال انه سمع بالجنة وما وعد
الله تعالى فيها أوليائه من قصور الذهب والفضة التى تجرى من
تحتها الانهار ، فقال : انى متخذ فى الارض مدينة على صفة
الجنة ، ووكل عنه فى القيام بذلك مائة رجل وضع تحت يد
كل منهم ألعا من الرجال والاعوان وقال لهم : « ابحثوا عن

أفضل مكان في أرض اليمن وابتوا فيه هذه المدينة ، وأمدهم بالاموال ومثل لهم كيفية بنائها ، وكتب الى عماله في سائر البلدان الخاضعة له أن يجمعوا كل ما عندهم من الذهب والفضة والجواهر النفيسة ، فجمعوا منها تلالا ، فأمر بتحويلها الى لبنات تبني بها المدينة ، كما أمر أن ترصع حيطانها بجواهر الدر والياقوت والزبرجد ، ثم أجرى اليها نهرا ساقه اليها من أربعين ميلا تحت الارض ، فظهر في المدينة ، وأجرى منه سواقي في الشوارع والسكك ، وأمر بحافتي النهر والسواقي أن تطل بالذهب الاحمر ، وان يلقي فيها بالحصى من أنواع الجواهر ، وينصب عليها أشجار من الذهب ، وان تجعل ثمارها من الجواهر والياقوت . وجعل طول المدينة اثني عشر ميلا ، وبنى فيها ثلثمائة ألف قصر ، مرصعة بواطنها وظواهرها بالحجارة الكريمة . وجعل تراب المدينة من المسك والزعفران ، وجعل خارجها مائة ألف منطرة من الذهب والفضة لجنوده . ومكث في بنائها خمسماية عام ، فبعث الله اليه هودا عليه السلام ، فتمادى في الكفر والطغيان ، ولم يجب داعي ربه ، فأنذره هود بعذاب الله ، وخوفه روال ملكه فلم يرتدع ولم ينزجر ، فأخذته صيحة من السماء فمات هو وأصحابه . وأخفى الله المدينة فلم يدخلها أحد ، الا رجلا في زمن معاوية ، يقال له ابن قلابة ، ذكر في قصة طويلة أنه خرج من صنعاء في طلب ابل له ضلت ، فافضى به السير الى مدينة هذه صفتها ، فأخذ منها شيئا من المسك والكافور وشيئا من الياقوت ، وقصد الشام ، وأخبر معاوية بالمدينة وعرض عليه ما أخذه منها من الجواهر . وارم ذات العماد حق لامرية فيه ، ذكرها القرآن الكريم ، وكذلك رسالة هود

الى عاد ، ولكن قصة المدينة وبناءها هي التي دخلتها
الاسطورة

في العراق

وفي العراق كثير من هذه المدن التي اتخذت مسرحا
للاساطير من مثل مدينة بابل ، وقد قالوا انه كان بها
سبع مدن ، وفي كل مدينة أعجوبة : أما المدينة الاولى فكان
ينزلها الملك ، وكان فيها بيت به صورة الارض بقراها
ومزارعها وأنهارها ، فمتى امتنع أهل بلدة من حمل الضرائب
والاموال اليه خرق أنهارهم في تلك الصورة ، وأغرق زروعهم ،
فيحدث ذلك بأهل البلدة حتى يؤدوا اليه ما عليهم من المال ،
فيسد أنهارهم في الصورة ، فينسد النهر في بلدهم . والمدينة
الثانية كان بها حوض عظيم ، اذا جمع الملك قومه حمل كل
واحد منهم معه شرابا يشربه عنده وصبه في ذلك الحوض فاذا
جلسوا للشرب تناول كل منهم من الحوض شرابه الذي حمله
معه من منزله . والمدينة الثالثة كان على بابها طبل معلق ،
فاذا غاب انسان من أهل بابل ، ولم يصلح أحى هو
أم ميت ، دقوا ذلك الطبل على اسمه فان كان حيا
ارتفع صوت الطبل ، وان كان ميتا لم يسمع منه صوت
البلية . والمدينة الرابعة كان فيها امرأة من حديد ، فاذا
غاب رجل عن أهله وأرادوا أن يعرفوا حاله التي هو فيها ،
أتوا تلك المرأة على اسمه ونظروا فيها فرأوه على الحالة التي
هو فيها . والمدينة الخامسة كان على بابها عمود من نحاس
وعلى رأسه اوزة من نحاس ، فاذا دخلها جاسوس صاحت
صيحة سمعها كل أهل المدينة ، فعلموا ان جاسوسا دخل
بلدهم . والمدينة السادسة كان بها قاضيان جالسان على طرف

ماء ، فاذا اختصم اليهما شخصان قرأ شيئا وأمرهما بالعبور
على الماء ، فيفوض فيه الميطل وينجو المحق . والمدينة السابعة
كانت بها شجرة كثيرة الاغصان ، ان جلس تحتها الف شخص
أظلتهم ، فان زادوا واحدا انحسر عنهم ظلها وأصبحوا جميعا
فى الشمس !

فى الشام

وفى الشام عجائب كثيرة منها مدينة بناها جن سليمان له
هى مدينة تدمر . ومنها بشر فى بعض ضياع حلب ، اذا شرب
مها من عصف الكلب المريض برى . وفى حمص صورة نصفها
الاعلى انسان والاسفل صورة عقرب ، من لدغته حية أو سام
وأخذ طينا وطبع به على تلك الصورة ، والقاء فى الماء ، ثم
شربه برى فى الحال . وفى موضع من أعمال طبرية هيكل
يخرج الماء من صدره من اثنتى عشرة عينا ، وكل عين مخصوصة
بمرض ، اذا اغتسل فيها صاحب هذا المرض عوفى باذن الله
تعالى . وبها نهر عظيم ، يجرى فيه ماء نصفه حار ونصفه
بارد ولا يمتزج أحدهما بالآخر . وبها موضع به سبع عيون
ينبع الماء منها سبع سننات متوالية ، ويجف سبعا أخرى
متوالات . وهكذا على مدى السنين والايام . وتقص كتب
العجائب كثيرا عن مدن الشام ومزاراتها ومن مات بها من
الصحابة والصالحين ، وقد أكثروا من القصص عن
أصحاب الكهف والرقيم الذين جاء ذكرهم فى القرآن الكريم
فمن قائل ان موضع الكهف والرقيم فى البلقاء ،
ومن قائل ان موضعها بالقرب من افسوس وهذا
هو الصحيح . ويقول القزوينى ان الكهف على بعد فرسخين
من المدينة ، لا تسخله الشمس ، وفيه رجال موتى لم يتغيروا

وعدددهم سبعة ، ستة منهم نيام على ظهورهم ، والسابع فى آخر
الكهف مضطجع على يمينه ، وظهره الى جدار الكهف ، وعند
أرجلهم كلب ميت .. وعلى الكهف مسجد يستجاب فيه الدعاء
يقصده الناس

فى مصر

وامتلات كتب الرحلات والجغرافيا والمجانب بالاحاديث
عن مصر وما فيها من الغرائب ، ومن أهم ما عرضت له هذه
الكتب الاهرامات وأبو الهول ، وفيهما يقول عبيد اللطيف
البندادى ، بعد أن زار مصر بين سنتي (٥٩٧ هـ و ٥٩٩ هـ) :

« من الآثار القديمة الاهرام ، وقد أكثر الناس من ذكرها
ووصفها ومساحتها ، وهى كثيرة العدد جدا وكلها ببر الحيزة
وعلى سمت مصر القديمة ، وتمتد فى نحو مسافة يومين ، وفى
بوصير منها شئ كثير وبعضها كبار وبعضها صغار .. وبعضها
مدرج وأكثرها مخروط أملس .. والاهرام المتحدث عنها
المشار اليها الموصوفة بالمعظم ثلاثة موضوعة على خط مستقيم
بالحيزة ، قبالة القسطنطينية ، وبينها مسافات يسيرة ، زواياها
متقابلة نحو المشرق ، واثنان منها عظيمان جدا وفى قدر واحد ،
وبها أولع الشعراء وشبهوها بنهدين ، قد نهذا فى صدر
الديار المصرية . وقد سلك فى بناء الاهرام طريق عجيب من
الشكل والانتقان ولذلك صبرت على ممر الزمان ، بل على ممرها
صبر الزمان ، فانك اذا تصرتها وجدت الازهان الشريفة
قد استهلكت فيها ، والعقول الصافية قد أفرغت عليها
مجهودها ، والانس النيرة قد أفاضت عليها أشرف ما عندها
لها ، والملكات الهندسية قد أخرجتها الى الفعل مثلا هو غاية
امكانها ، حتى انها تكاد تحدث عن قومها وتخبر بحالهم ،

وتنطق عن علومهم وأذهانهم • وفي أحد هذين الهرمين مدخل يلجّه الناس يقضى بهم إلى مسالك ضيقة وأسرار متنافذة ، وآبار وممالك ، وهذا المدخل ليس هو الباب المتخذ له فى أصل البناء ، وإنما هو منقوب نقبا صودف اتفاقا • وهذه الأهرام مبنية بحجارة يكون طول الحجر منها ما بين عشرة أذرع إلى عشرين ذراعا ، وسمكه ما بين ذراعين إلى ثلاث وعرضه نحو ذلك • والعجب كل العجب فى وضع الحجر على الحجر بهندام ، ليس فى الامكان أصح منه ، بحيث لا تجد بينهما مدخل ابرة ولا خلل شعرة ، وبينهما طين كأنه الورقة لا أدري ما صنّفه ولا ماهو • وعلى تلك الحجارة كتابات بالقلم القديم المجهول الذى لم أجد بديار مصر من يزعم أنه سمع بمن يعرفه • وهذه الكتابات كثيرة جدا • • وعند هذه الأهرام صورة رأس وعنق بارزة من الأرض فى غاية العظم يسميه الناس أبا الهول • وفى وجهه حمرة ودهان أحمر يلمع عليه رونق الطلاوة ، وهو حسن الصورة مقبولها ، عليه مسحة بهاء وجمال كأنه يضحك مبتسما • وسألنى بعض الفضلاء ما أعجب ما رأيت ؟ فقلت تناسب وجه أبى الهول ، فإن أعضاء وجهه كالأنف والعين والأذن متناسبة كما تصنع الطبيعة الصور متناسبة • والعجب من مصوره كيف قدر أن يحفظ نظام التناسب فى الأعضاء مع عظمها ، وأنه ليس فى أعمال الطبيعة ما يحاكيه وينقله • • وتحدث عبد اللطيف ، وكأنه عالم عصرى من علماء الآثار ، عن عين شمس وصورها وتمائيلها ومسلتيها المشهورتين ، ووصف المسلة بأنها قاعدة مربعة ، طولها عشرة أذرع فى مثلها عرضا فى نحوها سمكا ، قد وضعت على أساس ثابت فى الأرض ، ثم أقيم عليها عمود

مربع مخروط ، ينيف طوله على مائة ذراع ، يبتدىء من قاعدة
لعل قطرها خمس أذرع ، وينتهى الى نقطة ، قد البس رأسها
بقلنسوة نحاس ، الى ثلاث أذرع منها كالقمع . واطال عبد
اللطيف في وصف مدينة منف وآثرها ، وعرض لمقابر الفراعنة
التي تملأ الصعيد ذاكرًا تخريب الناس لها بحثًا عن الذهب
المدفون مع الموتى ، وانحى باللائمة على من يحاولون نقض هذه
الآثار . وتكلم عن الاسكندرية ووصف عمود السوارى بها
وصفا دقيقا

ومن أسهب في وصف هذه المجائب بمصر أبو الحسن
الهروى المتوفى بحلب سنة (٦١١ هـ) وذلك في
كتابه « الاشارات الى معرفة الزيارات » وقد قال ان المأمون
فتح الهرم الاكبر فوجدوا في داخله بثرا مربعة في تربيعها
ابواب ، يفضى كل باب منها الى بيت فيه موتى بأكفانهم .
وذكر أنهم صعدوا في الهرم ، ووجدوا في رأسه بيتا فيه
حوض من الصخر ، على مثال القبر ، وفيه صنم كالآدمى وفي
وسطه انسان عليه درع من ذهب مرصع بالجوهر وعلى صدره
سيف لا قيمة له ، وعند رأسه حجر ياقوت كالبيضة ، ضوءه
كالنار . وعرض للبرابى (المعابد) بالصعيد وغير الصعيد
وما عليها من كتابات بقلم الطير (الكتابة الهيروغليفية) وقد
استطرد يتحدث عن عجائب تدخل في باب الاسطورة أو الخرافة
فزعم أنه في شمالى المنيا بالصعيد جبل يسمى الطيلمون ،
وهو جبل الطير ، تجتمع اليه الطيور في كل سنة ، وهى
تسمى بوقير ، وترى وهى تدخل رأسها فى ثقب صغير بأعلاه ،
ولا نزال كذلك حتى يقبض ذلك الثقب على طير منها فيبقى
معلقا بمنقاره الى أن يموت . وبالصعيد جبل الساحرة ، وله

قصة طويلة ، وبه مفاتير مليئة بالموتى من الناس والطيور
والسنانير والكلاب وقد رأى بها جارية ، نزع عنها كفتها وفى
يديها ورجليها آثار خضاب بالحناء

فى الاندلس

وفى الاندلس عجائب كثيرة ، منها جبل عليه عينان ينبع
من احدهما ماء حار ومن الاخرى ماء بارد ، أما الحار فلو رميت
فيه بدجاجة انطبخت فى الحال ، وأما البارد فمثلج لا يستطيع
أحد شربه . وبها جبل الكحل ، وهو يخرج منه فى هيئة نفس
قوى ، ويظل الى نصف الشهر ، ثم ينقص ، حتى اذا كان
الشهر الثانى عاد الى قوته ، ثم يأخذ فى النقصان وهكذا
دواليك . وبقرب طليطلة حجر اذا أقاموه أمطرت السماء ، ولا
تزال تمطر الى أن يلقوه ، وكلما أرادوا المطر أقاموه ، وبها
صورة ثورين من حجر صلد ، يقال انهما طلسمان . وتكثر
الطلاس فى الاندلس مثل غيرها من البلاد . وبقرب غرناطة
عين ماء وشجرة زيتون ، يقصدهما الناس فى يوم معلوم من
السنة ، تفيض العين فيه بالماء حين تطلع الشمس ، ويظهر
على الشجرة زهر الزيتون ، وينعقد زيتونا ويكبر ويسود فى
نفس اليوم ، فيأخذون منه كفايتهم ، كما يأخذون من ماء
العين حاجتهم للتداوى . ويقادس طلسم مشهور ، عمل لدفع
المغاربة عن الاندلس ا



وللبر - كما للبحر - حكاياته وأقاصيصه ، وهى تستمد من
عالم الحقيقة حيناً ومن عالم الخيال والخرافة حيناً آخر ،
وإذا كانت جزر بحر الهند قد أمدت القصاص بمادة وفيرة فى
هذا الباب ، فإن الهند نفسها وما وراءها من الصين وإيران ،

قد امدتهم بمادة لا تقل وفرة ولا قيمة قصصية عما امدهم به
عالم البحر ، وكذلك الشأن في بقية البلدان والبقاع بآسيا
وافريقيا

وفي كتب العجائب كثير من هذه الحكايات الخيالية ، لا عن
الملوك والامم البائدة فحسب ، بل عن كل مشاهد البلدان
ومظاهر الطبيعة فيها من جبال وغيـر جبال ، ويخيل الى
الانسان انهم لم يتركوا كهفا في جبل ، ولا بئرا ولا نهرا الا
قصوا عنه غرائب القصص . ودخل هذا كله في نسيج كتب الرحلات
والجغرافيا . وسنقف اولا عند بعض حكايات عرضها الثعالبى
في كتابه غرر احبار ملوك الفرس وسيرهم ، ثم نتحول الى كتب
العجائب ، ومنها الى رحلة ابن بطوطة التى تمتلئ بالقصص
والتوارد



من كتاب غرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم :

اسفنديار يقتل تنينا

لما شارف الامير الفارسي اسفنديار المرحلة الثالثة في طريقه المخوف الى بلاد الترك تقدم الجيش واسرع بالسير حتى انتهى الى موضع تنين ، فلبس اسفنديار السلاح وامر بتحول العجلة والصندوق الى فرسين آخرين اقوى من الاولين ، وركب في الصندوق وفتح الباب الامامي وصاح بالفرسين فحريا وحرا العجلة بما عليها ، وكأتهما اتخذا الريح الارباع نعالا لهما .
وحين اقتربا من التنين سار اليهما كأنه سحب اسود فحدهما بأنفاسه ، واراد ان يتلعهما فقص (شرق) بالصندوق ونشبت النصول في حنكه ، فلم يقدر على البلع ولا على التخلص من الصندوق وفتح اسفنديار بابه المتأخر ووثب منه ، وطلق يضرب التنين بسيفه ، حتى قطعه ، غير أنه سقط صقعا من هولته ومن الرائحة المنتنة التي وجدها من جسمه . ولحق به جيشه ، ورآه القواد كاسف الوجه ، فظنوا ان التنين قد عمل عمله ، وأنه مات ، وأمر بعضهم برش الماء البارد على وجهه وصدره ، فافاق ، وقال : لاتهتموا فاني سالم ولم يمسنى سوء ، وانما ساءتني الرائحة المنتنة للتنين ، واجتمع الجيش ينظر الى هذا الثعبان المهول وهو لا يزال يتحرك ، فتعجبوا من كبر جسمه وهول منظره وكثرة دمانه ، واثنوا على اسفنديار ودعوا له

اسفنديار يقتل ساحرة

أمر اسفنديار بالرحيل بعد قتله للنين ، وحين ارتفع الحجاب عن حاجب الشمس شارف المرحلة الرابعة ، فتقدم الجيش كعادته ، وأخذ معه بعض الطعام والشراب وعودا لطيفا ، وسار مسرعا حتى انتهى الى منزل ساحرة كان سمع عنها انها تعيش فى هذا الطريق وتفتك بمن يمر فيه ، ولما انتهى الى منزلها رأى روضا وغديرا واشجارا كأن الحور اعارتها قدودها وكستها برودها ، فنزل فى ظل شجرة ملتفة الأغصان على غدير صاف ، وقيد فرسه ، وتناول بعض طعامه ، ثم أخذ العود ، فنقره واستنطق وتره ، وغنى غناء معناه : الى متى تترامى المغاور والجبال بى ، وتنبو الاوطان والاطوار عني ؟ حتى متى خوض الحروب ومعاناة الخطوب ؟ وابن السرور بوجوه الحسان ومغازلة الفزلان ؟ ان الذى انزلنى هذا المكان الذى يحكى الجنان ، قادر على ان يقر عينى بجارية وسيمة ، تسرنى بطلعتها وتؤنسنى بمساعدتها . وكل ذلك على مرأى ومسمع من الساحرة ، فقالت فى نفسها : قد وقع الاسد فى الجبالة ، وجاءتنى الغنيمة ، ولم تلبث ان برزت فى صورة جارية كانها فلقمة قمر على برج فضة ، وعليها من الحلى والحل ما يروق ويشوق . واقبلت فجلست بجواره ، فرفع يده وقال : سبحانك ما اعظم شأنك واتم سلطانيك وانعامك اذ رزقتنى فى مثل هذه البقعة مثل هذه الصورة المقصورة على الجمال والكمال ، وصب من زق خمر كان معه كاسا ، وشربه على وجهها ، وملأ الكأس فناوله اياها ، فشربته ، وأخذا يتنادمان . وكانت مع اسفنديار سلسلة لا يعمل فيها السحر ، فأخرجها فى خفية منها ، وأعدها ، حتى اذا عطست الساحرة

القها في عنقها ، واوثقها بها ، فتحولت في صورة أسد ،
تخرج النار من فمه ، وجعلت تجذب نفسها من يده ، فقال لها
انى انا اسفنديار ، وهذه سلسلة لا يعمل فيها السحر ، ولن
تفلى من يدي ، فأظهرى نفسك كما أنت لى . فظهرت عجوزا
شوها اقبح من زوال النعمة ، وأوحش من موت الفجأة ،
وقالت له : يا اسفنديار لا تكن ضيف سوء ، ولا تنس حرمة
المنادمة ، وأطلقنى أنفك ، فضربها بسيفه ضربة فرقت بين
رأسها وجسدها ، فثارت غبرة شديدة وانتشرت ظلمة أعادت
النهار ليلا ، وتجلت عما قليل . ونصب رأس الساحرة على
خشبة وركزها في تل حتى أقبل العسكر فنظروا الى رأس
كهول طلوع الروح ، ووجه كقضاء السوء ، وشكروا الله على
جميل صنعه

اسفنديار يصيد العنقاء

ورحل اسفنديار بجيشه حتى قارب منزل العنقاء (أنثى الرخ) في
المرحلة الخامسة من طريقه ، فأمر بأعداد العجلة التي يركبها وتركيب
السيوف الحداد والاسنة الشداد في الصندوق الذى عليها
واحكامها من خارج ، ثم حملها على فرسين مستوفيين شرائط
العتق وجودة الجرى ، وقعد في الصندوق وصاح بهما ، فجريا
كالهواء العاصف ، وانتهيا الى شجرة باسقة ، فوقفهما في ظلها ،
وأقبلت العنقاء من الهواء كالسحابة المرعدة لعظم
جسمها وحفيف اجنحتها . وانقضت على العجلة تريد ان
تخطفها هي والفرسين ، فلما هوت اليها وضربت نفسها بها
نفذت فيها السيوف والاسنة المركبة في الصندوق ، وكلما
زادت ضربا بأجنتحتها ازدادت التصول نشوبا في جسمها
وأجزائه . ووثب اسفنديار من تلك العجلة ، فرشقها بالسهم

المسومة حتى ضعفت ، ثم واصل ضربها بسيفه حتى سقطت
وخمدت . ووصل الجيش ، فرآها العسكر ماقطة كالطود
العظيم ، ومنقارها كأعظم ما يكون من الماويل ، ومخالبها كاطول
ما يكون من الحراب ، فتمجبوا من أمرها واثنوا على اسفنديار
ثناء كثيرا



العنقاء تشفى رستم من جروحه

لما ملك منوجهر ، كان عمدة أمره وعمدة ملكه ووجه قواده
سام يل ، وكان سام يتمنى على الله أن يرزقه ابناً ، فلما طعن
في السن ، ولد له مولود أبيض شعر الرأس والحاجب ، فأنكره
وأنف منه ، وأمر بنبذه وطرحه في بعض الجبال الشاهقة
الشاسعة ، ليقضى الله فيه ما هو قاض ، فامتثل بعض أصحابه
أمره ، وراى العنقاء (أنثى الرخ) هذا المولود ، فحملته ونقلته الى
وكرها وربته مع فراخها الى أن بلغ سبع سنين ، فرأى سام يل في
منامه من أخبره بحياة ابنه ، ودله على مكانه ، فتوجه في طلبه ،
حتى وصل اليه ، وعرفت العنقاء انه أبوه ، فردته عليه وزودته
من ريشها ما يحرقه اذا نابتة نائبة ، فانها حينئذ تأتى لتغيثه
ومرت الايام وشب « زال » وخدم منوجهر مع أبيه ،
وأصبح له أمر سجستان . وفي يوم سار متصيدا يقطع الاصقاع
والبقاع حتى وصل الى غزنة فاخترقها الى كابل ، وحين شارفها
استقبله سلطانها مهرب ، وسمع بابنته وجمالها وسمعت به
ويشجاعته ، فعشق كل منهما صاحبه قبل رؤيته ، وتزوجا
وولدا رستم طفلاً جميلاً قوياً كأنه الأسد ، وجمال يزداد
جمالاً مع بسطة في العقل والجسم ، فقد كان يجمع ضخامة
الفيل الى قوة الليث ، وتادب بأداب الفرسان ، وبز الابتال
والشجمان ، حتى أصبح جيشاً في فرد ، لا يغلب ولا يقهر
وكان رستم من ضخامة الجسم وامتداد القامة واشتداد

القوة بحيث لا يستطيع فرس أن يحمله ، حتى يقال انه عرض عليه خمسون ألف فرس ، فلم يوجد بينها ما يستطيع حمل ركابه ، واتفق يوما انه رأى خيلا مجلوبة من قشعر في الهند ، فوقع بصره على مهر اصيل ، فأمر برده عليه ، فقال جالبه : انه لامطعم فيه ، فقال : ولم ؟ قال : انه لرستم قال : وما يدريك ؟ قال : انه منذ وضعته امه يسمى رخش رستم ويدعى به ، وقد اركب منذ سنتين فلم يمكن احدا من ركوبه ، فوضع رستم يده على ظهر المهر ، فلم يضطرب ، فقال : هذا هو فرسى الذى يحملنى ، فقال له جالبه : ان كنت رستم فهو حقك وقد قادته السمود اليك ، فضحك وأمر له بصلة كبيرة . وأحسن تعهد فرسه وتفقدته ، وكان اذا ركبته حكى الطود الموثق وتحته السيل المتدفق

وكان أول انتصارات رستم التى شاع بها اسمه واشتهر ، ظفروه « بأفراسياب » ملك الترك بعد ان دوح الفرس حتى اصبح الشجعان يرهبون اسمه ، وانقاد له الحكام والامراء فى شرقى ايران الى الهند والى بلاد الترك . وحدث ان دب الحلاف بين رستم وملك الفرس بشتاسف ، فأرسل اليه ابنه اسفنديار وكان هو الآخر بطلا مغوارا ، فجمع لرستم الجيوش ، وذهب اليه يطلب منه تسليم نفسه أو الحرب ، فأبى رستم ان يعطى عن يد صاعرا . وبارزه اسفنديار وحمى الوطيس بين الجيشين وتداولوا الابطال ، وجرت الدماء ، وقتل ابنا اسفنديار ، فاجتمع عليه الحزن والغليظ ، وأخذ يرمى رستم بسهام نافذة ، ورمى فرسه رخشا بسهم خاط فخذيه ، فاقطع لجامه وانقد حرامه ، وسقط رستم عن ظهره ، ونفر الفرس راجعا الى منزله والدم يسيل من جراحه ، وانحاز رستم الى تل وهو

يجر قلعه ويقاسى من آلام جروحه ، وانسحب موليا الى
عسكره ، فحملوه على عجلة الى داره ، وارتفعت منها الاصوات
بالبكاء والويل من اجله

وجزع أبوه «زال» حين رآه ودمعت عيناه ، ولم يلبث ان تذكر
ريشة العنقاء التى كانت اعطتها اياه فى صباه ، وأمرته باحراقها
والتدخين بها اذا نابتة نائبة ونزلت به نازلة ، فأمر بذبح
الاغنام والخرفان لاستقبالها ، ولم تلبث ان اقبلت كأنها سحابة
مرعدة ، وهبطت على تل عظيم فى بستان زال ، فتقدم اليها
وسجد لها ، وقدم لها ذبائح الاغنام والخرفان فنالت منها ،
ثم بكى بين يديها ، وقص قصته عليها ، وقدم رستم اليها ،
فتأملت جراحاته ، ثم أهوت عليه بمنقارها ومخالبها فنزعت عن
أعضائه أكثر من عشرين نصلا ، يقال انها كانت قرابة حمل
بعر من الحديد ، ثم مسحت مواضعها بجناحها ، فالتجمت فى
الوقت والساعة ، ثم لحستها بلسانها ، فأبل رستم ، وعاد
اصح مما كان ، ولبس اثواب العافية باذن الله ومشيئته .
وفعلت العنقاء بفرسه «رخش» فعلها به ، فنزعت منه نصولا
كثيرة ، ثم مسحته بجناحها ولحسته بلسانها ، فصح وصلاح ،
وانتفض ووصل ، ونشط وانبسط . وكان زال يعرف منطق
العنقاء اذ كانت مرضعته ومربيته سبع سنين فقالت له :
ينبى الان ان يركب رستم ظهري لاطير به الى جزيرة تشتمل
على شجرة الطرفاء ، وأدله على غصن منها يقطعه ويتخذ منه
سهما ، حتى اذا بارز اسفنديار ، رماه به فى عينه ، فيكفى
أمره ، لان دروعه لا تدخل فيها السهام ، وليس فيه حيلة
سوى هذه . فترجم زال لرستم قولها ، فسر بذلك واستعد ،
واستصحب سكيئا أقطع من الفراق ، وانفذ من القضاء ،

وركب ظهر العنقاء ، فطارت به الى الجزيرة في سرعة البرق ، ودلته على الفصن الذى وصفته ، فقطعه ، واحتفظ به محتاطا عليه ، وكرت به راجعة الى منزل ابيه وقد اعد لها ذبائح الاغنام والخرقان المشوية . فلما هبطت ووضعت رستم على الارض سجد لها زال وقدم اليها الذبائح ، فنالت منها ، واوصت بالتلطف مع اسفنديار ومصالحته وول سخيته ، فانه اوحده عصره في الشرف والشهامة ، ثم قالت : وان ابى الا الحرب فهلاكه في هذا السم وودعت زال وطارت

فاتخذ رستم من ذلك الفصن سهما وركب فيه نصلا ، ولما اصبح من غد لبس السلاح وركب رخشا بنشاط واغتباط ، واقبل الى سرادق اسفنديار فناداه ، وقال له : قد عاودك القرن فابرز اليه ، فتعجب اسفنديار من بكوره وقوة كلامه ، وكان يعتقد انه نكا فيه نكاية اليمية ، اما ان يموت بها او يستأسر معها ، ثم تذكر ما سمعه من سحر زال ومهارته في السحر ، فصيح عنده ما سمعه ، فقد ابرا رستم بهذه السرعة بعد ان فارقه بالامس جريحا هضيبا ، وهاهو ذا يعود صحيحا نشيطا يجر ذيل خيلائه ، ثم قال فى نفسه : سأصنع به اليوم ما لا يقدر زال معه على مداواته . ودعا اسفنديار بسلاحه فلبسه وبفرسه فركبه ، واقبل الى رستم ، فتلطف له ونصحه الا يؤثر الشقاء على السعادة ، ولكن اسفنديار لم يستمع اليه ، وطلب منه احدى اثنتين : اما ان يستأسر واما ان ينزله ، فتضرع اليه رستم ، ولم يدخر وسما فى استكفاف غائلته واستمالته ، غير ان اسفنديار اصر على غلوائه ، ولم يزد الا جدا فى مقارعته ، وحمل عليه برمحه ، فاحتال رستم لدفعه عن نفسه ، ثم صوب اليه سهم الطرفاء من وتر قوسه ومد فيه

بقوته ورماه به رمية نفذت في عينه الى قفاه ، فانكا اسفنديار
على سرجه ونزع السهم من عينه ، واخذه بيده ، وسال من
دمه ما اضعفه واسقط قوته ، ولم يتماسك معه ، فترجل عن
فرسه وتوسد ذواعه ، وترجل رستم وبكى بأعلى صوته ،
ومزق ثيابه ودرعه على نفسه . وجاء زال وقواده والایرانية ،
يسيلون العبرات ، ويطلقون الزفرات ويملنون الصياح
ويزقون الثياب ، واحلق الجميع به وفرشوا له واضجعوه .
فدعا بماء فشربه ، وقال : على برستم ، فتقدم اليه وقعد
عند رأسه ، وقال : يا رستم اعلم أن أبى بشتاسف هو الذى
قتلنى لا أنت ، وقد اهلكنى على يدك ، واذا عمل القدر عمله
فانى استودعك ابنى بهمن واسلمه اليك لتؤدبه بأادابك ، فقال
رستم : سمعا وطاعة لك وقد تسلمته منك ، وسابدل جهدى
في اكرامه وتهذيبه وصيانتة ، ولم يلبث أن فاضت نفسه



الاسكندر المقدوني في الهند

لما فرغ الاسكندر من حرب دارا ملك الفرس ، وفور ملك الهند الكبير ، هاجته الملوك فاذعنوا له وتلقوه بالسمع والطاعة ، واقتدى بهم « كيد » أحد ملوك الهند الاباعد ، وحين كاتبه الاسكندر في الزامه الضريبة ، اجابه باظهار الخضوع والاذعان لسلطانه ، وقال : ان عندي اربعة اشياء من عجائب الدنيا وغرائبها ليست لاحد من الملوك ، وانا متقرب اليك باهدائها واشارك بها ، فانها لا تصلح الا لك ، ولا تحسن الا لديك ، فمنها ابنة لى لم تطلع الشمس على مثلها جمالا وكمالا ، فهي قيد الابصار ونهاية الابداع ، ومنها طبيب لى كانما اوحى اليه في الطب ومعرفة الادواء (الامراض) والادوية ومعالجة العلل المزمنة ، ومادام عندك فشق بحفظ صحتك ، ومنها نديم لى فيلسوف اوتى جوامع الحكمة ، فهو ينظر الى الفيب من وراء ستر رقيق ، ومنها قدح من خشب الحنة ، اذا ملئ مرة ماء اروي المساكين من غير أن ينقد ماؤه

فلما ورد كتابه على الاسكندر بذلك سر به وكتب اليه في انفاذ الاربعة ولو على اجنحة الطير واعناق الرياح ، فامتنل امره ووصلت الجارية واسمها كتكة ، فلما رآها الاسكندر ملأت عينه وقلبه ، وملكت نفسه ولبه ، فلم يقدر على صرف لبطه عنها ، واقتتن بمحاسنها وامر باكرام مشواها ، واتخذها نزهة لعينه ومتعة لنفسه . ثم دعا بالطبيب واسمه منك ،

فلم يسأله عن شيء من أصول الطب وفروعه إلا أجاب بالصواب
وشفى وكفى ووفى وأوفى ، ثم سأله عن أصل الأدوية فقال :
التخمة قال الاسكندر له : وما حقيقة معناها ؟ قال : الزيادة
في الأكل والشرب على ما تحتمله الطبيعة ، ، وتقوى عليه القوة
الهاضمة ، ثم سأله عن أعون الأشياء على حفظ الصحة ، فقال :
الافلال من الأكل والشرب والتمتع ، ثم سأله عن شرب الدواء
فقال : مثله للجسم كالصابون للثوب ينقيه ولكن يبلبه ، ثم
قال له : أوصنى بأوجز ما يحضرك من الكلام في حفظ الصحة ،
فقال : اجتنب ثلاثا وعليك بأربع ولا حاجة بك الى الطبيب ،
اجتنب القبار والنتن والدخان ، وعليك بخبز الحنطة (القمح)
ولحم الخرفان وحلواء السكر وشراب العنب مع الاقتصاد
في الوجبة . فاعجب الاسكندر بقوله واستخلصه لنفسه وأمر
بإجزال رزقه

وأمر الاسكندر باكرام الفيلسوف واحسان تعهده ، وكان
اسمه شنكة ، ثم بعث اليه باناء ملئ سمنا ، فأخذه الفيلسوف
بيده ونظر فيه وتأمله باتقاد بصيرته ثم غرز فيه الف أبرة
ورده الى الاسكندر ، فأمر بأن تداب الأبر ويتخذ منها كرة
سوداء ، وردها الى الفيلسوف ، فاتخذ منها مرآة مصقولة
وردها اليه ، فأمر الاسكندر بالقائها في الماء حتى صدمت وردها
الى شنكة ، فجلأها وصقلها وردها الى الاسكندر ، فتمعجب
من فطنته واحاطته بفكرته . ثم استدعاه واستدناه ، وسأله ،
فقال : حدثنى بما كان بينى وبينك من الرسائل : ما الذى
أردت بالانفاذ الاناء المملوء بالسمن اليك قال الفيلسوف : أردت
أن تقول : ان قلبى مملوء من العقل والحكمة فلا مدخل فيه
لشيء منهما ، قال الاسكندر : صدقت ، فما أردت أنت بالابر

التي غرستها في السمن ، قال : أردت أن أقول : أن عندي من دقائق الحكمة الحسنة ما يتفضل إلى قلبك وإن كان مملوءاً من الحكمة قال : أصبت ، فما أردت باتخاذها كرة سوداء ؟ قال : أردت أن تقول أن قلبي قد قسا وغلظ من كثرة الدماء التي أرفقتها ، قال الاسكندر : أحسنت ، فما الذي أردت أنت باتخاذك منها مرآة ؟ قال : أردت أن أقول : أني أستطيع أن أتوصل إلى تغيير قلبك وإصلاحه ومداواته بدوائه ، قال الاسكندر : أجدت فما الذي أردت بردها إليك صدئة ؟ قال : أردت أن تقول : أن قلبي الفاسد لا تصلحه مواضعك ، قال الاسكندر : ما أردت سوى ذلك ، فما الذي أردت أنت بردها مجلوة ؟ قال : أردت أن أقول : أن كان قلبك قد صدىء فاني أصقله وأزيل عنه ما تفشاه بلطائف كلامي وبدائع الفاظي ، فقال الاسكندر : ما أعجب شأنك ولا خربت أرض أخرجت مثلك ، ثم خيره بين المقام معه والرجوع إلى وطنه ، فاختار الرجوع ، فأمر له بصلة ، وسرحه إلى بلده

ثم لما كان من الغد وفرغ الاسكندر من الأكل مع ندمائه دعا بالقدرح وأمر بأن يملأ ماء ، فشرب منه حتى ارتوى ولم ينقص الماء ، وأمر بإدارته على جلسائه ، فشربوا منه كلهم والماء بحاله ، فتعجب من تلك الخاصية ، وقال : قد قضى « كيد » ما عليه ، وقد بقي أن تقضى ما علينا له ، فأمر بمكاتبتة في الشناء عليه ، وأقراره على عمله ، وإنفاذ الهدايا إليه . ثم بدا له في أمر كنكة ، وقال : هي فتنة عظيمة وعقيلة عجيبة ، تشغلني عما أنا بصدد من فتح الدنيا ، وقهر الملوك ، وتدبير الممالك ، وقبيح بمن غلب الرجال أن تغلبه النساء ، وليس الرأي إلا ردها إلى والدها ، فأمر بتجهيزها وتسريحها إلى أبيها

الندم على الزمرد الغائق

ثم ان الاسكندر اخذ في التغريب برا وبحرا ، لما كان في نفسه من دخول الظلمات ، وتطلب ماء الحياة من عين الخلد ، واستمر طول طريقه على عادته في قهر الملوك والجبابرة ، حتى بلغ مغرب الشمس فوجدها كما قال الله عز ذكره تغرب في عين حمئة ، فنظر اليها كيف تغرب في منازلها ، ثم دخل الظلمات مما يلي القطب الشمالي في اربعمائة من اصحابه ، وصاروا فيها ثمانية عشر يوما على ارض من الحجارة لا يدرون ماهي ، فقال لهم الاسكندر : خذوا منها ، واعلموا ان من اخذ منها ندم ومن تركها ندم ، فاخذ منها بعض القوم ووضعوها في مخالي دوابهم ، ولم يأخذ منها اكثرهم . ولم يظفر الاسكندر بما اراد من عين الخلد ، ويقال ان الخضر عليه السلام عثر عليها ، وشرب منها ، ولم يخبر احدا بمكانها لما كان في سابق قضاء الله تعالى من امتداد المدة في حياته الى يوم الوقت المعلوم . ولما خرجوا من الظلمات الى نور الشمس تأملوا الحجارة المأخوذة ، فاذا هي زمرد كلها ، فندم من اخذ على ترك الاستكثار منها ، وندم من لم يأخذ على عدم اخذه . يقال ان الذي في ايدي الناس الى الان هو من الزمرد الغائق ن هذه الارض البعيدة ، ويقال ان جبل المقطم بمصر معدن زمرد دون غيره من جبال الدنيا

بهرام جور

اشتهر بهرام جور ، وهو احد الاكاسرة ، ببراعته ومهارته في صيد الطباء ، ويقال انه قسم ايامه بين اللهو والطرب والصيد واللعب ، فأراد ان يجمع يوما بين لذات الصيد والشراب والسماع الى الفناء ، فامتطى فرسا كريما ، واخرج

معه جاريته آزاد الصناجة ومعها صنجها ، واستصحب زقا
 من الحمر وكاسا من الذهب ، وسار الى الصيد ، فجعل يصيد
 ويشرب ويسمع الى ضرب جاريته وغنائها . وعن له سرب
 من الطباء ، فقال لازاد : ايها تريد ان اصيده لك ؟ فقالت :
 انما اريد ان تصير (تجعل) ذكرا منها كالانثى وانثى منها
 كالذكر ، فتحير بهرام ، وقال في نفسه : ان لم استطع قيل انه
 منى جارية ولم يف بأمنيتهما ، والتفت اليها قائلا : لشد
 ما اقترحت ، ورمى ظبيا بسهم له نصل على صورة الهلال ،
 فاستأصل به قرنيه ، حتى صار كالانثى التى لاقرن لها من غير
 ان يمس رأسه الم ، ثم رمى ظبية في رأسها بنشابتين نشبتا
 فيه قائمتين كالقرنين حتى أشبهت ذكرا من الطباء ، فقالت
 آزاد : أحسنت وبقي ان تجمع بين اذن تلك الظبية ورجلها ،
 فغضب بهرام من اشتطاطها ورمى رأس الظبية ببندقية ، فحين
 حكته برجلها أرسل في التو سهما الصق اذنها برجلها وخاطها
 بها . ولما فرغ من هذه الرمية العجيبة ، والفلة البديعة ،
 رمى بالجارية الى الارض وأوطأها فرسه وشمها وقال لها :
 انك اردت ان تفضحينى بهذا الاشتطاط في الاقتراح ، فاندقت
 ولم تصلح ، ويقال انها ماتت من تلك السقطة والوطأة الشديدة

الشطرنج والورد

كان الملوك في الزمن القديم يتراسلون ويتهادون ، ويسال بعضهم بعضا عن المشكلات والقرائب ، فلما دان ملوك الاقاليم لكسرى انوشروان ، وانفذوا اليه الهدايا ، انفذ اليه ملك الهند هدايا كثيرة نفيسة وفيها الشطرنج ورقعتها ، وسأله عن سرها ليرى هل يفطن اليها . ولما عرضت على انوشروان علم انه لا يستطيع معرفة كتبها سوى وزيره بزرجمهر الذي اشتهر بالدكاء والحكمة ، فبعث في طلبه وعرضها عليه ، فتأملها وادق النظر فيها حتى فطن لسرها ، وعرف حقيقتها في مجراها ومبناها ، فقال : هذه انما وضعت للحرب وجعل الاكبر منها الملك ، والذي يليه الوزير ، والقطع الكبار القواد والبياذق الرجالة أو العسكر ، وحركاتها مصاولة القتال

فتعجب رسول ملك الهند من قفنته ، ولم يلبث بزرجمهر ان عارضه بوضع الترد (الطاولة) ، وانفذه الى ملك الهند ، فلم يفطن هو ولا حكامؤه له ، وكتب الى كسرى انوشروان يسأله ان يامر بزرجمهر بتنبئيه عليه ، فصدع بامره بزرجمهر ، وقال ان خطوطه الاثنى عشر على عدد الشهور ويروج الفلك وقطعها السود والبيض هي الليالي والايام والمكعبان (قطعنا الزهر) حظوظ الناس وجدودهم . ولما ابلغ ملك الهند ذلك استحسن الترد وزاد في مواصلة الهدايا لملك الفرس

وفي بعض الكتب ان اخوين من ابناء ملوك الهند تنازعا الملك

بعد أبيهما ، فتجارباً ، وهلك أحدهما في حومة الحرب ، فجزعت عليه والدته جزعاً شديداً ، وأرادت أن تحرق نفسها ، فمنعت من ذلك . وما زالت تبكى وتلوم ابنتها الباقى على اتلافه أخاه ، فأراد أن يدل أمه على براءة ساحته وأنه لم يقصد قتله ، وإنما أتت عليه طبيعة المعركة ، إذ لابد أن يقتل أحدهما . فأمر الحكماء بوضع ما يصور الحرب والمعركة والمكافحة بين الجيشين ، وهلاك أحد الملكين أو الأمرين المتعاركين ، فوضعوا الشطرنج وصوروا هيئة الحال في المبارزة والمصاولة والمغالبة ، وكيفية الأمر في موت الشاه (الملك) ، ولعبوا بين يديها ، حتى أحاطت بصورة المعركة وعرفت الكيفية في تلف ابنها ، فعذرت ابنها الباقى ، واتخذت من لعبة الشطرنج بعض السلوان لما نزل بها



عقاقير تحيى الموتى

كان لكسرى انوشروان مائة وعشرون طبيباً بين رومى وهندى وفارسى ، وكان برزويه من امهر اطباء الفرس وأكثرهم دراسة للكتب ، فوجد في بعضها ان ببلاد الهند جبلاً ، فيها من غرائب العقاقير ما يحيى الموتى . فمازال ذلك يدور برأسه ، ويسمو بهمة الى تطلبه وتحصيله ، حتى اخبر انوشروان بما في نفسه ، واستأذنه للنهوض والسعى في الظفر ببقيته ، فأذن له واعانه على سفره ، وزوده بكتاب الى ملك الهند حتى يهتم بامره ، ويعمل على انجاح مطلبه

ولما دخل برزويه الهند واصل كتاب انوشروان الى ملكها اكرمه وحكمه في مناه ، وانهضه لوجهته في طلب العقاقير من مظانها ، فمازال يجد ويبحث ويتعب ويدأب في محاولة اجتنائها والتقاطها وتاليفها وتركيبها ، حتى كان مثله بعد حين من الدهر كما تقول عامة بغداد : مازلنا في لاشيء حتى فرغنا . واستشعر الكتابة والانخزال لما فاتته من مراده وما ضاع من ايامه ، وتصور الخجل من انوشروان اذا عاد مخففا اليه ، فسأل من اطب الاطباء واحكم الحكماء بأرض الهند ، فدل على شيخ على السن ، فاتاه ، وقص عليه قصته ، وذكر له ماقرأه في بعض الكتب من حديث جبال الهند واشتمالها من العقاقير على ما يحيى الموتى ، فقال له : « يا برزويه حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء ، أما علمت ان ذلك رمز للقضاء ، والمراد بالجبال العلماء

وبالعقائير كلامهم الشافي الكافي وبالوتى الجبال ، يعنون ان العلماء يؤدبون الجبال بحكمهم ، فكانهم يحيون الوتى . وهذه الحكم موجودة فى كتاب معنون باسم كليله ودمنة ، لا يوجد الا فى خزانة الملك ، فسرى عن برزويه وسر بما سمع

ورغب برزويه الى الملك فى اعارته هذا الكتاب ، وتقليد الملك انو شروان بذلك منة مشكورة ، فقال له الملك : سأمـر باعارته لك ايجابا لصاحبك ، ورعاية لحقك ، على شريطة ان تقراء بين يدي ولا تتخذ منه نسخة لنفسك ، فاجابه برزويه بالسمع والطاعة ، وجعل يحضر فى كل يوم مجلسه ، ويدعو بالكتاب فينظر فيه ، ويتحفظ معانيه ، ويقيدها بالكتابة اذا رجع الى منزله ، حتى اتمى على جميعه . واستاذن الملك للعودة الى صاحبه ، فاذن له واهدى اليه وخلع عليه . وحين وصل الى انو شروان اخبره بقصته وبشره بحصول الكتاب لديه ، ثم عرضه عليه ، فاعجب به واجزل صلته ، وأمر بزرجمهر بنقله الى اللغة الفارسية ، فتلطف برزويه وتضرع الى الملك فى الاذن ، بافتتاح الباب الاول منه باسمه وذكره ، فاجابه اليه . ولم يزل الكتاب مخزونا عند ملوك الفرس حتى نقله ابن المقفع الى العربية

صندوق السر الفاعض

لا نكتب كسرى انو شروان بزرجمهر أمره بأن يختار لسكناء موضعا لا يبغي عنه حولا فى الصيف والشتاء ، ولطعامه شيئا واحدا لا يستبدل به ولللباسه ثوبا لا يتعداه الى غيره ، فاختر السرب (البيت الذاهب تحت وجه الارض) لكونه فى الصيف باردا وفى الشتاء حارا ، واختار اللبن لانه طعام وشراب ، وهو غذاء الصغير والكبير ، واختار القرو ، ليلبسه فى الشتاء حتى اذا دخل

الصيف قلبه . فطالت أيامه في المحنة حتى كف بصره ، وانفق ان اتفد قيصر الى انوشروان صندوقا صغيرا مقلدا مختوما ، وساله ان يحاول معرفة مافيه قبل فتحه ، فسأل انوشروان من بيباه من العقلاء عن ذلك ، فتسأوت اقدامهم في القصور عن الاجابة والاصابة . وعلم انوشروان ان ليس له الا بزرجمهر على عماء ، فامر باطلاقه وادخاله الحمام والباسه ماكان يلبسه من ثياب الوزراء وادخاله . قامتثل امره ، واوصل بزرجمهر الى مجلسه ، فقربه ، واعتذر اليه ، واخبره بحال الصندوق ، وساله عما فيه ، فاستمعه ليلة . ثم ركب من الغد وقدم امامه رجلين وامرهما ان يخبراها بأول من يستقبله ، فاستقبلته امرأة فقال لها : أبكر انت أم ثيب ؟ فقالت : بكر ، فانطلق فاستقبلته ثانية فقال لها : أليم (لزوج لها) أم ذات بعل (زوج) فقالت : بل ذات بعل ، فقال لك ولد ؟ قالت : لا ، وانطلق فاستقبلته ثالثة ، فسألها عن حالها ، فقالت ذات ولد . وانطلق بزرجمهر حتى دخل على انوشروان ، وساله الامر باحضار الرسول والصندوق المختوم فأحضرا ، فقال بزرجمهر : أن في الصندوق ثلاث درر احداها غير مثقوبة والثانية منصفة ، والثالثة مثقوبة ، ففتح عنها ، فكانت كما وصف . وتعجب انوشروان من فطنته وندم على نكته ، وعاد الى قديم صلته والرفق به

صقرو وعصفور

يحكى ان خسرو بن فيروز ، أحد ملوك الفرس ، جلس يوم مهرجان للهدايا ، فجاءه منها طبق ذهب مغطى بمنديل حرير ، أرسله اليه موبدان (من كهنة المجوس) فامر بسكشفه واذا في الطبق فحمتان محترقتان ، فتمعجب

من سخف الهدية مع شرف ظرفها (وعائها) ، ثم قال ما أراها
 الا مشتملة على حكمة فعل بالموبدان ، فلم يلبث ان قدم ،
 وسأله خسرو عن الفحمتين ، فقال : اعلم ايها الملك اني اجتزت
 بروضة عالية الاشجار ، قد اشتعلت فيها النار ، ورايت
 صقرا يتعقب مصفورا ، فهرب منه المصفور ، واقتحم النار
 من خوفه ، وتبعه الصقر حتى دخل في النار على اثره حرصنا
 على صيده ، فاحترقا معا ، وسقطا فحمتين ، فأخذتهما معتبرا
 بهما ، وقلت في نفسي : لا ينبغي للانسان ان يستشعر خشوف
 عدوه كل الاستشعار ، حتى يقدم من شدة الخوف على الاستجارة
 بما يهلكه كالصقور الذي أحرق نفسه لغرط خوفه . ولا ينبغي
 للانسان ايضا ان يحرص جدا على متاع الدنيا ، حتى يمشي
 بقدمه على دمه في التوصل اليه ، كالصقر الذي جنى على نفسه
 بشدة حرصه ، فقال خسرو : ما أوعظ هديتك وما أحسن
 موقعها ، وما اهديت الى اليوم مثلها ، وبالفخ اكرامه والاحسان اليه



من كتاب عجائب الهند

فيلة تخدم اصحابها

في الهند فيلة تتصرف في حوائج اصحابها ، فتري صاحب الفيل يدفع اليه الوعاء الذي يشتري فيه ما يريد ، وفيه الودع ، وهو نقد القوم ، وانموذج (مثال) الحاجة المطلوبة كائنا ماكانت ، فيكون معه الانموذج والنقد ، ويمضي الى البقال ، فاذا رآه نزل من جميع شغلته مهما كان على راسه ممن يشتري منه كائنا من كان ، واخذ الوعاء منه ، فعد الودع الذي فيه ، ونظر ما يريد بانموذج وعائه ، ودفع اليه أجود ما عنده من ذلك النوع بأرخص سعر . ويستزيده ، فيزيده . وربما عد البائع الودع فخلط فيه ، فيشوشه الفيل بخرطومه ، فيعد البقال مرة ثانية . ويمضي الفيل بما اشتراه ، فربما استقله صاحبه فيضربه ، فيعود الى البقال ، فيشوش متاعه ، ويخلط بعضه ببعض ، فاما ان يزيده او يرد عليه الودع . والفيل الذي هذا صورته يكتس ويرش ويدق الارز بمدقة ، يأخذها بخرطومه ، فيدق ، ورجل يجمع عليه الارز حتى يطحنه . ويستقى الماء ، وذلك انه يأخذ الوعاء الذي يستقى فيه الماء ، وفي الوعاء جبل مشدود يدخل خرطومه فيه ويحمله . ويقضى جميع الحوائج ، ويركبه صاحبه في حوائجه البعيدة . ويركبه الصبي ويمضي عليه الى المزارع ، فيقطع الحشيش وورق الشجر بخرطومه ، ويدفعه

الى الصبى ، فيجعله فى وعاء معه ، ويحمله ، فيكون ذلك طعامه . واذا كان الفيل على هذه الصفة بلغ مالا عظيما ، قيل عشرة آلاف درهم

صناعة الورود والرياحين بالصين

قال كاوان : ادخلنى باغ بور (ابن ماء السماء) ملك الصين الى بستان بخانفو (كانتون) مقدار عشرين جريا (مزرعة) فيه نرجس ومنتور وشقائق وورد وسائر الانوار (الازهار) فعجبت من اجتماع ازهار الصيف والشتاء فى وقت واحد فى بستان واحد ، فقال لى : كيف ترى ؟ فقلت : مارايت حسنة الا وهذا احسن منها ، ولا طرفة الا وهذا اطرف منها . فقال لى : جميع ما ترى من الاشجار والازهار مصنوع من الحرير . فتفقدته بعد ان قال لى هذا ، فوجدت الورق والازهار من الحرير الصينى ، قد عمل وضفر وحبك ونسج وسوى على هذه الصورة . ومن رآه لم يشك فى انه شجر وزهر حقيقى ، لا يفادر شيئا من الواقع

اسلام ملك من ملوك الهند

كتب مهروك بن رائق ، احد ملوك الهند ، وملكه بين قشمر الاعلى والاسفل ، الى صاحب مدينة المنصورة (فى الهند) سنة مائتين وسبعين ، يساله ان يفسر له شريعة الاسلام بالهندية ، فاحضر صاحب المنصورة رجلا عربيا حاد القريحة حسن النعم شاعرا ، كان قد اقام ببلاد الهند وعرف لغاتهم على اختلافها ، فمرفه ماساله مهروك ، فكتب قصيدة يمدحه بها ويعرفه ما يسال عنه ، فلما قرئت عليه استحسنتها وكتب الى حاكم المنصورة يساله حمل صاحب القصيدة اليه ، فارسله له ، فاقام عنده ثلاث سنين . ثم رجع فساله حاكم المنصورة

عن امر هذا الملك وهل اسلم ؟ فشرح له اخباره ، وقال انه
 تركه وقد اسلم قلبه ولسانه ، ولكنه كتم اسلامه مخافة ذهاب
 ملكه . وكان فيما حكاه عنه انه ساله ان يفسر له القرآن
 بالهندية ، فانتهى من التفسير الى سورة يس وفسر له قوله
 عز وجل : « قل من يحيى العظام وهى رميم » قل يحييها الذى
 انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم » وكان جالسا على سرير
 من الذهب مرصع بالجوهر والدر ، فقال له : اعد على ، فأعاد عليه
 تفسيره ، فنزل عن سريره ، ومشى على الارض ، وكان قد رشها
 بالماء وهى ندية ، فوضع خده عليها وبكى ، ثم قال : هذا هو
 الرب المعبود والاول القديم الذى ليس يشبهه احد . وبكى
 بيتا لنفسه ، وأظهر انه يخلو فيه لمهمة . فكان يصلى فيه سرا
 حتى لا يطلع على ذلك انسان ، ووهب له ثلثمائة أوقية من
 الذهب



من كتاب آثار البلاد وأخبار العباد

الزوجة الموافقة

حكى رجل قال : وجدنا بحضرموت سنبله قمح ملأت طبقا من العغار ، وكل حبة منها كبيضه دجاجة ، ووزناها ، فكانت رطلين ، ورأينا شيخا له خمسمائة سنة ، وله ولد له أربعمائة سنة ، وحفيد له ثلثمائة سنة . فذهبنا الى ابن الابن ، نسأله عن ذلك ، وقلنا انه اقرب الى الفهم والعقل ، فوجدناه لايعرف الخير من الشر ، فقلنا اذا كان هذا حال الحفيد فما حال الاب والجد ، فذهبنا الى صاحب الاربعمائة ، فوجدناه اقرب الى الفهم من ابنه ، فذهبنا الى الجد صاحب الخمسمائة ، فوجدناه احسن حالا منهما ، سليم العقل والفهم ، فقلنا له : ما سبب فساد عقل حفيدك ؟ فقال : كانت له زوجة سيئة الخلق ، لاتوافقه في شيء اصلا ، فأثر فيه ضيق خلقها ، ودوام الغم بمعاشتها ، واما ابني فكانت له زوجة توافقه مرة وتخالفه مرة ، ولهذا كان احسن حالا واقرب فهما وتمييزا منه ، واما انا فلى زوجة موافقة في جميع الامور ، فلذلك سلم فهمي وعقلي . فسألناه عن سنبله القمح ، فقال : هذا زرع قوم من الامم الماضية كانت ملوكهم عادلة ، وعلمائهم امناء ، وعوامهم منصفة

صنم سومنة

لما غزا السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوى بلاد الهند

سعى في فتح بلغة سومناتا (في شمالى الهند) ، حتى يزِيل
صنمها الذى يحج اليه الهنود من جميع ديارهم ، طمعا فى
دخولهم فى الاسلام وانتشاره فى جميع بلادهم . فوصل اليها
فى منتصف ذى القعدة سنة ست عشرة وأربعمائة ، فقاتل
الهنود عنها أشد قتال ، وكانوا يدخلون على سومناتا ويكون
ويتضرعون ، ثم يخرجون الى القتال فتحصدتهم سيوف السلطان
محمود وجنوده . واستولى على المدينة ، فرأى ازالة هذا الصنم
الكبير ، وكان عجيبة من العجائب اذ كان قائما فى هيكل ،
معلقا فى فراغ قبة كبيرة ، لا يمسكه شيء فى الارض ولا فى
السقف . فقال السلطان لاصحابه ومن حوله : ما تقولون فى
هذا الصنم وأمره ووقوفه فى الهواء بلاعماد ؟ فقال بعض
السامعين انه علق بأسباب وعلائق ، أخفيت عن الانظار حتى
لا تراها . فأمر السلطان شخصا يدور برمحه حول الصنم ومن
اعلاه واسفله ففعل فلم يمنع الرمح شيء . وتأكدوا ان ليس
هناك علائق ولا أسباب تصله بشيء مما حوله . فتقدم رجل
عارف الى السلطان وقال له : انى أظن أن القبة من حجر
المغناطيس والصنم من الحديد ، وقد بالغ الصانع فى تدقيق
صنعتة ، فراعى تكافؤ قوة المغناطيس من جميع الجوانب ، بحيث
لا تزيد قوة جانب على جانب آخر ، فوقف الصنم فى وسط الفضاء
وحفظ توازنه . فوافقه قوم وخالفه آخرون . وقال الرجل للسلطان :
أئذن لى أن أرفع حجرتين من رأس القبة ليظهر ذلك فأذن له .
فلما رفع الحجرتين اعوج الصنم ومال الى أحد الجوانب ، ولم يزل
الرجل يرفع الحجارة والصنم يهبط الى أسفل حتى سقط على
الارض

بريا (هيكل) اخميم

من عجائب مصر البرابي (معابد وهياكل الفراعنة) وهي بيوت بها صور طير ونباتات وأشجار وعليها كتابات وطلسمات (الكتابة الهيروغليفية) • وبريا اخميم بيت فيه صور وتمائيل ثابتة ، وقد ذكر أنه لما أغرق الله تعالى فرعون وجنوده في البحر خلعت مصر من الرجال • وكانت امرأة من بيت الفراعنة تسمى دلوكة أرادت أن تصنع شيئا يمنع المماتك المجاورة من الاغارة على البلاد ، وكلفت باخميم ، وكان بها ساحرة يشهد لها سحرة مصر بالتفوق في علم السحر ، وكانت تسمى تدورة ، فقالت لها دلوكة : اننا نحتاج اليك في شيء تصنعينه يكون حرزا لبلادنا ممن يرومها من الملوك ، نحن كما ترى بغير رجال! فأجابتها الى ما أرادت وصنعت لها بريا ، وهو بيت له أربعة أبواب الى أربع جهات ، وصورت فيه السفن والرجال والحيل والبغال والحمير ، وقالت لها قد عملت لك شيئا يغنيك عن الرجال والسلاح والحصون ، فان من أتاكم من البر يكون على الحيل والبغال والحمير ومن أتاكم من البحر يكون في السفن • فحين يأتي أحد من البر أو البحر تحرك الصور التي على مثاله ، فما يفعل بها يعييه مثل ذلك في نفسه ورجاله • فكانوا بعد ذلك اذا أتاهم عدو تحركت الصور ، فقطعوا سيقان الدواب وفقتوا عيون الرجال وبقروا بطونهم ، فيصيبهم مثل ذلك

قال القزويني : وهذه الحكاية تشبه الخرافات ، ولكنني وجدتها في جميع كتب اخبار مصر • وهي خرافة لا ريب فيها • ونجد في كتابات مؤرخي العرب كثيرا من مثل هذه الخرافة التي لا تتفق وما كشفت عنه الآثار الفرعونية ، ويقلب أن يكونوا قد نقلوها من القصص الشعبي الذي كان يدور على اللسان

عمرو النيل

لما فتح المسلمون مصر جاء أهلها الى عمرو بن العاص حين دخل شهر بثونة (يونية) من أشهر القبط وقالوا : أيها الأمير ان لبلدنا سنة (عادة) لايجرى النيل الا بها ، وذلك أنه اذا كان لاثنى عشرة ليلة من هذا الشهر عمدنا الى فتاة ، فارضينا أبوها وجعلنا عليها من الحلي والياب افضل ما يكون ، ثم القيناها فى النيل . فقال لهم عمرو : ان هذا لا يكون فى الاسلام ، وان الاسلام يهدم ما قبله ، فأقاموا اشهر بثونة وأبيب (يولية) ومسرى (أغسطس) والنيل لايجرى أبدا ، لاقليلا ولا كثيرا حتى هم اهل مصر بالجلء عنها ! . فلما رأى عمرو ذلك كتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بذلك فكتب عمر اليه : قد أصبت ان الاسلام يهدم ما قبله ، وقد بعثت اليك بطاقة (رسالة) فالتقها فى داخل النيل ، واذا فيها : « من عبد الله أمير المؤمنين الى نيل مصر أما بعد فان كنت تجرى من قبلك فلا تجر ، وان كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك ففسأله أن يجربك » . فالقى عمرو بن العاص البطاقة فى النيل وقدها أهل مصر للجلء ! لان مصالحهم لا تقوم الا بالنيل ، فأصبحوا وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعا فى ليلة واحدة . وهى قصة لا تؤيدها حقائق التاريخ

قاض يخون الأمانة

« كرد فنا خسرو » مدينة يضرب بقاضيهما المثل فى الحيانة ، حكى أن بعض الناس أودعه مالا كثيرا ، فلما أراد أن يسترده جمعه وانكره ، فاجتمع صاحب المال بعضد الدولة البويهى (٣٢٧ - ٣٧٢ هـ) منشىء المدينة وبنائها ، وقال له : أيها السلطان انى ابن فلان التاجر ، ورثت من أبى خمسين ألف

دينار ، وأودعت عشرين ألفا منها في قمقم (وعاء) عند قاضيك الى وقت الحاجة ، وكنت أتصرف فيما مضى ، فوقعت في بعض أسفاري في أسر الروم ، وبقيت أربع سنين حتى تخلصت . فلما رجعت وطلبت الوديعة من القاضي جحدها ، وأظهر أنه لا يعرفني ولا يسمح بي . وكررت عليه الطلب ، فقال لي : انك رجل مجنون ، قد غلبتك السوداء ، فدع عنك هذا الجنون ، والا بعثت بك الى الماوستان (مستشفى المجانين) وقيدتك في السلسلة هناك . فتأثر عضد الدولة ، وقال له : انا الذي ظلمتك بتولييتي مثل هذا القاضي ، وأعطاه مائتي دينار ، وقال له : لا تذكر هذا القول ولا هذه القصة لاحد حتى يأتيك امرى . وانتظر عضد الدولة شهرا ، ثم طلب القاضي يوما في الطهيرة واختلى به وبألف في اكرامه ، ثم قال له : ايها القاضي ان لي سرا ما وجدت له في جميع مملكتي غيرك محلا له لما تمتاز به من كمال العلم ووفور العقل والدين ، وهو أن لي اولادا ذكورا واناثا ، أما الذكور فلسنت أهتم بأمسهم ، وأما الاناث فهن اللاتي أخشى عليهن ، فأردت أن تتخذ في دارك موصعا صالحا لوديعة لا يعلم بها أحد غير الله ، تدفعها الى بناتي بعد موتى ، ودفع الى القاضي مائتي دينار وقال : اصرفها في عمارة بناء صغير بيتك يسع مائتين وأربعين قمقما . وإذا تم لك ذلك أخبرني حتى أبعث اليك القماقم على يد بعض من يستحق القتل ، ثم أقتله فلا يعلم أحد السر . فقال القاضي سمعا وطاعة ، وقام من عنده فرحا يحدث نفسه بأنه سيتمتع بهذا المال هو وأولاده وأحفاده ، فان عضد الدولة اذا مات لا يوجد بعده من يطلب المال ، اذ لا حاجة ولا شاهد . واشتغل بعمل بناء صغير ، وبعث عضد الدولة الى الفتى المظلوم ، فلما أخبر القاضي عضد الدولة باتمام

البناء قال عضد الدولة للفتى : اذهب الى القاضى وطلبه
بالوديعة وهدده برفع الامر الى . فذهب الفتى الى القاضى وقال
له : ايها القاضى ساء حالى وطال ظلمى ، ولئن لم تدفع لى الوديعة
لاخذن غدا بلجام عضد الدولة وأخبرته القصة . فقام القاضى ،
ودخل حجرة ، وطلب الفتى وعانقه ، وقال له : يا بن اخى ان
اباك كان صديقى ، وما حبست المال الا لمصلحتك ، لاني سمعت
انك اتلفت مالا كثيرا ، فأخبرت وديعتك الى أن أعرف رشدك ،
والآن عرفت رشدك ، فخذ حقك ، بارك الله لك فيه . وأخرج
المال وسلمه اليه . فأخذه الفتى ومضى الى عضد الدولة به ،
فأحضر القاضى ، وقال له : ايها الشيخ القاضى انى أجريت عليك
رزقك ، لتقطع طمعك عن أموال الناس ، ولولا انك شـيـخ
لجعلتك عبـرة لمن بعدك ، وقد ثبت عندي ان جميع مالك حرام
من أموال الناس . وختم على جميع ماله وعزله ، وقال : الحمد
لله الذي وفقنى لازالة ظلم هذا القاضى الظالم



العمل الصالح

انطلق ثلاثة نفر فى الزمن القديم ، حتى دخل عليهم الليل ،
بالقرب من البلقاء فى الشام ، فباتوا فى غار بجبل ، فلما
أصبحوا وجدوا صخرة انحدرت من الجبل وسدت عليهم باب
الفار ، فقالوا لا ينجينا من هذه الصخرة الا أن ندعو الله بصالح
اعمالنا ، فقال رجل منهم : اللهم أنه كان لى أبوان كبيران ،
فكنت اطعمهما اللبن صباحا ولا أقدم عليهما أهلا ولا ولدا ،
وأخضعهما النوم يوما ، ولما حلبت اللبن وجدتاهما نائمين ، فمكنت
بجانبهما والقدر فى يدي ، انتظر استيقاظهما حتى طلع النهار
والصبية من حولي يتصايحون جوعا ، فاستيقظا وشربا اللبن ،
اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، ففرج عنا مانحن فيه
من هذه الصخرة ، فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه .
فقال الثانى : اللهم أنه كان لى ابنة عم أحبها ، فألمت بنا سنة مجدية
فجاءتنى فأعطيتها مائة وعشرين دينارا ، وقد تعرضت لى وقالت :
هيت لك ، فانصرفت عنها وهى أحب الناس لى ، اللهم ان كنت
فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا مانحن فيه ، فانفرجت
الصخرة قليلا ، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها . فقال
الثالث : اللهم انك تعلم انى استأجرت أجرا (عمالا) فأعطيتهم
أجرهم غير رجل واحد ، ترك الذى له وذهب ، فتمت أجرته فى
تجارتي حتى كثرت وازدادت زيادة كبيرة ، فجاءتنى بعد حين ،
وقال : يا عبد الله مات أجرتي ، فقلت له : كل ماترى من الأبل

والبقر والغنم والعبيد من أجرتك فقال : يا عبد الله لا تستهزئ بي ، فقلت له : لا تستهزئ ، وإنما هي الحقيقة . فاستاق ذلك كله ، ولم يترك منه شيئاً ، اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، ففرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة . وخرج من الغار النفر الثلاثة لم يصعبهم أذى

نبوة منجمين

حكى ان المنجمين قالوا لسابور بن أردشير ملك الفرس : أن الملك يزول عنك ، ثم يعود اليك ، فقال لهم : وما علامة عودته ؟ قالوا : اذا أكلت خبزاً من الذهب على مائدة من الحديد ، فلما ذهب ملكه خرج وحده تخفضه أرضي ، وترفعه أخرى ، الى أن صار الى قرية أسفجين من قرى همذان ، فاستأجره شيخ القرية ، على أن يزرع له أرضاً نهارة ويطرد عنها الوحش ليلاً . فبقى على ذلك مدة ، فرأى شيخ القرية منه جلدًا وأمانة ، فزوج بنته منه . فلما انقضت أربع سنين اتفق أن كان في القرية عرس ، اجتمع فيه الرجال والنساء ، وكانت امرأته تحمل اليه كل يوم طعامه ، فاشتغلت عنه في ذلك اليوم الى ما بعد العصر . ولما ذكرته عادت الى بيتها ، فلم تجد الا قرصين من الدخن (حب أصفر يابس) فحملتهما اليه فوجدته يسقي الزرع وبينهما وبينه ساقية فمد المسحاة اليها ، فجعلت القرصين عليها فقعد يأكلهما . وتذكر سابور قول المنجمين انه يأكل خبز الذهب على مائدة من الحديد ، فعرف ان أيام بؤسه انقضت ، فظهر للناس واجتمعت عليه الجنود ، وعاد الى ملكه . فقالوا له : ما أشد شيء لقيته في أيام بؤسك ؟ فقال : طرد الوحش عن الزرع ليلاً ، فصادوا في ذلك الموضع ما لا يحصى من حمر الوحش وأمر أن يبني من حوافرها منارة ، ارتفاعها خمسون ذراعاً .

يقول القزويني : والمنازة مشهورة في هذه القرية الى زماننا

فرس كسرى أبرويز

كان لكسرى أبرويز فرس يسمى شبديز ، اهداه اليه ملك الهند ، وكان من اذكى الدواب ، واعظمها خلقا ، واصبرها على طول الركض ، فانفق انه اعتل وزادت عنه ، فقال كسرى : من اخبرني بموته قتلته ، ومات فخاف صاحب خيله ان يساله عنه ، فيجيبه بموته ، فجاء الى مفتى كسرى ، وساله ان يحتال عليه في اثناء غنائه ، ويخبره بذلك ، فلما سمعه كسرى يذكره متحسرا عليه في شيء من غنائه فطن لما صار اليه ، فقال له : ويحك مات شبديز ، فقال : الملك يقول ذلك ، فقال كسرى حسنا ، ما احسن ماتخلصت وخلصت غيرك . وامر فطرس بن سنمار بتصويره ، فصنع طاق بستان بجبل بيستون ، وهو ايوان في الحجر وفي وسطه صورة فرس كسرى شبديز ، وكسرى راكب عليه ، وجعل على حيطان الايوان صورة شيرين وجواربها ومواليها . وقد زعم بعض الناس لدقة صنع تمثال شبديز ، انه ليس من عمل البشر لما فيه من الفكر اللطيف والنظر الدقيق ، وكذلك صورة شيرين فانها تظهر الحسن والملاحة في وجهها ، حتى فتن بها بعض الناس ، وعشق صورتها عشقا شديدا . ولا جاء كسرى وتأمل الطاق والتمثال قال لشد ما نعي هذا التمثال الينا انفسنا ، وذكرنا مانصير اليه من موت جسدنا وطموس صورتنا

عاشق شيرين

عشق رجل حجار اسمه فرهاد شيرين حظية كسرى أبرويز ، وكانت رائعة الحسن والجمال ، وتدل في عشقها ، واشتهر ذلك بين الناس ، حتى عرفه أبرويز ، فقال لحاشيته :

ماذا ترون في امر هذا الرجل ان تركته وما هو عليه قبح ذلك ،
 وان قتلته او حبسته عاقبت غير مجرم ؟ فاشار عليه بعض
 السامعين ان يشغله بفتح درب شاق في جبال يصرف عمره
 فيه . فاستصوب ابرويز هذا الرأي ، وامر باحضار الرجل ،
 فدخل عليه ، فراه رجلا ضخما طويل القامة ، فامر باكرامه ،
 وقال له : ان جبال بيستون تمنعنا من المرور الى ماوراءها ،
 ونريد ان نفتح فيها طريقا لسلوكنا فيها ، وقد عرفت دربك
 وذكائك ، فقال الصانع : افعل ان وعدتني ببقاء شيرين ،
 فتاذي كسرى ابرويز من قوله ، ولكنه قال في نفسه : من
 يستطيع ان يقطع جبال بيستون ، ان هذا مستحيل ؟ فقال
 في جواب الرجل : نفعل ماتريد وتقضى طلبك اذا فرغت من
 عملك . فخرج فرهاد من عنده ، وشرع في قطع الجبال ،
 ورسم فيها دربا يسع عشرين فارسا عرضا ، ويسع سمكه
 اعلى الرايات والاعلام . فكان يقطع الصخور طول نهاره ،
 وينقلها طول ليله ، ويرصف من قطعها الكبار في سفح الجبل
 ويسويها حتى يستقيم الطريق . ولما كاد ان يتمه ذكر ذلك
 لكسرى ابرويز ، فاخذه الهم ، فقال له بعض الحاضرين : انا
 اكفيك امره ، وبعت الى فرهاد من أخبره بموت شيرين ، فلما
 سمع ذلك اخرج زفرة حنارة من كبده وضرب الفأس
 في الصخرة ، ثم جعل يضرب رأسه على الفأس الى ان
 مات . فقال القزويني : وتلك الآثار باقية الى الآن
 لا ريب فيها ! وقد رأيت عند اجتيازى بالدرب شبه
 منارة عظيمة فتح فرهاد جوانبها وما قطعها بعد ، ورأيت قطعا
 كبيرة من الاحجار ، عليها آثار ضرب الفأس وفي كل قطعة
 حفرتان على جانبيها ، ليجعل يديه فيهما عند رفعها !

عمل كسرى اتو شروان

حكى انه لما اراد كسرى انوشروان بناء قصره الابيض ،
الذى وصف ايوانه البحترى فى قصيدته السينية ، امر بشراء
كل ماحوله ، ورغب الناس فى البيع بالثمن الوافر . وكان من
جملتهم عجوز لها بيت صغير ، فقالت : لست ابيع جوار كسرى
بالدنيا كلها ، فاستحسن انوشروان منها هذا القول ، وأمر
بترك بيتها على حاله وبناء الايوان محيطا به ، واتخذت على
الايوان نقوش وصور بالتزاويق ، منها صورة مدينة انطاكية
واتو شروان يحاصرها ويحارب اهلها راكبا على فرس اصفر ،
وعليه ثياب خضر وبين يديه صفوف الفرس والروم . ولما تم البناء
وسكن كسرى القصر شكا اليه غلمانه من ان المعجوز تدخن فى
بيتها ، ودخانها يفسد نقوش الايوان ، فقال : دعوها وكلما
أفسدت النقوش بدخانها اصلحوها . وكان للمعجوز بقرة
تأتيها آخر النهار لتحلبها وتأخذ لبنها ، فاذا وصلت الى الايوان
طوى الغلمان فرشه والبسط الممدودة امامه ، لتمشى البقرة
الى باب المعجوز . فاذا فرغت من حلبها رجعت وسويت البسط
والسجاجيد !

الاسم الاعظم

كان اهل نجران (مدينة فى اليمن) اهل شرك وكان عندهم
ساحر يعلم صبياتهم السحر ، فنزل بهم رجل صالح وابنتى
خيمة بجنب قرية الساحر ، فكان يرى اهل نجران يرسلون
بأولادهم الى الساحر ليعلمهم سحره ، وكان فيهم غلام اسمه
عبد الله ، فكان يمر معهم على الرجل الصالح ، وأعجبته عبادته ،
فكان يجلس اليه ويسمع منه امور الدين ، فدخل الايمان فى
قلبه واسلم ، وتعلم منه الشريعة والاسم الاعظم ، وقال له

الرجل الصالح : لقد عرفت الاسم الاعظم ، فاحفظه لنفسك .
 وجعل عبد الله اذا رأى شخصا من أصحاب العاهات يقول له :
 ان دخلت في ديني دعوت الله أن يعافيك ، فاذا اجابه دعا له
 وشفى من عاهته ، ولم يزل على ذلك حتى شفى جميع أهل
 نجران ولم يبق بينهم صاحب آفة . ورفع امره الى الحاكم
 فأحضره ، وقال له : أفسدت على أهل مدينتي وخالفت ديني
 ودين آبائي لامثلن بك ، فقال له عبد الله : انك لن تستطيع
 ان تصيبنني بسوء . وجعل الحاكم يلقيه من شاطئ فيقوم
 كأن لم يمسسه ضر ، وأغرقه في البحر فلم يصبه اذى .
 فأمن بدينه ووجد ربه ، ودخل أهل نجران جميعا في دين
 عبد الله



اصحاب الكهف

افسوس مدينة مشهورة ، وهى مدينة ديقيانوس الجبار الذى هرب منه اصحاب الكهف ، وهو على بعد فرسخين من المدينة ، وهم سبعة نفر ماتوا وظلوا ثلثمائة سنة وازدادوا تسعا ، ثم عادوا الى الحياة ، ولم يلبثوا أن ماتوا بعد أن ظهرت معجزتهم الخارقة . قال القزوينى :

كان ملك مدينتهم ديقيانوس ارتد الى عبادة الاصنام، ورصد كل من خالفه ودعا الى التوحيد فعذب به بالقتل والصلب والحرق . واتفق أن بعض الفتيان من اولاد بعض البطارقة (الاشراف) خرجوا ذات يوم لينظروا الى المذبذبين من الموحدين ، ففتح الله ابصارهم ، وهدى بصائرهم ، وكتب هدايتهم ، فكانوا يرون الموحدين اذا قتل احدهم هبطت اليه الملائكة من السماء وعرجوا بروحه . فآمنوا بربهم ، ومكثوا كذلك مدة ، حتى عرف امرهم وسمع الملك بايمانهم ، فدعا آباءهم وعاتبهم على ما أقدم عليه ابناؤهم من ايمانهم بربهم ، فقالوا له : لانا بريئون منهم ، واصنع بهم ماتريد ، فاحضرهم ، وقال لهم : انى مهلكم ثلاثة ايام ساخرج فيها عن البلد ، فان عدت فى اليوم الرابع ووجدتكم مخالفين لطاعتي عذبتكم عذابا اليما . ولما كان اليوم الثالث صمم الفتنه على الهرب ، ولما جهم الليل حمل كل منهم شيئا من مال ابيه ، وخرجوا من المدينة يمشون ، فمروا براعى غنم لبعض آباؤهم ، فعرفهم وقال

لهم : ما شأنكم ؟ فاطهروا أمرهم له ، ودعوه الى التوحيد ،
 فأجابهم ، فأخذوه معهم ، وتبع الراعى كلبه ، فساروا ليلتهم
 حتى وصلوا الى كهف ، فدخلوا فيه يختبئون ، وقالوا للراعى :
 خذ شيئا من الورق (النقود) وانطلق الى المدينة ، واشتر لنا
 طعاما ، فان القوم لا علم لهم بخروجك معنا . فأخذ الدراهم
 ومضى نحو المدينة وتبعه كلبه ، وكان على باب المدينة صنم ،
 وكان لا يدخلها أحد الا بدأ بالسجود لذلك الصنم قبل دخوله
 فيها ، فبقى الراعى برهة متحيرا مفكرا في السجود للصنم .
 وبينما هو كذلك اذا الكلب يعدو بين يديه ، ومازال يعدو حتى
 دخل المدينة فعدا الراعى خلفه ، وهو يقول : امسكوه امسكوه
 حتى جاوز الصنم ولم يسجد له . ولما انتهى الى السوق ،
 واشترى بعض حوائجه سمع قائلا يقول : ان راعى فلان
 ايضا تبع الفتية . فلما سمع ذلك فزع وترك استكمال ما اراد
 شراؤه ، وخرج من المدينة مبادرا حتى وافى اصحابه ، فأخبرهم
 بما كان من أمره ، فاكلوا طعامهم واخذوا مضاجعهم ،
 فضرب الله على آذانهم . فلما رجع الملك اخبروه بهربهم ،
 فخرج يقفو آثارهم ، حتى انتهى الى باب الكهف ، ووقف على
 أمرهم ، فقال : يكفيهم من العذاب ان ماتوا جوعا . فاهلك الله
 دقيانوس وانزل على باب الكهف صخرة ، وبعت الى الناس
 الانبياء ، فدعوه الى التوحيد ، فأجابهم خلق كثير ، آمنوا
 بهم ، ومرت الستون ، فلما كانت السنة التى اراد الله فيها
 احياء الفتية ، انطلق رجل من أهل المدينة ، وأقام بالقرب من
 الكهف يرعى غنمه ، فأراد ان يتخذ لغمه حظيرة ، فأمر اعوانه
 بتنحية الصخرة التى كانت على باب الكهف ، فعند ذلك قام
 الفتية كمن يبيت ليلة صافية هنيئة ، وراوا كلبهم باسطة ذراعه

بالصييد (فناء الكهف) وكان ذلك بعد ثلاثمائة سنة بحساب
 الروم وزيادة تسع بحساب العرب ، لان سننى الروم شمسية
 وسننى العرب قمرية . وكان انتباههم آخر النهار ، ودخولهم
 فيه اول النهار ، فقال بعضهم لبعض : كم لبثتم ؟ قالوا لبثنا
 يوما او بعض يوم ، لانهم راوا الشمس غير غاربة ، فلما نظروا
 الى طول شعرهم واظفارهم قالوا : ربكم اعلم بما لبثتم ، وقالوا
 للراعى : انك اتيت الباردة بطعام قليل لم يكفنا ، فخذ شيئا
 من هذا الورق (النقود) ، وانطلق الى المدينة واشتر لنا طعاما ؛
 فانطلق خائفا حتى اتى باب المدينة ، فرأى الصنم قد ازيل
 عنه ، لان اهلهما اصبحوا موحدين . ثم دخل المدينة وجعل
 يتصفح وجوه الناس ، فلم يعرف منهم احدا ، وانتهى الى
 سوق الطعام ودفع الى بائع ما معه من الورق فردده عليه ،
 وقال : هذا حقيق لا يروج اليوم ، فناوله كل مامعه ، وقال له :
 خذ حاجتك منه . وراى صاحب الطعام يهمس الى جاره ويقول :
 احسب ان هذا قد وجد كنزا ، فلما رآهما يتهامسان ظن انهما
 عرفاه ، فترك الدراهم وولى هاربا ، فصاح به الناس ان خذوه ،
 فانه وجد كنزا . فاخذوه وانطلقوا به الى الملك ، فأخبروه —
 وكان موحدًا — بأمره وبالنقود التى معه . فتركه الملك حتى
 سكن روعه ثم قال له : ما شانك يا فتى ؟ اخبرنى بأمرك ولا
 بأس عليك ، فقال الفتى : ما اسم هذه المدينة قالوا : افسوس ،
 قال يوما فعل ديقيانوس ؟ قالوا : اهلكه الله منذ ثلثمائة سنة .
 فأخبرهم بقصته وقصة اصحابه ، فقال الملك : ارى فى عقل
 هذا الرجل نقصانا . قال الراعى : ان أردت تحقيق ما أقول
 انطلق معى الى اصحابى لتراهم فى الكهف . فركب الملك وعامة
 اهل المدينة فقال الراعى : ان اصحابى اذا سمعوا جلبة الناس

خافوا فأتوا في أيها الملك حتى أقدموا عليهم ، فأذن له ،
فتقدم حتى انتهى إلى باب الكهف ، فدخل على أصحابه وأخبرهم
بهلاك ديقيانوس ، وظهور التوحيد ، وأن القوم في ولاية ملك
صالح ، وهاهو ذا قد أقبل إليكم معه عامة أهل المدينة ،
فلما سمعوا ذلك كبروا وحمدوا الله . ووافاهم الملك وعامة
أهل المدينة ، وسلم عليهم الملك وسأل عن رجل منهم ،
وعانقهم وسلم عليهم الناس . فبادروا بذكر قصتهم حتى
إذا فرغوا منها خرجوا ميتين

سحابة تهزم جيشا

در اسماعيل بن أحمد الساماني صاحب بخاري في خراسان ،
وكان ملكا عادلا غازيا ، أنه غزا الترك في بلادهم (التركستان)
ذات مرة ، وكان في عشرين ألف فارس ، فخرج عليه منهم
ستون ألفا في السلاح التام ، فاشتبك معهم أياما ، وبينما كان
يوما يقاتلهم جاءه بعض معاليكه الأتراك وقالوا له : ان لنا في
معسكر الكفار قرابات ، وقد أندرونا بموافاة شخص منهم ،
بحرك حجارة خاصة فتمطر السماء المطر والثلج والبرد ، وقد
عزم أن يطر علينا غدا ثلجا وبردا عظيما لا يصيب أحدا إلا
قتله ! فأنهزمهم وقال لهم : ان هذا لا يستطيعه أحد من البشر .
ولما كان الغد وارتفع النهار نشأت سحابة عظيمة من وراء جبل
كان مستندا إليه بمعسكره ، ولم تزل تنتشر حتى اظلمت جيشه ،
قال اسماعيل الساماني : فهالني سوادها ، وما رأيت فيها من
الهلل ، وما سمعت من الأصوات المزعجة ، فخشيت الفتنة ،
فنزلت عن دابتي وصليت ركعتين والعسكر يعوج بعضهم في
بعض ، ثم دعوت الله تعالى مغفرا وجهي بالتراب ، وقلت :
اللهم اغثنا ، فان عبادك يضعفون عن محنتك ، وإنى أعلم أن

القدرة وأن النفع والضرر لا يملكنهما إلا أنت . اللهم ان هذه السحابة ان امطرت علينا كانت فتنة للمؤمنين ، وسقطوة للمشركين ، فاصرف عنا شرها بحولك وقوتك ياذا الحول والقوة . قال : واكثرت من الدعاء رغبة ورهبة الى الله تعالى ووجهي على التراب . فبينما انا كذلك اذ بادر الى الرجال يبشرونني بالسلامة واخذوا بعضدي ينهضونني وكنت ثقيلاً من عدة الحديد . فرفعت رأسي ، فاذا السحابة قد زالت عن عسكري ، وقصدت عسكر الترك وامطرت برداً عظيماً ، فاذا هم يمجون وتنفر دوابهم . وما وقعت بردة على احد الا اوهنته او قتلته ، فقال اصحابي : نحمل عليهم ، فقلت : لا ، فان عذاب الله ادهى وامر ، فمات منهم خلق كثير ، ولم يفلت الا القليل . فلما كان من الغد دخلنا معسكرهم فغنمنا ما فيه من الغنائم الكثيرة ، وحمدنا الله تعالى على السلامة



مدينة النحاس

لما بلغ الوليد بن عبد الملك خبر مدينة النحاس ، وخبر ما فيها من الكنوز ، وأنه الى جانبها بحيرة فيها جواهر واموال كثيرة عظيمة ، كتب الى موسى بن نصير عامله على المغرب والاندلس ، يأمره بالمسير اليها والحرص على دخولها وان يعرفه حالها . ودفع الكتاب الى طالب بن مدرك فحمله الى موسى بن نصير وهو بالقيروان ، فلما قرأه تجهز وسار في ألف فارس نحوها . فلما رجع كتب الى الوليد بن عبد الملك :

« بسم الله الرحمن الرحيم اصلح الله الامير صلاحا يبلغ به خير الدنيا والآخرة ، اخبرك يا امير المؤمنين اني تجهزت جهازا بكفيني اربعة اشهر ، وسرت في مغاور الاندلس ومعى ألف رجل ، حتى أوغلت في طرق قد انطمست ومناهل قد اندرست ولتمحت فيها الآثار وانقطعت عنها الاخبار . فسرت ثلاثة واربعين يوما أحاول رؤية مدينة لم ير الرايون مثلها ، ولا سمع السامعون بنظيرها ، فلاح لنا بريق مشارفها من مسيرة ثلاثة ايام ، فافزعنا منظرها الهائل من بعيد وامتلات قلوبنا رعبا من عظمها وبعد اقطارها . ولما قربنا منها اذا امرها عجيب فنزلنا عند ركنها الشرقي . ثم وجهت رجلا من اصحابي في مائة فارس ، وأمرته أن يدور حول سورها ليعرف بابها ، فغاب عنى يومين ، ثم واقانا في اليوم الثالث ، فأخبرنا أنه ما وجد لها بابا ولا رأى اليها مسلكا . فجمعت امتعة اصحابي الى جانب

سورها وجعلت بعضها على بعض لانظر من يصعد اليها فيأتيني
بخبير ما فيها ، فلم تبلغ امتعتنا ريع السور لارتفاعه . فأمرت
عند ذلك باتخاذ سلالم وشد بعضها الى بعض بالجبال ،
ونصبته على الحائط ، وجعلت لمن يصعد اليها ويأتيني بخبر
ما فيها عشرة آلاف درهم . فانتدب رجل من أصحابي نفسه
لذلك ، واخذ يتسنى السلالم ويقرأ ويتعوذ . فلما صار على
سورها ، وأشرف على ما فيها قهقه ضاحكا ، وسقط فيها ،
فنادينه ان اخبرنا بما فيها وبما رأيته فلم يجبنا . فجعلت
لمن يصعد بعده ويأتيني بخبرها وخبر الرجل ألف دينار ،
فانتدب رجل من حمير نفسه لذلك واخذ الدنانير ، ثم صعد ،
فلما استوى على السور قهقه ضاحكا ، ثم سقط فيها . ونادينه
ان اخبرنا بما رأيت فلم يجبنا ، فصعد ثالث وكان حاله مثل
حال صاحبيه ، فامتنع أصحابي بعد ذلك عن الصعود . فلما
أيست منها رحلت نحو البحيرة التي بجانبها وسرت مع سور
المدينة ، فانتبهت الى مكان من السور فيه كتابة بالحيرية ،
ثم سرت حتى وافيت البحيرة عند غروب الشمس ، فاذا هي
مقدار ميل في ميل كثيرة الامواج ، واذا رجل قائم فوق الماء ،
فناديه من أنت ؟ فقال : أنا رجل من الجن حبسني ههنا
سليمان بن داود ، قلنا فما بالك قائما فوق الماء ؟ قال : سمعت
صوتا فظننته صوت رجل يأتي هذه البحيرة مرة في كل عام
فيصلي على شاطئها اياما ويهلل لله ويمجده ، قلنا من تظنه ؟
قال : أظنه الخضر عليه السلام . وغاب عنا ، ولم ندر أين
توجه . وكان معي عدة من القواصين فأمرتهم ان يغوصوا في
الماء ففاصوا وراوا قممها من نحاس مختوما برصاص ، جلبوه
معه ، فأمرت به ففتح ، وخرج منه مارد من نحاس على فرس

وبيده رمح من نحاس ، فطار في الهواء ، وهو يقول : يا بى
الله لا اعود . ثم غاصوا ثانية وثالثة فأخرجوا قماقم مثل هذا
القماقم . ولما بُسِست وضج الجيش خوفا من انقطاع الزاد
أخذت الطريق التى سلكتها والحمد لله الذى حفظ لأمير
المؤمنين أموره وسلم له جنوده والسلام ،

وهى خرافة لا شك فيها وقد استغلها القصاص فى كتاب
الف ليلة وليلة ، وأضافوا اليها من بنات افكارهم مادة خيالية
وفيرة ، أخرجوها بها اخراجا قصصيا بدعيا فى قصة بنفس
العنوان هى قصة مدينة النحاس ، وفيها يظهر الخضر ، وتظهر
القماقم والجن والسور العجيب

من كتاب عجائب المخلوقات

رجل من ياجوج وماجوج

ذكر احمد بن فضلان رسول الخليفة المقتدر الى صاحب
البلغار ، انه لما وصل الى هذه البلاد سمع ان بها رجلا عظيم
الحلقة جدا ، فلما اجتمع بالملك سألته عنه ، فقال له : نعم
ولكنه مات ولم يكن من أهل بلادنا ، ثم قال من خبرة : ان قوما
خرجوا الى نهر اتل (الفولجا) وكان قد مد وفاض فوافونى
ذات يوم وقالوا : ايها الملك خوفنا على الماء رجل فى خلقته
عظيمة ، ان كان من أمة تقرب منا فلا مقام لنا فى هذه الديار .
قال الملك : فركبت معهم الى النهر ، فاذا برجل طوله اثنا عشر
ذراعا ورأسه كأكبر ما يكون من القدور وأنفه أطول من شبر ،
وله عينان عظيمتان ، وكل أصبع من أصابعه طوله شبر .
فأقبلنا نكلمه وهو لا يزيد على النظر الينا ، فحملته الى مكانى .
وكتبته الى أهل ويسوا وريتنا وبينهم مسيرة ثلاثة أشهر ،
أسألهم عنه فعرفونى ان هذا الرجل من ياجوج وماجوج ، وهم

منهم على ثلاثة أشهر ، وهم قوم عراة كالبهائم يخرج الله تعالى لهم في كل يوم سمكة من البحر ، فيأتى الواحد منهم بمدينة فيجتز منها بقدر ما يكفيه ، ويكفى عياله ، حتى اذا استكفوا انقلب السمكة في البحر .. ثم قال الملك : اقام هذا الرجل عندي مدة ثم أصابته علة فمات منها . قال ابن فضلان : فخرجت اليه ، فرايت عظامه هائلة جدا

شجرة العنب

ذكروا ان «جمشيد» احد ملوك الفرس القدماء ، كان في بعض متصدياته ، فتفرق منه أصحابه في طلب الصيد ، فرأى نفر منهم في بعض الجبال شجرة عنب ، عليها عناقيد ، فتمجبوا منها ، وقطعوها وحملوها الى الملك ، فتمجب منها ، وقال : انا سمعنا ان الجبال تنبت فيها السموم ، فلعلمنا من سمومها . ثم أمر بحفظها حتى يجربها في بعض من يستحقون القتل ، فتركوها في شيء من رجالهم ، فتكسرت حباتها ، فمصروها ، وجعلوا ماءها في وعاء ، حتى عاد الملك الى مستقره ، فأمر باحضار رجل يجب عليه القتل ، واحضر العصير وقد احدث مرارته ، فسقوا الرجل منه ، فشرب ما اعطوه بمشقة شديدة ، فاقنوا أنه سم ، وزادوا في سقيه من العصير ، فقام الرجل يرقص ويصفق بيديه ، فقالوا : انها فرحة الوداع ، ورادوا في سقيه ، فنام نوما ثقيلا ، لم يشكوا في أنه سيجود بنفسه في اثنائه ، وسرعان ما انتبه وقال لهم اسقوني ، فسقوه مرارا . وأمنوا فشرب غيره من العصير وذكر ما فيه من اللذة والطرب ، وشرب جمشيد ، وأمر بفرس تلك الشجرة في بلاد الفرس لتكثر ثمرتها فصدموا بآمره

الليمون وسم الافعى

ذكر ابو عبد الله الضبي ، وكان من اصحاب الضباع بالبصرة ،
انه كان بجنب داره بستان له كثير الاشجار ، فظهرت فيه
افعى كانتا جراب طولاً وسعة وانتفاخاً ، وكثرت جناياتها .
قال : فطلبت حاوياً يصيدها ، وبذلت على ذلك مالا ، فجاءني
حاو ، وبخر بدخنة فخرجت عليه ، فحين رآها هاله
أمرها ، فنهشته ، فتلف في الحال . فانتشر خبرها وامتنع
الحوؤون عن صيدها . وترك البستان والدار حتى جاءني
رجل يوماً وقال : بلغني امر الحية التي عندهم ، فجيئت لتداني
عليها ، فقلت له : ما أحب ان اعرضك لها ، فقد قتلت حواء
عن قريب . فقال : كان ذلك الحواء اخي ، وأنا جئت لأخذ
بثاره . فأرثته البستان ، فأخرج دهنًا وطلبي به جميع بدنه ،
وجلست أنا فوق السطح انظر اليه ، فأخرج دخنة بخر
بها ، فما كان اسرع ظهور الافعى ، وحين قربت منه هربت
فتبعها الحواء فلحقها وقبض عليها ، فالتفتت وعضت يده
وافلنت . فحملنا الرجل فمات في ليلته . وترك الناس الضيعة
وانتشر حديث الافعى ، ومضت على ذلك مدة من الزمان ،
فاذا رجل جاءني في بعض الايام وسألني ماساله الحواء قبله ،
وكان يشبهه في صورته ، فمنعته ، فقال : ان الرجلين الذين
قتلتكما كانا اخوي ، ولا بد من الاخذ بثأركما او اللحق بهما ،
فمئنت ليه البستان ، وصعدت السطح ، فأخرج الدهن وطلا به بدنه
مرة بعد مرة حتى صار الدهن يتقاطر من جسده ، ثم بخر ،
فخرجت الافعى ، فطلبيها ، فأخذت تحاوره ، وما زال بها حتى
تمكنت يده من قفاها ، فأنثنت عليه وعضت ابهامه ، فبادر
وخزم فاهما وجعلها في سلة وأخرج سكيناً كانت معه وقطع

ابهام نفسه ، وأغلى زيتا وكواها به . فحملناه الى الضيعة
 فرأى ليمونة بيد صبي يلعب بها ، فقال : أهذا موجود عندكم ؟
 قلت : نعم ، فقال : أغثنى بكل ما تقدر عليه ، فان هذا في بلدنا
 يقوم مقام الترياق فقلت : وما هي بلدكم ؟ قال : عمان . فأتيته
 بشيء كثير من الليمون فاخذ يأكله ويسرع في أكله ، وعصر
 ماءه ، وطللى به موضع اللدغة . وأصبح من غد سالما وقال :
 ماخلصنى الله تعالى الا بالليمون ، وأظن ان أخوى لو اتفق
 لهما ان شاهدا هذا الليمون مائتفا . ثم استخرج الافعى وقطع
 رأسها وذنبها ، وغلاها في قدر واستخرج دهنها وجعله في
 قوارير وانصرف



كيد ابليس

سمع عابد أن قوما يبدون شجرة من دون الله ، فأخذ فأسا وذعب ليقطع الشجرة ، فلقبه ابليس في صورة شيخ كبير ، فقل له : ماذا تريد ؟ قال : أريد قطع هذه الشجرة حتى تبطل عبادتها ، فقال له ابليس : لقد تركت عبادتك وتفرغت لهذا العمل الذي لن يجديك شيئا ، فانك ان قطعتها عبد انقوى غيرها ، فقال العابد : لأبد من قطعها ، فقال له ابليس : نا أمنعك من قطعها وتصارعا فصرعه العابد وقعد على صدره ، فتوسل اليه ابليس أن يطلقه حتى يكلمه فأطلقه ، فقال له : ان الله تعالى أسقط عنك هذا الامر ، فان له في الارض عذا كثيرين ، ولو شاء لامرهم بقطعها فدعها وشأنها ، فأجاب العابد : لأبد ان اقمعتها ، ونابذه القتال فغلبه العابد مرة اخرى وصرعه . فقال له ابليس : هل لك ان تجعل بيني وبينك امرأ هو خير لك من هذا ؟ فقال العابد : ما هو ؟ قال ابليس : أنت رجل فقير ، ولعلك تحب أن تنفضل على اخوانك وجيرانك يستغنى عن الناس ؟ قال العابد : نعم ، فقال له : أرجع عن ذلك ولك على أن أجعل تحت رأسك كل ليلة دينارين تخدمهما وتنفقهما على عيالك وتنصدق منهما ، فيكون ذلك أنفع لك والمسلمين من قطع هذه الشجرة واستئصالها . ففكر العابد ، وقال له : صدقت ، وعاهدته على ذلك واعطه الأيمان والمواثيق ، وعاد الى متعبده . فلما أصبح

راى ديناوين تحت رأسه ، فأخذهما ، وصنع به ذلك ابليس أيضا فى اليوم الثانى ، فلما كان اليوم الثالث وما بعده لم ير شيئا ، فغضب واخذ الفأس وذهب الى الشجرة ، فاستقبله ابليس فى صورته السالفة ، وقال له الى اين ؟ قال : أريد أن اقطع الشجرة ، فقال له : ليس لك الى ذلك سبيل . قامسك به العايد ليصرعه كما صرعه قبل ذلك فقال له ابليس: هيهات ، واخذ العايد بيده وضرب به الأرض كأنه عصفور ، وقال له : ان لم تنته عن هذا الامر ذبحتك ، فقال له العايد : خل عني ، وأخبرنى كيف غلبتنى وصرت أنى ما انا عليه ، فقال له ابليس : لآ غضبت لله تعالى سخرنى لك ، والآن غضبت لنفسك وللدنيا فصرعتك

عفريت يختطف فتاة

قال اعرابى من بنى الحارث : خرجت عاشر عشرة نريد الشام ، فتأخرت عن أصحابى حتى اختلط الظلام ، فرفعت لى نار ، فقصدتها ، فاذا خيمة امامها جارية جميلة ، فقلت لها : ما تصنعين فى هذا المكان وحده ؟ فقالت : انا جارية من بنى فزارة اختطفنى عفريت ، وهو يفيب عني بالليل ويأتينى بالنهاى ، فقلت لها : امضى معى ، فقالت : أخاف على نفسى الهلاك . فالححت عليها وأركبتها ناقتى ، وسرنا حتى طلع القمر ، والتفت فاذا ظليم (ذكر النعام) عظيم عليه راكب يسوقه ، فقالت : هاهوذا قد آتانا فماذا نصنع ؟ فانختراحتى وأنزلتها وخططت حولها آيات من القرآن ، وتموذت بالله ، فتقدم ولم يلبث أن برز الى فى صورة رجل أسود ، فتصارعنا فلم يغلب أحد منا صاحبه ، فقال لى : هل لك فى خصلة من ثلاث خصال ؟ قلت : ما هى ؟ قال : تجز ناصيتى وتترك

الجارية ، قلت : ناصيتك أهون شيء على ، قال : فتأخذ ما تشاء من الإبل أحضرها إليك قلت : لا أبيع ديني بعرض من الدنيا ، قال : فأخدمك أيام حياتك ، قلت : مالى الى خدمتك حاجة . فمرت بها الى أهلها فزوجونها ولى منها أولاد

عراف

كان ببغداد عراف يتكهن بالقيب ، ويخبر بأشياء تقع في الغد ، فما يخطيء في شيء منها ، فجاءه رجل وقال : ان لى مسألة ان أصبت فيها فلك كذا وكذا من الدراهم ، فقال : سلها ، فقال : لا اطمئن الى جوابك عنها حتى تخبرني بها أولا ، فمكث العراف يسيرا ثم قال : تريد ان تسألني عن محبوس ، فقال الرجل : أصبت ، فأخبرني عن حبسه أيوم عليه أو يتخلص منه عن قريب ؟ فقال العراف : الشرط املك ، واذا وفيت بما وعدت أخبرتك بحاله ، فمضى الرجل الى بيته واخذ ما وعده به ، واثاه واعطاه اياه ، وقال : أخبرني عن حبسه ، فقال له العراف : سيخرج صاحبك قريبا ويخلع عليه فلم تمض أيام حتى كان الامر كما قال العراف ، فاثاه الرجل وقال : أخبرني عن كيفية معرفتك أمر هذا المحبوس ، فقال له : اعلم انى اذا سئلت عن امر انظر أمامي وعن يميني ويساري فان رأيت شيئا يكون بينه وبين المسئول عنه مناسبة أو مشابهة ، اجبت على وفق تلك المناسبة أو المشابهة ، واثت لما سألتني أولا نظرت فرايت قرية فيها ماء مع بعض السقائين ، فقلت : السؤال عن محبوس ، ثم لما سألتني ثانيا رأيت تلك القرية بيمينها قد افرغت ، وألقاها السقاء على منكبه فقلت له سيخرج ويخلع عليه

خلق الإنسان

قال بعض الحكماء : ان الله تعالى خلق الانسان على مثال مدينة بنيت من اشياء مختلفة ، كالحجارة والحصى والرماد والخشب والحديد وما شاكل ذلك ، فأحكم بناءها وحصنها سورها وخط شوارعها وقسم محالها وزين منازلها وملا خزائنها وأجرى أنهارها وأقام سواقها وضياءها وأقعد تجارها ودبر ملكها . فخلق تسعة جواهر مختلفة اشكالها هي ملاك بنياتها ، ثم ألفها وركب بعضها فوق بعض عشر طبقات متصلات ، ثم أسندها بمائتين وثمانية وأربعين عمودا ، ثم أنه سمرها ومد حبالها وشد أوصالها بسبعمائة وعشرين رباطا ممدودات ملتفات عليها ، ثم قدر ثبوتها وقسم حوائتها . وأودعها إحدى عشرة خزانة مملوءة جواهر مختلفة ألوانها ، وخط شوارعها وأنفذ طرقاتها وفتح أبوابها فجعلها ثلثمائة وثلاثين مسلكا لسكانها ، واستخرج منها عيونا وشق فيها أنهارا جعلها ثلثمائة وستين جدولا مختلفات في جرياتها ، وفتح على سورها اثني عشر بابا من درجات مسالك لجيرانها ، وقد أحكم بناء هذه المدينة على أيدي ثمانية صناع متعاونين هم خدامها ، ووكل خمسة حراس لحفظ أركانها ، ثم رفع هذه المدينة في الهواء على عمودين وحركها الى ست جهات بجناحين ، ثم أسكن فيها ثلاث قبائل من الجن والانس والملائكة هي سكانها ، ثم جعل عليهم رئيسا واحدا وأمره بحفظها وأوصاه بسياستها

تفسير ذلك : أما الجواهر التسعة فهي العظام والمخ والمصعب والعروق والدم واللحم والجلد والظفر والشعر . وأما الطبقات العشر فهي الرأس والرقبة والصدر والبطن والجوف والحقوان

(الحصان) والوركان والفخذان والساقان والقسمان . وأما
 الأعمدة فهي العظام وأما الرباطات فهي الأعصاب . وأما الإحدى
 عشرة خزانة فهي الدماغ والنخاع والرئة والقلب والكبد
 والطحال والمرارة والمعدة والأمعاء والكليتان والاثنيان . وأما
 الشوارع والطرق فهي العروق الضواري ، وأما الأنهار
 فالأوردة . وأما الأبواب الاثنا عشر فهي العينان والأذنان
 والمنخران والثديان والسبيلان والغم والسرة ، وأما الصناعات
 الثمانية فهي القوة الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية
 والنامية والمولدة والمصورة . وأما الحراس فهم الحواس
 الخمس : السمع والبصر والشم والذوق واللمس . وأما
 العمودان فالرجلان ، وأما الجناحان فاليدان ، والجهات الست
 معروفة . وأما القبائل الثلاث فالنفوس الثلاث : الشهوانية
 والحيوانية والروحية ، وأما الرئيس الواحد فالعقل



من كتاب خربة العجائب

المدينة المسحورة

حكى أن رجلا من صعيد مصر أتاه رجل آخر وأعلمه أنه يصرف مدينة في أرض الواحات ، بها كنوز عظيمة فتزودا وخرجا ، فسافرا في الرمل الى الواحات ثلاثة أيام ، ثم اشرفا على مدينة عظيمة ، بها أنهار وأشجار ، وثمار وأطيار ، ودور وقصور ، وبها نهر محيط ، وعلى ضفة النهر شجرة عظيمة ، فأخذ رجل منهما من ورق الشجرة ، ولف ما أخذه على رجليه وساقيه بخيوط كانت معه ، وفعل برفيقه مثل ما فعل بنفسه ، وخاضا النهر ، فلم يتعد الماء الورق ولم يجاوزه ، فصعدا الى المدينة ، فوجدا فيها من تلال الذهب مالا يوصف ، فأخذوا منه ما أطافا حمله ، ورجعا سالمين . ودخل أحد الرجلين على بعض ولاية الصعيد ، وعرفه بالقصة ، وأراه بعض ما جلبه من الذهب ، فوجه معه جماعة وزودهم بزاد كثير يكفيهم مدة طويلة ، فجعلوا يطوفون في تلك الصحارى ، ولا يجدون للمدينة أثرا ، وطال عليهم الأمر فسثموا ورجعوا خائبين

براعة اهل الصين في التصوير

كان من عادات ملوك الصين أن الملك منهم إذا سمع بنقاش أو مصور في أقطار بلاده أرسل اليه بما لو رغبه في الشخصوص اليه ، فإذا حضر عنده أجرى عليه المال والصلات . وأمره أن يصنع تمثالا أو نقشا وتصويرا مما يتقنه . ويبدل الصانع في ذلك غاية جهده ومقدرته، ويحضر ما صنع وصور الى الملك ،

فيعلقه بباب قصره ويتركه سنة كاملة ، والناس يهرعون اليه
 في تلك المدة للفرجة عليه وتقده وييان مافيه من خطأ او نقص ،
 فاذا مضت السنة ولم يقف أحد من الناس على عيب به او
 خلل في صنعه أحضر الملك الصانع وخلع عليه وجعله من
 خواص الصناع والحقه بدار الصناعة ، وأجرى عليه الاموال
 الجزيلة . وحدث أن ملكاً من ملوك الصين سمع بتقاش ماهر في
 النقش والتصوير ببلاد الروم ، فأرسل اليه رسولا ، طلب منه
 أن يعمل شيئاً مما يقدر عليه ، ليعلقه الملك بباب القصر على
 العادة . فنقش له في لوحة صورة سنبله حنطة خضراء قائمة
 وعليها عصفور ، واتقن نقشها وتصويرها ، حتى اذا نظرها
 شخص لم يشك في انها عصفور حقيقي على سنبله خضراء ،
 لولا ماينقصها من النطق والحركة ، فأعجبت الصورة الملك وأمر
 بتعليقها ، وباجراء الرزق على صانعها مدة تعليقها ، فمضت
 سنة الا بعض أيام ، ولم يتقدم أحد ل اظهار عيب فيها ولاخلل ،
 وبينما السنة تشرف على النهاية تقدم شيخ مسن ، ونظر الى
 الصورة ، وقال : هذه الصورة مختلة ، وفيها عيب ، فأحضر
 الى الملك ، وجاءوا بالصانع والصورة ، وقال له الملك : ما الذي
 تراه في الصورة من الخلل والعيب ، وضع ذلك بدليل ظاهر
 والا حل بك الندم ، واستحققت العقوبة . فقال الشيخ : مثال
 أى شيء هذه الصورة ؟ فقال الملك : مثال سنبله من حنطة
 قائمة على ساقها وفوقها عصفور ، فقال الشيخ : اما العصفور
 فليس به خلل ، اما الخلل في وضع السنبله ، فقال الملك :
 وما الخلل ؟ قال الشيخ : الخلل في استقامة السنبله ، لان
 المعروف ان العصفور اذا سقط على سنبله ووقف عليها
 أمالها ثقله وضعف ساقها ، ولو كانت السنبله مائلة ماعبت
 الصورة . فاقتموا بكلامه وكافاه الملك على فطنته وحسن تقده

النيل ينبع من الجنة

حكى ان رجلا دخل مصر ورأى عجائبها ، فألحى على نفسه
الا يفارق ساحل النيل الى متناه الا ان يموت ، فسار ثلاثين
سنة في العمر ، وثلاثين سنة اخرى في الخراب ، حتى انتهى
الى بحر اخضر ، فرأى النيل يشق ذلك البحر ، وركب دابة
هناك سخرها الله له ، فمشت به زمانا طويلا ، حتى وقع في
أرض من حديد ، جبالها وأشجارها حديد ، ثم وقع في أرض
من نحاس ، جبالها وأشجارها نحاس ، ثم وقع في أرض من فضة ،
جبالها وأشجارها فضة ، ثم وقع في أرض من ذهب ، جبالها
وأشجارها ذهب . ومازال يسير حتى انتهى الى سور مرتفع
من ذهب ، وراءه قبة عالية من ذهب ايضا ، ولها اربعة ابواب ،
ورأى الماء ينحدر من ذلك السور ويستقر في القبة ثم يخرج من
الابواب الاربعة ، فتكون انهار النيل والفرات وسبحون وجيحون .
وبينما الرجل يتأمل في السور اتاه ملك حسن الهيئة ، فقال
له : هل تدري أى شيء تنظر ؟ فقال له : انى لا أدري ، فقال له
الملك : ان التى تنظر اليها هى الجنة . وسيايتك رزق منها فلا
تؤثر عليه شيئا من أرزاق الدنيا ، ولم يلبث أن سقط عليه من
حيث لا يعلم عنقود من عنب ، فيه ثلاثة ألوان مجموعة ، لون
كاللؤلؤ ولون كالزبرجد الاخضر ولون كالباقوت الاحمر . فأخذ
الرجل العنقود ، وعزم على الرجوع ، فرجع فى نفس الطريق
الذى سلكه ، فرأى شيخا تحت شجرة من تفاح ، فمكث غير

بعيد منه ، فحدثه هذا الشيخ وآتسه ، وقال له : ألا تأكل من هذا التفاح ؟ فقال له : كلا أتى معى طعام من الجنة ، وأنا مستغن به عن تفاحك وكل طعام فى الدنيا ، فقال الشيخ له : صدقت ، وهذا التفاح ايضا من الجنة ، ولم يزل به حتى طعم منه . وبمجرد ان بدأ الرجل فى أكل التفاح تراءى له الملك وقال له : اتعرف هذا الشيخ ؟ قال : لا ، قال : هو والله إبليس الذى أخرج أباك آدم من الجنة ، ولو قنعت بالعنقود الذى معك لأكل منه أهل الدنيا جميعا ولم ينغذ . فبكى الرجل وندم على ما كان من فعله ، وسار متجها مع النيل الى مصر حتى دخلها ، فحدث الناس بما رأى فى طريقه ومنابع النيل من العجائب

من رحلة ابن بطوطة

التحرز من الحرام

مر شيخ صالح يسمى «أدهم» ببساتين مدينة بخارى ، وتوضا من بعض الأنهار التى تتخللها ، فإذا بتفاحة يحملها ماء النهر فقال : هذه لا خطر لها ، فأكلها ، ثم وقع فى خاطره من ذلك وسواس ، فعزم على أن يستحل التفاحة من صاحب البستان ، ففرع باب البستان ، فخرجت اليه جارية ، فقال لها : ادعى لى صاحب المنزل ، فقالت : انه لامرأة فقال : استأذنى لى عليها ، ففعلت . فأخبر المرأة بخبر التفاحة ، فقالت له : ان هذا البستان نصفه لى ونصفه للسلطان ، والسلطان يومئذ يبلغ ، وهى على مسيرة عشرة أيام من بخارى ، وأحلتها المرأة نصفها

وذهب الشيخ الى بلخ ، فاعترض السلطان فى موكبه ، فأخبره الخبر واستحلّه ، فأمره أن يعود اليه من القند . وكان للسلطان بنت بارعة الجمال ، قد خطبها أبناء الملوك فتمنعت ، وحبيت

اليها العبادة وحب الصالحين وهي تحب أن تتزوج من ورع زاهد في الدنيا . فلما عاد السلطان الى منزله أخبر بنته بخبر الشيخ آدم ، وقال في حديثه لها : ما رايت أورع من هذا الرجل ، يأتي من بخارى الى بلخ لاجل نصف تفاحة . فرغبت في تزوجه . فلما اتاه من الغد قال له : لا احلك الا أن تتزوج بينتي ، فانقاد لذلك بعد اباء وتمنح ، فتزوج منها ، فولدت له ابراهيم ، وشب على غرار أبيه من الزهاد الصالحين المتعبدين الورعين

حلواء صوفية

ومن قونية بالاناضول الشيخ الامام الصالح القطب جلال الدين الرومي ، وتنتمي اليه طائفة هناك تعرف بالجلالية . ويذكر انه كان في ابتداء أمره فقيها مدرسا يجتمع اليه الطلبة بمدرسته في قونية . فدخل يوما الى المدرسة رجل يبيع الحلواء وعلى راسه طبق منها ، وهي مقطعة قطعاً يبيع القطعة منها بفلس (ملهم) فلما اتى مجلس التدريس قال الشيخ : هات طبقك ، فأخذ الحلواني قطعة منه وأعطاهما الشيخ ، فأخذها بيده وأكلها

وخرج الحلواني ولم يطعم أحدا سوى الشيخ ، فخرج الشيخ في أتباعه وترك التدريس ، وأبطأ على الطلبة ، وطال أنتظارهم اياه ، فخرجوا في طلبه ، فلم يعرفوا له مستقرا ، ثم انه عاد اليهم بعد اعوام وصار لا ينطق الا بالشعر الفارسي المزدوج (ذي القافية الواحدة في الشطرين) الذي لا يفهم . فكان الطلبة يتبعونه ويكتبون ما يصدر عنه من ذلك الشعر ، والقوا منه كتابا سموه المثنوى أي المزدوج . وأهل تلك البلاد يعظمون ذلك الكتاب ويعلمون كلامه ويقرعونه بزواياهم في ليالي الجمع

نساء الهندوس

وقال ابن بطوطة : « اتفق أثناء مقامي بالهند انى كنت وقتنا بمدينة اكثر سكانها من الكفار وأميرها مسلم ، وعلى مقربة منها جماعة من الكفار العصاة ، فقطعوا الطريق يوما ، وخرج الأمير المسلم لقتالهم ، وخرجت معه رعية من المسلمين والكفار ، ووقع بينهم وبين قطاع الطريق قتال شديد مات فيه من رعية الأمير سبعة من الكفار وكان لثلاثة منهم ثلاث زوجات ، فاتفقن على احراق انفسهن ، واحراق المرأة لنفسها بعد موت زوجها عندهم امر مندوب اليه غير واجب ، لكن من احرقت نفسها بعد زوجها احرز أهل بيتها شرفا بذلك ، ونسبوا الى الوفاء ، ومن لم تحرق نفسها لبست خشن الثياب ، واقامت عند أهلها بأثمة ممتحنة لعدم وفائها ، ولكنها لا تكره على احراق نفسها

ولما تعاهدت النسوة الثلاث على احراق انفسهن ! قمن قبل ذلك ثلاثة أيام فى غناء وطرب وأكل وشرب ، كأنهن يودعن الدنيا ، وتزورهن النساء من كل جهة . وفى صبيحة اليوم الرابع اتوا لكل واحدة منهن بفرس فركبته وهى متزينة متعطرة ، وفى يمينها جوزة نارجيل (جوزة هند) تلعب بها ، وفى يسراها امرأة تنظر فيها وجهها ، والبراهمة يحفون بها ، واقاربها معها ، وبين يديها الطبول والابواق ، وكل كافر تمر به يقول لها : أبلغنى السلام أبى أو أمى أو أخى أو صاحبى ، وهى تجيب : نعم ، وتضحك لهم

وسرت انا واصحابى معهن نحو ثلاثة اميال ، وانتهينا الى موضع مظلم كثير المياه والاشجار ، متكاثف الظلال ، وبين اشجاره اربع قباب ، فى كل قبة صنم من الحجارة ، وبين

القباب صهرج ماء ، تجمعت عليه الفلال وتراحت الاشجار .
فلما وصلن الى تلك القباب نزلن الى الصهرج وانغمسن فيه ،
وجردن ماعليهن من ثياب وحلى فتصدقن به ، واتيئ كل
واحدة منهن بثوب قطن خشن غير مخيط ، فربط بعضه
على وسطها ، وبعضه على رأسها وكفيها ، والنيران قد أضرمت
على قرب من ذلك الصهرج في موضع منخفض ، وصب عليها
زيت ، فزاد في اشتعالها ، وهناك نحو خمسة عشر رجلا
بأيديهم حزم من الحطب الرقيق ، ومعهم نحو عشرة بأيديهم
خشب كبار . وأهل الطبول والابواق وقوف ينتظرون مجيء
المرأة التي ستتقدم الى النار ، وقد حجبوها عنها بملحفة
يمسكها الرجال بأيديهم ، لئلا يدهشها النظر اليها

فرايت احدها لما وصلت الى تلك الملحفة نزعتها من أيدي
الرجال بعنف وقالت لهم وهي تضحك : أبالنار تخوفونني ؟
أنا أعلم أنها نار محرقة ، ثم جمعت يديها على رأسها خدعة
للنار ، ورمت بنفسها فيها . وعند ذلك ضربت الابواق والطبول
ورمى الرجال ما بأيديهم من الحطب عليها ، وجعل الآخرون
الخشب من فوقها لئلا تتحرك ، وارتفعت الاصوات وكثر
الضحج . وكذلك يفعل أهل الهند في حرق أنفسهم ، وفي
الفرق اذ يفرقون أنفسهم في نهر الكنج ، وهو الذي اليه
يحجون ، وفيه يرمون برماد هؤلاء المحرقين . وهم يقولون انه
من الجنة ، واذا اتى احدهم ليغرق نفسه يقول للحاضرين الذين
يشاهدونه : لا تظنوا اني أغرق نفسي لأجل شيء من أمور الدنيا
او لقلّة مال انما قصدى التقرب الى الهى، ثم يغرق نفسه، فاذا
مات أخرجوه وأحرقوه ورموا برماده في النهر المذكور »

السحرة الجوكية

في الهند سحرة يسمون الجوكية ، وهم يتصورون في صور الحيوانات المفترسة ، وتظهر منهم عجائب ، منها ان أحدهم يقيم أشهراً لا يأكل ولا يشرب ، والظاهر من حالهم أنهم عودوا أنفسهم الرياضة على ذلك. ومنهم من ينظر الى الإنسان فيقع ميتاً من بصره ، وتقول العامة هناك : انه اذا قتل انسان بالنظر وشق عن صدره وجد بدون قلب ، والمرأة التي تفعل ذلك تسمى كفتار

ويحكى ابن بطوطة انه في اثناء توليه القضاء في الهند اتوه بامرأة من هؤلاء السحرة ، وقالوا انها كفتار وقد اكلت قلب صبي كان الى جانبها ، واتوا بالصبي ميتاً. فأمرهم أن يذهبوا بها الى نائب السلطان ، فأمر باختبارها ، وذلك بأن ملئوا اربع جرات بالماء ، وربطوها ببديها ورجليها ، وطرحوها مع اجرار في النهر ، فلم تفرق ، فعلم أنها كفتار ، ولو لم تطف على الماء ما كانت بكفتار ، فأمر بحرقها بالنار ، واتوا بأهل البلد رجلاً ونساء ، فأخذوا رمادها وزعموا أن من تبخر به امن في تلك السنة من سحر أمثالها

قال ابن بطوطة : « وبمك السلطان الى يوما وأنا عنده بالخرقة ، فدخلت عليه وهو في خلوة ، وعنده بعض خواصه ورجلان من هؤلاء الجوكية ، وهم يلتحفون بالملحف ، ويفطون

رعوسهم لانهم ينتفونها بالرماد ، فأمرنى بالجلوس ، فجلست ، فقال لهما : ان هذا العزيز من بلاد بعيدة ، فأرياه ما لم يره ، فقالا : نعم ، فتربع احدهما ، ثم ارتفع عن الأرض حتى صار في الهواء فوقنا متربعا ، فمجيت منه ، وادركنى الخوف فسقطت الى الأرض ، فأمر السلطان ان اسقى دواء عنده ، فأفقت وقعدت وهو على حاله متربع . فأخذ صاحبه نعلا وشكارة (زكية صغيرة) كانت معه ، فضرب بهما الأرض كالفتاظ ، فصعدت الى أن علت فوق عنق المتربع ، وجعلت تضرب في عنقه ، وهو ينزل قليلا قليلا ، حتى جلس معنا . فقال لى السلطان : ان المتربع هو تلميذ صاحب النمل . ثم قال : لولا انى اخاف على عقلك لامرته ان يأتوا بأعظم مما رابت . فانصرف عنه ، وأصابنى الخفقان ومرضت ، حتى أمر لى بنواه اذهب ذلك عنى .

الشيخ جلال الدين

قال ابن بطوطة : وكان قصدى بالمسير الى جبال بنجالة ، لقاء ولى من الاولياء بها ، وهو الشيخ جلال الدين التبريزى ، وهذا الشيخ له الكرامات الشهيرة ، وقد ظل أربعين سنة يسرد الصوم ويواصله ولا يفطر الا بعد مواصلة عشرة أيام ، وكانت له بقرة يفطر بعد العشرة على حلبها ، وكان يقوم الليل كله . ويستطرد ابن بطوطة فيقول :

ولما قصدت زيارة هذا الشيخ لقينى أربعة من اصحابه على مسيرة يومين من موضع سكناه ، فأخبرونى ان الشيخ قال للفقراء الذين معه : قد جاءكم سائح المغرب ، فاستقبلوه ، وانهم اتوا لذلك بأمر الشيخ ، ولم يكن عنده علم بشئ من امرى ، وانما اطلعه الله عليه . وسرت معهم الى الشيخ

فوصلت الى زاويته ، واهل تلك البلاد من مسلم وكافر يقصدون زيارته ، ويأتون له بالهدايا والتحف ، فياكل منها الفقراء والواردون . ولما دخلت عليه قام الى وعاقني وسألني عن بلادي وأسفاري فأخبرته . ورايت عليه فرجية (جبة كبيرة) فأعجبني ، وقلت في نفسي : ليت الشيخ يعطينيها . فلما دخلت عليه للوداع خلعها والبسنيها مع طاقية كانت على راسه ، ولبس مرقعة (ثوب الصوفية البالي) . فأخبرني الفقراء انه ليس من عادته ان يلبس تلك الفرجية ، وانما لبسها عند قدومي وانه قال لهم : هذه الفرجية يطلبها المغربي ، ويأخذها منه سلطان كافر ، ويعطيها اخانا برهان الدين الصاغرجي ، وهي له وبرسمه كانت ، ولما قال لي الفقراء ذلك قلت لهم : قد حصلت لي بركة الشيخ بأن كساني لباسه

واتفق لي بعد مدة طويلة اني دخلت بلاد الصين وانتهيت الى مدينة الخنسا ، وكانت الفرجية على ، فبينما انا في بعض الطرق اذ بالوزير في موكب عظيم ، فوقع بصره على ، فاستدعاني واخذ بيدي ، وسألني عن مقدمي ، ولم يفارقني حتى وصلت الى دار السلطان معه . فأردت الانفصال فمنعني ، وأدخلني على السلطان ، فسألني عن سلاطين الاسلام ، فأجبت . ونظر الى الفرجية فاستحسنها ، فقال لي الوزير : اخلعها ، فلم استطع خلاف ذلك . فأخذها وأمر لي بعشر خلع وفرس مجهز ونفقة . وتغير خاطري لذلك ، ثم تذكرت قول الشيخ جلال الدين : انه يأخذها سلطان كافر فطال عجبى من ذلك

ولما كانت السنة الاخرى دخلت دار ملك الصين يتخان بالتي (بكين) فقصدت زاوية الشيخ برهان الدين الصاغرجي ، فوجدته يقرأ والفرجية عليه بمينها . فمعبت من ذلك وقبلتها

بيدي ، فقال لي : لم تفعل هذا وأنت تعرفها ؟ فقلت له : نعم هي التي أخذها مني سلطان الخنسا ، فقال : هذه الفرجية صنعها أخى جلال الدين برسمي ، وكتب الى أن الفرجية تصلك على يد فلان . ثم أخرج لي الكتاب فقرأته ، فعجبت من صدق يقين الشيخ ، وأعلمته بأول الحكاية ، فقال لي : أخى جلال الدين أكبر من ذلك كله ، وقد انتقل الى رحمة الله . ثم قال لي : بلغني أنه كان يصلي الصبح كل يوم بمكة ، وكان يحج كل عام ، لأنه كان يغيب عن الناس يومي عرفة والعيد ! فلا يعرف أين ذهب »

شهوة ساحر

حضر عند الأمير قرطى ببلدة الخنسا (بالصين) في إحدى الليالي أحد المشعوذة ، فقال له : أرنا من عجائبك . قال ابن بطوطة : فأخذ كرة لها ثقب ، فيها سيور طوال ، فرمى بها الى الهواء ، فارتفعت حتى غابت عن الابصار ، ونحن في وسط المجلس أيام الحر الشديد . فلما لم يبق من السير في يده الا يسير أمر تلميذا له فتعلق به وصعد في الهواء الى أن غاب عن ابصارنا ، فدعاه ثلاث مرات ، فلم يجبه ، فأخذ سكيناً بيده كالفتاف ، وتعلق بالسير الى أن غاب أيضاً ، ثم رمى بيد الصبي الى الأرض ، ثم رمى برجله ، ثم بيده الأخرى ، ثم برجله الأخرى ، ثم بجسده ، ثم برأسه . ثم هبط وهو يتفنج وثيابه ملطخة بالدم ، فقبل الأرض بين يدي الأمير وكلمه بالصيني وأمر له الأمير بشيء . ثم أنه أخذ أعضاء الصبي فألصق بعضها ببعض ، وركله برجله ، فقام سوياً . فعجبت منه ، وأصابني من خفقان القلب ما كان أصابني عند ملك الهند حين رأيت مثل ذلك ، فسقوني دواء أذهب عني ما وجدت . وكان بجاني قاض مسلم يسمى

فخر الدين فقال لى : والله ماكان من صعود ولا نزول ولا قطع
عضو ، وانما ذلك شعوذة

وتمتلىء رحلة ابن بطوطة بحكايات عجيبة مثل هذه الحكاية
والحكايات السابقة ، وكثير منها لا يعقل . ولعل مرجع ذلك انه
كان سريع التصديق لكل ما يقال له ، وكانت له عينان تكبران
ما يبصره وأذنان تضخمان ما يسمعه ، فخرج بكثير مما قصه
ورواه من باب الواقع المعقول الى باب الخيال والوهم



فهرس

مقدمة ٧

فى عالم البحر

١٠٠ - ١١	فى عالم البحر
١٣	البحر المحيط
١٩	بحر الهند
٤١ - ٢٤	بين الحقيقة والخيال
٤٢	أعصار بالقرب من جزيرة النساء
٤٧	جزائر الحوت
٥٠	الرخ يطير بالنفس
٥٥	حية تأكل الفيلة
٥٨	جزيرة القردة
٦٢	الد والجزر
٦٥	ملح وبركة
٦٧	أكلة لحوم البشر
٧٥	الدرة اليتيمة
٧٧	ربان صرير فى بحر الصين
٧٨	آية للنفس
٨٢	جزيرة الحكماء
٨٦	لؤلؤة فى فم الثعلب
٨٨	القصوصة الفتية المفردين
٩٢	مفريت من الجن
٩٥	لدم آدم
٩٦	بلاد خوالس

في عالم البر

٢٢٢	في عالم البر
١٠٢	الزمن المعمورة
١٦٠	بين الحقيقة والخيال
١٠٨	سداجوج وملجوج
١١١	في الصين
١١٦	في بلاد الهند
١٣٣	في بلاد إيران وآسيا الوسطى
١٤٣	في بلفار الفولجا وشرقي أوروبا
١٥١	في العالم العربي
١٦١	أسفنديار يقتل تينا
١٦٥	المتفة تشلى رستم من جروحه
١٧٠	الاسكندر المقدوني في الهند
١٧٣	النم على الزمرد الفائق
١٧٥	الشطرنج والنرد
١٧٧	عقارب تحيي الموتى
١٨١	فيلة تضم أصابعها
١٨٤	الزوجة الموافقة
١٩٠	العمل المبالغ
١٩٢	عاشق شرين
١٩٤	الاسم الأعظم
١٩٦	أصحاب الكهف
٢٠١	مدينة النحاس
٢٠٩	مراف
٢١٤	النيل يشع من الجلة
٢١٩	السمرة الجوية
٢٢٢	شعوذة ساحر

م. الإيداع: ١٦٧٢ / ٢٠٠٤

I.S.B.N

977-07-1021-0

هذا الكتاب

هذا نوع جديد من الأقايصيص الرائعة ، هي أشبه
بقصص ألف ليلة وليلة ، وعلى نمطها إلا أنها مكتوبة
بأسلوب علمي .

وإذا كان كتاب ألف ليلة وليلة مستمدا من أصل
فارسي ، فإن هذا الكتاب الذي تقدمه اليوم من أصل
عربي بحت ، وضعه قصاصو العرب ، ولعب فيه خيالهم
الخصب دورا عظيما ، فخرجت أساطير عجيبة ،
وأقايصيص رائعة .

وقد كان لكثير من الأمم طائفة من الأساطير ،
فاليونان أساطيرها وللهند أساطيرها ، وللفرس
أساطيرها ، وللغراعة أساطيرها ، ولقد ظلت هذه
الأساطير من موردها ، ويقيدون منها وما هي ذي
الأساطير العربية ، جمع شتاتها الدكتور شوقي ضيف
وعلق عليها .

وستكشف هذه الأساطير العجيبة عن براعة العرب
وسعة خيالهم في تدوين قصصهم ، وقدرتهم العظيمة
في النسيج القصصي البديع .